
Darkness tales
عمرو المنوفي
حكايات الظلام
للنشر والتوزيع

الكتاب: حكايات الظلام في مملكة الغيلان
المؤلف: عمرو المنوفي
تصميم الغلاف: أحمد وهبة
التدقيق اللغوي: محمد عبد العال
التنسيق الداخلي: هند محمود كمال
رقم الإيداع: 2024/32835
الترقيم الدولي: 978-977-778-406-1

---

30 عمارات العبور – طريق صلاح سالم – القاهرة
ت: 01096539633
إيميل: info@noonpublishing.com

مقدمة لم يكتبها الكاتب

تختلف حياتي عن حياة باقي البشر.

وهذا الاختلاف لا يعني أنها أفضل أو أروع من حياتهم، وفي نفس الوقت لا يعني أنها أسوأ، أو أشنع منها.

إن حياتي مختلفة فحسب.

وأعزو هذا الاختلاف إلى تلك الأحداث الاستثنائية التي أخوضها، وأنغمس فيها للفترة الأطول من ساعات يومي في ذلك العالم الغامض الذي يقبع خلف حدود رؤيتنا، ولا يستطيع المرء العادي أن يعيشها أو يتخيل حتى وجودها، وإن كانت تؤثر بشكل غير مباشر على مجريات الأمور في حياته.

ويرجع الاختلاف أيضًا إلى عامل ثانٍ بالغ الأهمية، وربما هو ما يصنع هذا الاختلاف وبشدة، إنه ذلك الكتاب العجيب الذي عثرت عليه مصادفة، والذي يعتبر البوابة الرئيسية لدخول هذا العالم الغامض، بكل ما يحتويه من قوى وتعاويذ وعلوم سحرية.

لن أستطيع أن أذكر لكم اسمي الحقيقي الآن؛ وحتى تزول اللعنة التي ترتبط به. ولكني أستطيع فقط أن أخبركم بلقبي الحالي والدائم وهو: (الفارس الأسود) ولهذا اللقب قصة ستعرفونها مع بداية الأحداث.

وسأنتهز الفرصة الآن، وأخبركم بتلك التفاصيل العادية التي ستعرفونها عني، ثم ستلقونها وراء ظهوركم لأنها ليست لها أهمية خاصة في سياق القصة الحالية، ولكنها هامة لتعرفوا الجانب الآخر

من حياة بطلها، والواقع الكئيب التعس الذي يعيش فيه في كل لحظة من حياته الطبيعية.

فأنا شاب في الثامنة والعشرين من عمري، أعمل بوظيفة مملة في أحد مكاتب الشهر العقاري، وظيفة لا أحبها ولا أظن أني سأهيم بها يوما، وهي لا تحتاج مني إلى براعة خاصة، أو مجهود ذهني متفوق.

فوظيفتي تقتصر في مجملها على تنسيق بعض الملفات، ووضع توقيعي التافه الذي لا قيمة له على بعض الأوراق، ذلك التوقيع الذي يشبه في الواقع كتابات الأطفال.

وظيفة مملة كما ترون، وبائسة كباقي أحوالي.

حالتي المادية تقع في ذلك البرزخ الممتد بين معدومي الدخل ومحدودي الدخل، وكل ما أملكه من حطام الدنيا هو منزل قديم يؤويني، ويقيني من التشرد في الشوارع.

أما عن أحداث هذه الرواية فهي تدور في جو خيالي أسطوري ملحمي لا تحكمه إلا قوانين القوة، والقدرات الفائقة، والمخلوقات السحرية.

فلن تعدم أن تجد التنانين، ومصاصي الدماء، والسحرة، والمذؤوبين، ومن يمتلكون القدرات الفائقة.

جو مفعم بالإثارة والترقب.

مزيج ساحر من مفردات الخيال والفنتازيا، على غرار نارنيا، ومملكة الخواتم، ومورتال كومبات، وإن كان الأبطال مختلفين والأماكن مختلفة، وبالطبع أحداث القصة تتفرد بذاتها.

أبطالها مجموعة من البشر العاديين الذين لن يثيروا اهتمامك لو قابلتهم في عالم الواقع.

كل منهم لديه أحلامه، وطموحاته، ومخاوفه، وأحزانه، وواقعه الذي يحتويه.

ولكل منهم قصة مختلفة قادته إلى الجانب المظلم، قد يظهر جزء منها في قلب الأحداث، وقد لا يظهر حسب الحاجة إليه في سياق السرد.

هم مجموعة من الشخصيات يحمل كل منهم اسمًا مستعارًا خاصًا يعرف به في الجانب المظلم، والذي يحتوي على العديد من الممالك، والتي لكل منها أهدافها ومصالحها الخاصة التي تحافظ عليها بالدم.

جميعهم مقاتلون أشداء، ولكل منهم قواه الخاصة التي تعينه على مواجهة الأخطار التي تعترضه، أو تتعرض لها مملكته.

ربما التقيت أحدهم ذات مساء، ولم تعرف أن هذا الشخص الهادئ يعيش حياة سرية مليئة بالأخطار، فكن حذرا عند التعامل مع الغرباء، وهي نصيحة لا تفقد قيمتها بمرور الزمن.

إنهم مقاتلون أشداء لا تظهر قوتهم إلا لدرء شر مستطير لا قبل للبشر العاديين في مواجهته..

هي قصة عن عالم ساحر مليء بالمشاعر الجميلة، والمعارك، والدماء والسحر، والمخلوقات السحرية..

قصة الفارس الأسود، الذي وهب نفسه للدفاع عن الخير بعد أن

قطع كامل طريق الشر..

قصة فارس، وسيدة، وعالم كامل يقع هناك خلف الحجب، بأعماق المملكة المخيفة.

مملكة الظلام..

الحكاية الأولى
كاهنة وماسة وكتاب

1

الفرص كالأيام..

ما يمضي منها لا يعود أبدًا..

وأنا لم أتعود أن أترك أية فرصة تتجاوزني بسهولة..

***

لم يعد هناك فاصل بين الحقيقة والخيال في عقله، فحياته قد تمحورت في ذلك البرزخ الواقع بين عالم الوهم وعالم الحقيقة رغما عنه، وإن بدأ الأمر بإرادته الحرة كما يقول مصاصو الدماء.

فذات يوم كئيب وقع بين يديه كتاب يقسم مؤلفه، إن كل ما جاء به حقيقة، والأغرب أن ما جاء به يفوق الخيال، بل يفوقه ألف مرة.

لم تكن ظروف عثوره على الكتاب خارقة أو ملحمية، ولم يدَّعِ هو شيء مماثل، بل كانت ظروفًا طبيعية تمامًا.

فذات يوم من أيامه المتشابهة، عثر بطل قصتنا على الكتاب مصادفة بقلب صندوق معدني قديم مليء بالنقوش كان مدفونًا في القبو، أسفل منزله القديم على عمق كبير.

وكأن من دفنه كان حريصًا على عدم عثور أحد عليه.

ولولا المصادفة، لما تعثر به.

فعندما شرع في إصلاح ماسورة مياه مكسورة أغرقت القبو المهجور حتى فاض، وجد أن التلف صعب إصلاحه ما لم يتم تعميق

الحفر حول المواسير المتآكلة.

ونظر لجهله بمثل هذه الأمور، تمادى في تتبع خط المواسير التالفة، حتى اصطدم الرفش الذي يستخدمه في الحفر بشيء معدني اعتقد في البداية أنه تجمع آخر للمواسير المعدنية القديمة، إلا أنه وبعد الحفر حوله، ظهرت له طبيعته، وكان هذا الشيء هو الصندوق الذي يحتوي الكتاب الجهنمي.

وعن سبب قيامه بأعمال السباكة بنفسه، فهي حالته المالية المتدهورة، فلا مجال هنا لرفاهية إحضار سباك وإهدار عدة جنيهات، هو في أمس الحاجة إليها.

لذا فإنه عندما عثر على الصندوق المعدني المليء بالنقوش غمر البشر روحه، وحدثته نفسه أن هذا الصندوق قد يحتوي على كنز ما.

فالصندوق يبدو ثمينًا بالفعل، ونقوشه المفزعة التي تمثل هيئات لشياطين، ومخلوقات وحشية تتقاتل في شراسة، مرسومة بعناية واهتمام ومهارة وحرص، تدل على أن مالكه لن يضع بداخله شيئًا تافهًا أو لا قيمة له.

كما أن مخزونه من القصص والحكايات، عزز هذا الشعور بأعماقه، إنه على وشك أن يصبح ثريًا.

صحيح أنه لن يجد بداخله مصباح سحري يحقق أمنياتي، ولكنه قد يعثر على بعض الذهب أو الحلي التي قد تحل كل مشاكله.

حمل الصندوق بسهولة ووضعه على منضدة قديمة موجودة بالقبو، وقام بعملية تنظيف سريعة لما علق به من أتربة، ثم بدأت

يتفحصه بهدوء، وشعور ثقيل بالقلق يخترق، روحه وعيناه تلك النقوش المفزعة التي تمثل الشياطين، في إضاءة القبو الضعيفة.

وبصعوبة تجاهلها، وهو يبحث عن آلية خفية تساعده على فتح الصندوق.

فالصندوق يبدو من أول وهلة كمكعب مجوف لا قفل له، وبالرغم من ذلك فوزنة أثقل بكثير من أن يكون خاليًا، مهما كان المعدن الذي صنع منه.

وفي أثناء فحصه للصندوق الذي تكاد شياطينه ووحوشه تتحرك، وقع بصره على نصوص دقيقة مخفاة بمهارة وسط باقي النقوش، ولكنه بوسيلة ما لمحها.

مجرد قراءة هذه النصوص، زرع بداخله الكثير من التردد والقلق، ولن أبالغ لو قلت الرعب.

فما كتب على غطاء الصندوق، كان تحذيرًا صارمًا، ذكره بذلك التحذير نقش على مقبرة توت عنخ أمون (سيضرب الموت بجناحيه السامين كل من يعكر صفو الملك).

أما عن التحذير الذي كتب على الصندوق، فقد كان ينهى وبعنف عن فتح الصندوق مهما كانت الأسباب، وإلا أخطفت الفاعل لعنة الظلام.

والعجيب أن اللغة التي خط بها التحذير، كانت مجهولة له كلية، وبرغم ذلك استطاع قراءتها وفهمها بسهولة.

كان الأمر مريبًا، ولكنه لم يكن يملك شيئًا ليخسره، إن حياته لا

قيمة لها من الأساس، ولو فقدها فلن يحزن شخص آخر على فقده.

الفرصة كانت جلية أمام عينيه، والفرص المماثلة لا تتكرر، إما أن يستغلها، وإما أن يتركها لتمضي، ويمضي هو أيضًا في طريقه المرسوم، مجترًا معاناته، جبنه، وتردده.

قلب الصندوق المخيف بين يديه، قرأ التحذير عشرات المرات، أدار كل الأمور في رأسه مئات المرات، وتردد برغم سخريته من قيمة حياته آلاف المرات.

وأيقن بعد مضي وقت كبير، أن الشجاعة ليست مجرد كلمات، ولا يمكن تقيميها بغير خوض الاختبار.

وكان اختباره أمامه، فهل يجرؤ.

لا بد دومًا من أحمق ليجازف، لتبدأ القصص المهمة، وهو كان يمتلك رصيدًا لا نهائيًا من الحماقة.

لذلك فعندما طال تردده أغرى نفسه بالربح المنتظر، وطرد من رأسه فكرة الخسارة، فمن الأحمق الذي يترك فرصة العثور على كنز أثري تفر من بين يديه، لمجرد فزعه من تحذير مكتوب بلغة لا يعرفها، ولكنه يفهمها.

وفي النهاية، تغلب الإغراء على الخوف، ورفع يده بالمطرقة الثقيلة التي أحضرها من صندوق الأدوات المنزلية، ليهبط بها نحو الصندوق المهيب بنية تحطيمه بعد أن عجز عن فتحه، وقبل أن تصل إليه المطرقة الثقيلة، استجاب الصندوق لرغبته، وارتفع غطاؤه إلى أعلى، وكأنه كان ينتظر منه أن يقرر فقط ليكشف له عن أسراره.

كان قد قرأ ذات مرة في رواية ما لا يذكر اسمها، عن الصناديق السحرية المفخخة، التي يجدها تعساء الحظ، ويكفي أن تتملكهم صفة معينة كالطمع، لتنفتح الصناديق وتصيبهم اللعنة.

حسنًا.. كان بالحماقة الكافية ليتجاهل كل شيء، التحذير، والحكايات الخرافية، وخوفه، بل بل يأسه أنه كان مستعدًا في لحظة ما للمقامرة بحياته، من أجل فتح الصندوق للعثور على كنزه المنتظر.

وفي النهاية انفتح الصندوق دون ضجيج، ليكشف بكل سهولة عن محتوياته، وبداخله قبع الكتاب وحيدا، وكأنه سجين تم أسره، مغلفًا بالكتان.

ودون تأخير قبض بقوة على لفافة الكتان وفضها ليغمره إحباط شديد، مع غضب غير مبرر، فور أن وقع بصره على الكتاب.

ولولا اعتياده الدائم على مثل هذه المشاعر السلبية من كثرة ما يواجهه في واقعه الكئيب، لربما مزق الكتاب أو أحرقه، لولا فضوله الذي أشتعل فجأة ليعرف سر الكتاب، الكتاب الذي قد يكون مخطوطة أثرية ثمينة، ويكون لها سعرها لدى المهتمين بها.

حمل الكتاب معه ويأسه يعميه، وترك الصندوق المزين برسوم الشياطين والوحوش بمكانه في القبو، وصعد به إلى غرفته حيث النظافة والإضاءة.

استبدل ثيابه المتسخة بثياب نظيفة، ومريحة أكثر، ثم أعد لنفسه كوبًا من الشاي الثقيل وشطيرة هزيلة من الجبن والطماطم، وبدأ

يتفحص الكتاب ببطء، ليسجل عقله ملاحظات رهيبة أخفاها ظلام القبو، ويداه المتسختان.

فقد كان ملمس الجلد المصنوع منه غلاف الكتاب، أقرب إلى الجلد البشري من أي شيء آخر، ناهيك بالعنوان الذي طبع بالدم على الجلد اللامع يفزعه، مما جعل قشعريرة باردة تتسلل إلى عموده الفقري، لتنتصب الشعيرات أسفل عنقه، وهيأ له منظر الكتاب المنفر، أنه يحمل بين يديه جثة هامدة باردة تسيل منها الدماء.

شعر بغصة في حلقه، وبتقلص في معدته فنحى الشطيرة جانبًا فلا يمكن لمعدة طبيعية أن تتقبل، ولو لقمة واحدة مع الهول الذي يراه.

إن تاريخ الكتب المغلفة بالجلد البشري ممتد، ولن يكون هذا آخرها، وأشهرها، كتاب "أقدار الروح" (Des Destinees de l'Ame) ما يتناقله عنه العاملون في جامعة هارفرد أن هذا الكتاب، مغلف بجلد امرأة مريضة مجهولة الهوية ماتت لأسباب طبيعية. ويقال إن الأديب الفرنسي أرسين أوساي أعطى الكتاب لصديقه الطبيب لودوفيك بولاند في منتصف الثمانينيات من القرن التاسع عشر، والذي بدوره غلف الكتاب بهذه الطريقة غير الاعتيادية.

وبغض النظر عن ملمس الكتاب الشنيع، وعن حقيقة الجلد الذي يغلفه، سواء أكان بشريًا، أو حيوانيًا، فعنوانه كان معبرًا جدًا عن محتواه العجيب.

"ممالك الظلام"

لم يسمع هو من قبل عن أي كتاب سحر، حمل هذا العنوان، وعندما تصفح أوراقه المصنوعة من جلد خفيف، والمنقوشة بنفس اللغة المجهولة، أصابه الهلع، وأدرك أن بين يديه كارثة كبرى.

فلم تكن موضوعات الكتاب عادية أو مطروقة، فبداخله فصول تتحدث عن عوالم موازية لم يتحدث عالم عن وجودها، وفصول تتحدث عن مخلوقات وممالك مخيفة تتغذى مخلوقاتها على الجن، وفصول تتحدث عن معارك دامية طاحنة حدثت قبل خلق البشر، وفصول تسرد تاريخًا مجهولًا للأرض بني على السحر الأسود.

حيوات كاملة غامضة عن أماكن وأبعاد وأحداث تفوق الخيال، وتبعث الرجفة في الأوصال، كتاب أشبه بالبوابة التي تقود إلى عوالم لا حصر لها، والجحيم أهونها. وبأعماقه أيقن أن مؤلف هذا الكتاب، إما أنه كاتب مجنون، وإما ساحر عليم، وكلا الأمرين لا يطمئنان قلبه. لقد أصبح للكتاب ثقل وهيبة، ووقع رهيب على روحه.

ومع كل صفحة قرأها، كانت عيناه تتسعان في دهشة، بل وتكادان تخرجان من محجريهما ذهولًا.

كان الكتاب مزيجًا من كتب التاريخ، مع لمسة من ألف ليلة وليلة، وكتب السحر الأسود.

غاص بين صفحاته لساعات وساعات، فقرأ عن سيدة الظلام، والغموض الذي يحيط بها، وحارس الجحيم وطيفه، ومارلين، وآرثر وفتيات الهالوين.

قرأ عن الجحيم، وبوابات الهلاك، ومصاصي الدماء، والمذؤوبين،

والمتحولين.

قرأ عن السحر الأسود، وسحر الفودو، وسحر الدم.

قرأ عن مملكة الغيلان وجنود أطلس.

قرأ عن التعاويذ المحظورة، وتعاويذ الاستحضار، وتعاويذ الاختفاء.

ثم أصبح باب التعاويذ والسحر الأسود، هو بابه المفضل، وأصبح نهاره يقضيه في العمل، وليله يقضيه في القبو محاولًا تطبيق هذه التعاويذ، التي بدت له بلا نهاية، وتعد بالمستحيل.

أحتوى الكتاب على عشرات من التعاويذ الرهيبة التي تصنع الهول، وعشرات أخرى تتصدى لها. تعاويذ تستخدم قلوب الأطفال وأعضاء ذويهم، وتعاويذ تستخدم دماء الأجنة الموجودة في البطون المبقورة لأمهاتهم، واللائي أجبرن على أكل أكباد أزواجهم.

تعاويذ تستخدم لتسخير الجن، وتعاويذ تستخدم لعقابه..

تعاويذ تستخدم آلاف الأشياء الرهيبة لفعل أشياء رهيبة أخرى..

تعاويذ وتعاويذ وتعاويذ..

وكأن العالم لم يعد يشغله إلا كتابة التعاويذ وتطبيقها والهلاك بها..

***

مضت عليه عدة أشهر منذ امتلك الكتاب، وبدأ في استخدام تعاويذه، وعبر العلوم السوداء التي كتبت بتلك اللغة المجهولة، التي أكتشف أنه يقرأها أفضل من لغته الأم، بدأ في الولوج إلى عوالم،

وأبعاد مختلفة كان يختارها له الكتاب في كل مرة.

فرحل إلى عالم الأقزام في مغامرة رهيبة صنعت منه شخصيته الحالية، وعاد منها بسيفه الخارق الذي ذاق الأمرين من أجل الحصول عليه وإتقان استعماله، كما زار البعد الذي تسكنه الشياطين، وأرض العمالقة، ومملكة الشاحبين.

وهي قصص سيسعدني أن أقصها عليكم في وقت لاحق. بعد أن نتعرف أكثر على بطل قصتنا، الذي سيحمل من الآن اسم الفارس الأسود.

وبالطبع لن أعلن لكم عن اسمه الحقيقي قبل أن تزول لعنته، فاسمه قد لعن في إحدى رحلاته إلى عالم الظلام كما قرأتم في المقدمة، وإن أصبح اسمه الجديد، وهيئته التي تغيرت بردائه الأسود القاتم، يثيران الرهبة والخوف في قلوب من يراه.

سيطر الكتاب على فارسنا الشجاع، فلم تنقطع رحلاته إلى ممالك الظلام يومًا، وهذا أكسبه خبرة كبيرة في التعامل مع هذه العوالم الغامضة، مستعينا بما يمده الكتاب من معلومات وقوى.

لكن التحول الحقيقي في قصته، بدأ عندما كشف له الكتاب، على تعويذة رهيبة خارقة تتحدث عن بوابة لعالم آخر، تقود إلى قوة خارقة لم يحظَ بها أحد منذ عصور، وتتحدث عن القوة المذهلة التي سيحظى بها من سيتمكن من إخضاع هذه القوى، وأو من ستختاره هذه القوى، وداعبت هذه التعويذة أحلامه، وأصبحت هاجسًا لا يفارقه.

والعجيب أن هذه التعويذة كانت تتطلب لإعدادها أشياء عادية ومتوفرة بين الملمين بهذا الأمور، وهو قد أصبح مع الوقت، وبمساعدة الكتاب على علم شديد بهذه العوالم، فكان الإغراء شديدًا.

كانت التعويذة بسيطة، ومكوناتها بسيطة، ويستطيع أن يحضرها له ذلك الدجال الذي أصبح يتعامل معه منذ اقتنى الكتاب، برغم العبء المادي الساحق الذي كان يثقل كاهله. ففي هذا التوقيت لم يكن قد امتلك من العلم، ما يجعله قادرًا على نقل بعض الثروات، الكامنة في الجانب المظلم إلى عالمه، فدروع الحماية التي تفرضها، حاكمة ممالك الظلام، والتي يطلق عليها الجميع سيدة الظلام، كان تمنع عبور تلك الثروات عبر العالمين إلا بأذنها وعبر بوابات خاصة.

ولكنه في هذا الوقت المبكر، كنت قادرًا على توفير تلك المتطلبات البسيطة، فلم تحتج التعويذة إلا إلى مرآة بلورية مستديرة، وقلب خفاش وليد، ودماء بشري مات محترقًا، وبخور هندي، وترديد كلمات التعويذة في الهزيع الأخير من الليل.

وفي هذا اليوم الموعود، تقمص شخصيته الخفية، فارتديتِ ردائه الجلدي الأسود المدرع ضد الطعنات، ووضع سيفه الخارق في نطاقه، وقام بخلط مكونات التعويذة بالكميات المذكورة، وأطلق البخور الهندي، ثم تمتم بكلمات التعويذة.

وفي النهاية وضع ثلاث قطرات من دمه على سطح المرآة، التي أخذت تتماوج على الفور، ليتحول سطحها إلى اللون القرمزي، قبل أن يصفوا ليشع بلون أزرق مريح، ومن قلب العدم بدأت تتشكل عليها صور غير واضحة، لعالم آخر خلف حدود المرآة.

وفجأة ومن دون مقدمات، شعر بحرارة لافحة تجتاح خلاياه، وبروحه تسحب من جسده في عنف، قبل أن يتلاشى الألم، وتتحرر خلاياه، ويتفتت إلى ذرات مشحونة بطاقة عالية، أخذت تسبح في عالم أثيري عجيب من الأضواء والألوان، ليخترق بعدها قلب المرآة، مع شعور هائل بالراحة.

وبعد لحظات قصار، عادت خلاياه للالتحام والامتزاج، وحدث التجسد في مكان ما وسط العدم، وبهدوء وانسجام، أخذت الموجودات تتشكل من حوله، بطريقة ساحرة.

وكانت أولى ملاحظاته العقلية أن كل تعويذة انتقال لها طريقتها الخاصة في تمهيد سبيل العبور، فبعضها مؤلم وبعضها مريح، والبعض الآخر خطير، وطريقة الانتقال الأخيرة هذه، كانت من النوع المريح، على عكس ما توقع فقوى مثل التي يسعى إليه، سيكون الطريق إليها معبد بالفخاخ القاتلة، وسيكون الانتقال إليها أصعب ما يكون، وهو ما لم يكابده في أثناء الانتقال.

فلم يكن هناك قيء، ولا تسرب للدماء من طاقتي أنفي، ولا تشوش في الرؤية، ولا اختفاء لسيفه، فبعض التعاويذ لا تتقبل عبور سلاح مخيف كهذا.

تم الانتقال بسلاسة مدهشة أثارت ريبته، وبعدها شعر بالأرض الصخرية تتكون تحت قدميه، ليتشكل بعدها من حوله كهفا حجريا تدلت من سقفه في كثافة مجموعة من الهوابط الحجرية الصخرية الحادة، وفاحت منه رائحة الكبريت المزعجة، كأقبية مصاصي الدماء.

كان الهواء ثقيلًا ولكنه يتدفق دون توقف، مما أتاح له قدرة جيدة على التنفس.

وعلى امتداد البصر ومن حيث يأتي الهواء، ظلل الظلام الدامس كل شيء، وإن تألق جزء منه على مسافة غير بعيدة من أعماق الكهف في الجهة المقابلة.

دقق ببصره فرأى ضوء متراقص، يشبه الضوء الناتج عن المشاعل أو المصابيح الزيتية القديمة، وإن كان أقوى وأكثر ثباتًا، خاصة مع تيارات الهواء الباردة التي لا تتوقف.

تقدم بتردد إلى أعماق الكهف مقتربا من مصدر الإضاءة في حذر وفضول، وشيء مبهم بداخله يحضه على التراجع، ولكن هذا الخيار لم يكن متاحًا، فأمامه الضوء، وخلفه الظلام، لذا فالقرار محسوم لصالح الضوء.

اقترب أكثر، وهو حريص على ألا يكون لخطواته وقع مسموع، حتى وقعت عيناي على مصدر الضوء فاتسعت عيناه في انبهار، إن هذه الرحلة تدهشه أكثر وأكثر، فلم يكن مصدر الضوء مجموعة من المشاعل، أو مصابيح زيتية بدائية كما توقع، بل كانت ماسة نارية ضخمة تتألق في منتصف الكهف، وتصنع نهرًا من الأضواء المنعكسة على الجدران الحجرية.

ولم تكن الماسة النارية وحدها هي التي تقبع هناك، بل كان يجلس أمامها فيما يشبه الصلاة فتاة مخيفة رائعة الجمال، تتمتم بكلمات غامضة لم يسمعها، أو يفهمها.

رآها فشعر بالتوتر، وكرد فعل تلقائي استل سيفه الخارق، وشرع يقترب منها في حذر، وحين أصبح على بعد خطوات منها، لاحظ على الفور أنها توقفت عن التمتمة، ولكنها لم تنظر نحوه، أو تفعل ما يمكن أن يشعره بأنها لاحظت وجوده.

أقترب منها بهدوء فهي لن تكون ببشاعة وحوش سيدورك، أو بنات تيجا، وما أن أصبح على بعد ثلاث خطوات منها، حتى اصطدم سيفه المشهور أمامي بغلاف خفي من الطاقة تسبب في توهج نصل السيف الخارق، لتنبثق فجوة في ذلك الغلاف الخفي، كدعوة مشرعة للدخول لم يرفضها بالطبع.

ومرة أخرى أثبت سيفه الذي صنعه سحرة الأقزام، وأهداه له كبيرهم أنه لا يقارن، ولا مثيل له.

عبر غلاف الطاقة عبر الفجوة إلى الداخل، وإلى حيث جلست الفتاة القرفصاء تضم أصابعها أمام وجهها، وكأنها تؤدي صلاة خاصة.

اقترب منها بعد أن وضع سيفي في جرابه، وقد أنبأته حاسة الخطر لديه، التي أصبحت أكثر حدة بعد الكم الهائل من المغامرات التي خاضها، أنه لا خطر منها. فمد يد قاصدًا كتفها ليعلمها بوجوده، عند أوقفه صوت عقلي حارق، دوى في جنبات رأسه قائلًا:

– لا تحاول.

مسك رأسه بين يديه من الألم، وهو يتساءل بداخل عقله:

– من أنت؟..

لم تكن مرته الأولى التي يستخدم فيها التواصل العقلي، التليباثي، لكنها كانت المرة الأولى التي يشعر فيها بمقدار هذا الألم مع كل تواصل.

عاد الصوت المؤلم ليجيب:

– أنت تعرف ولكنك لا تتذكر.. حاول وستعثر على كل الإجابات.

كان الألم شديدًا، ولكن فضوله، وحاجته إلى الإجابات، تفوقًا على شدة الألم، فحدثها تخاطريًا:

– ذكريني فأنا لا أذكر، وأكون لكِ شاكرًا..

عاد الصوت المؤلم ليتدفق داخل عقله، وكأنه حمض يسكب هناك:

– أنا كاهنة الماسة النارية.. أنا من تملك الإجابات.. أنا أول خطوة في طريقك.. ولكن.. لا شيء بلا ثمن.

كان الألم العقلي ساحقًا، ولكنه تمالك نفسه متسائلًا:

– أي طريق، وأي ثمن الذين تتحدثين عنه، ولماذا أنا هنا من الأساس؟..

تردد الصوت الحارق في منحنيات عقله المنهكة، وقالت كاهنة الماسة:

– إنك تكثر من الأسئلة أيها البشري، برغم أن إجابتها موجودة هناك، في ركن مظلم من عقلك.. أنا لا أستطيع الإجابة عن كل شيء لأن التقاليد لا تسمح بالكثير، وإن كنت سأكون حارستك الخاصة، ودرعك في الشدائد، لن تحصل مني على إجابات، ولكنك ستحصل

مني على المساعدة والنصيحة، ونصيحتي الأولى لك:

– احذر كتاب الظلام...احذر كتاب الظلام.. احذر..

أخذت الكلمات تتردد في جوانب عقله بعنف، حتى شعر بأن جسده يسحب من مكانه، وكل الموجودات من حوله تنهار، وفي خلال لحظات قصيرة، عاد ليتجسد في غرفته منهكًا.. مرهقًا.. غير مصدق لما حدث، ولا مقدار الألم الذهني الذي يعصف برأسه، ولكنه كان سعيدًا رغم كل شيء، فبرحلته عبر المرآة، امتلكت حليفًا خارقًا سيلازمه في كل مغامراته القادمة عبر الجانب المظلم.

كان منهكًا بشدة فانقلب، على ظهره فوق الفراش..

ورحت في سبات عميق..

كأنه الموت..

2

لم يكن وقع الأمر على فارسنا الشجاع عاديًا، ففي كل مرة كان يقوم بإحدى مغامراته في ممالك الظلام، كان يعود إلى واقعه أكثر ظمأً للكتاب ولاكتشاف أسراره التي لا تنتهي، فأصبح الكتاب يسيطر على تفكيره ككارثة أبدية الحدوث لا فكاك منها، وكأن للكتاب إرادته الخاصة التي يفرضها عليه.

وبرغم نصيحة الكاهنة، أصبح الفارس الأسود أسير صفحاته، وهمساته التي لا تتوقف.

كان لدى الفارس يقين تام بأنه في يوم ما سيصل بالعلم إلى أن يسيطر على الكتاب، وكان من الواضح أن سيطرة الكتاب عليه في هذه الفترة لها اليد العليا، فأصبحت حياته جزءًا لا يتجزأ من الكتاب، وأصبح الكتاب كل حياته..

لم يكن الكتاب مملًا أو جافًا، بل كان متجددًا كنهر لا يتوقف عن الجريان، فكان شغفه إليه لا ينقطع، ولم يكن الجزء التاريخي منه ثابتًا، بل كان يشبه نشرة دورية تخبر من يملكه بأحوال ممالك الظلام.

فصار فارسنا الأسود على علم تام، بما يحدث عبر الأبعاد، والعوالم المظلمة، ونسي عالمه بالكامل، ولم يعد ذا أهمية له. حتى أنه كان يتسبب بالعديد من المشكلات في عمله، الذي كان وما زال بحاجة إليه حتى الآن. فالتحولات التي تحدث لشخصيته، لم تعد تسمح له بأن يظل ذلك الموظف الخنوع، الذي كانه.

ولا أخفي عليكم، فبرغم تحذيرات الكاهنة، وبرغم حدسه وسوء ظنه بالكتاب، إلا أنه أدمنه، وأدمن ما يقوده إليه.

فكان كل شيء في واقعه أصبح مملًا وثقيلًا على نفسه، حتى النوم الذي يحرمه ساعات من المعرفة الجديدة، فداوم على الهروب من عالم الواقع الذي يكرس فشله الدائم، ويجبره على أن يصير ذو شخصية رمادية مائعة، إلى عالم الظلام بوحوشه المريعة وشره الواضح الأسود.

فعالم الظلام يحتوي على الشر الخالص، أو الخير الخالص، لا وجود للون الرمادي الذي يشوه عالم البشر، وهو شيء لو تعلمون عظيم.

وفي ذلك اليوم العاصف، والذي أصر سوء الحظ فيه على أن يلازمه كظله، وبعد أن عاد من عمله مرهقًا، يائسًا، بعد مواجهة فاشلة مع مديره المتسلط توجه من فوره إلى غرفته، وأخرج الكتاب من مخبئه أسفل الفراش.

كان يحتاج إلى نصر سريع يمحو طعم هزيمته النكراء من فمه، ولم يطرق باله إلا تعويذته التدريبية، التي لم يستعملها منذ زمن، وعلى الفور رددها، فانفجر بقلب غرفته ضوء ساطع، أحالها لنهار قبل أن يتسع مجال الضوء ليكون هالة عملاقة خارج حدود نطاق الغرفة، عبرها فارسنا المغوار، بعد أن ارتدى ردائه، وسلح نفسه بسيفه، ونجوم سيروم الخارقة، ليخوض قتال شاق، ضد مخلوقات الهالة الضوئية.

ثلاث ساعات قضاها، وسط مقاتلين مختلفين، كانت تولدها له

الهالة، وفي كل مرة كان يتفوق عليهم.

لقد صار في وقت قياسي، مقاتل لا يشق له غبار، خاصة بعد تلك الاختبارات الرهيبة التي خاضها في أرض الأقزام، وصقلها بحالة المحاكاة المسحورة.

أنهى تدريباته، فأبطل عمل التعويذة، وخلع ردائه، ونحى سيفه جانبا، واتخذ مجلسه فوق مقعده الهزاز أمام نار المدفأة العتيقة التي تعتمد على الأخشاب الجافة في التدفئة، وبدأت يتصفح الكتاب المخيف، بحثًا عن شيء ما يؤرقه.

مرت عيناه على فصول الكتاب الرهيبة المتجددة، ليسقط بصره على فصل حديث لم يره من قبل بعنوان القوانين، وشم فيه رائحة سيدة الظلام، فتجاهله على الفور، فدائمًا ما كانت سيدة الظلام تسن قوانين جديدة لتحمي بها حدود مملكتها ورعاياها.

كانت هذه الفترة من الفترات المظلمة في حياته، والتي سيطر فيها الكتاب على قراراته، دون أن يمتلك الحكمة الكافية لكبح جماح سيطرته على روحه، فغاص في مستنقع الشر حتى أذنيه، متجاهلًا كل القوانين والأعراف المعمول بها في ممالك الظلام، وغلبت قوى الشر بداخله قوى الخير، وصارت سيدة الظلام من ألد أعدائه، أعدائه الذين أصبحوا يتكاثرون في كل مرة يعبر فيها بوابة الظلام.

وبرغم كون سيدة الظلام قاسية وحازمة، ودموية، إلا أنها تعتبر جانب الخير في هذا العالم المخيف.

وبدلًا من أن يكون حليفها، صار عدو لها مطلوب رأسه، فهي لا

تقبل المتطفلين، ولا من يجعلون أنفسهم فوق قوانينها، ولا من يتقمصون شخصية المنقذ الأسطوري على أراضيها، حتى لو كانوا يقيمون العدل.

جذبه فصل آخر بعنوان كيف تستحوذ على أرواح أعدائك، فعادت من جديد صورة سيدة الظلام بجمالها المظلم وغموضها الآسر لتلح على خاطره، فهز رأسه مستنكرًا ليطرد منها تلك الخواطر السوداء، فسيدة الظلام لن يردعها تعويذة مماثلة. إنها تحتاج إلى سحر خاص لم يعد موجودًا، لأنها هي أيضًا من نسل ساحرات كوت، هذا غير ما تملكه، وتسيطر عليه من قوى مظلمة بسراديب قلعتها.

وكالعادة سرقه الكتاب من نفسه لعدة ساعات، وعندما استفاق، لمعت في رأسه فكرة غريبة تخص الكتاب، فلا يمكن أن يحتوي كتاب بهذا الحجم، على كل هذه التفاصيل إلا لو تعدى الألف صفحة على الأقل، وهذا الكتاب يبدو أصغر كثيرًا، مع صفحاته الجلدية المحدودة.

طرد هذا الهاجس من رأسه بعد لحظات، فهو على كل حال كتاب سحري، ولن تكون هذه أولى خدعه، وطفق يقلب في الأوراق، وفصل يقذفه لفصل، حتى وجد أخيرًا ما كان يبحث عنه طوال الساعات الماضية.

كان عنوان الفصل الذي توقف عنده هو: "الحارسة".

وبكامل تركيزه ويقظته، بدأ عقله يتشرب كل كلمة قرأها، وبكل هدوء بدأت الأمور التي خفيت عنه تنكشف، ولاحت الحقائق من بين الأسطر، وبدأ يلم بما غاب عنه، وكانت مقدمة الفصل كالتالي:

الحارسة، كاهنة الماسة النارية، حامية الكتاب المقدس، أنشودة الأمل المؤلم، وكهف الغموض المظلم.. لا أحد يعرف من أين أتت، ولا أحد يعلم إلى أين ستذهب، ولكن حيثما وجد الكتاب تكون، وحيثما احتاج إليها المختار حامل الكتاب، تهب للمساعدة.

إنها الحارسة الخارقة التي يكفي رؤيتها لفتح بوابة الاتصال بينها، وبين المختار حامل الكتاب، والذي يأتي إليها عبر المرآة، حاملًا ذكريات من سبقوه.

إنها الضوء، التي سيرشد المختار إلى مهمته الأبدية، وتفتح أمامه بوابات ممالك الظلام.

قواها بلا حدود، وإمكاناتها بلا حدود، وخطرها بلا حدود.

وفي آخر الفصل وجد كلمة سر الاستدعاء، والتي لا يتم ترديدها إلا سرًا، حتى لا يتم استخدام تعويذة المرآة مرة أخرى، لأن هذه التعويذة لا تستخدم إلا مرتين فقط.

الأولى في الاتصال مع كاهنة الماسة النارية، والثانية عند قطع الصلة نهائيًا بين المختار وكاهنة الماسة النارية، لذا فإن مكان المرآة سري ولا تظهر إلا عندما تظهر، ويحين الوقت.

لقد علم الآن أنه لم يكن هو من اختار تعويذة المرآة، بل الكتاب هو الذي أختارها له، لقد أصبح يسير وفق مشيئة الكتاب، وعندما أطاع، وهبة سيفه الخارق، ونجوم سيروم، وزيه الداكن، وأخيرًا حارسة خاصة، تمتلك قوى بلا حدود.

كانت المعلومات تتدفق إلى عقله، والحقائق تتكشف، وفضوله

يرتوي، وبرغم يقينه بأنه لا يتحكم في كل الأمور، إلا أن الذي اكتنفه كان شعورًا عارمًا بالرضا، رغم الأسئلة الكثيرة التي لم يعثر لها على إجابة بعد.

وعندما ترك الكتاب قرب الفجر، وقرر أن يستريح قبل أن يذهب إلى عمله، غرق في دوامة تفكير عميق محاولًا ربط كل المعلومات ببعضها، ليشتعل في رأسه طوفان من الأسئلة، التي أخذ يطرحها على نفسه:

إذا كنت أنا المختار، فمن اختارني؟

وإن كانت هناك مهمة ما.. فما هي؟

ذكرياتي من سبقوني تقبع في ركن مظلم من ذاكرتي.. فأي فائدة ستعود عليّ باسترجاعها؟..

وكانت كلها أسئلة بلا إجابات، ولكنها لم تصيبه باليأس، بل وضعها كأهداف بحاجة إلى من يجيب عليها.

وفي النهاية، أدرك أن حياته لم تعد مملة، فقد وجد المهرب من الواقع المحبط.. في ذلك الطريق المظلم.. طريق الموت..

وفي ذلك الطريق كان على موعد مع أولى رحلاته، أو لنقل مغامراته مع الطيف..

طيف العذاب..

وهي مغامرة شنيعة أرجو من ضعاف القلوب تجاوزها، أو عدم قراءتها ليلًا..

لقد أنذرتكم، وعلى كل شخص أن يتحمل تبعة اختياره..

الحكاية الثانية

طيف العذاب

1

ليس الموت دائمًا نهاية المطاف..

ولكنه قد يكون بداية لشيء أكثر إفزاعًا ورعبًا..

فمع طيف العذاب يكون الموت راحة لا يحصل عليها من يتمناها..

***

في يوم إجازته الأسبوعية من عمله، جلس الفارس الأسود وحيدا في منزله، يتناول بعض الطعام الذي أعده على عجل، فلا زوجة له ولا ولد يشاركه هذا الطقس الدائم، وبعد أن انتهى من طعامه، سحب كتاب ممالك الظلام من فوق الطاولة، وأخذ يقلب في صفحاته الجلدية الرقيقة، وعيناه تجوبان هنا وهناك، لعله يجد أي شيء مغير يخرجه من حالته النفسية التي بلغت معه الحضيض.

والمتابع له هذه الأيام، سيجد أنه على وشك الدخول في حالة متقدمة من الاكتئاب، وكأن روحه لا تقبل التواجد في هذا العالم المشئوم، وتجد راحتها في عالم الظلام، بوحوشه، وغيلانه، وسحرته، ولصوصه، وثواره ومتمرديه.

كان يتوقع مؤازرة من الكتاب، لكن الكتاب نفسه ظهر، وكأنه يعانده، فعدما طالعت عيناه عنوان الفصل الجديد (رحلة إلى جبال النور)، شعر بالضيق فالعنوان لم يناسب مزاجه المنقلب.

وعندما فتح الكتاب عشوائيًا كان عنوان الفصل الجديد (شجرة الحياة) والذي يليه كان فصل (تعاويذ الحب).

نظر إلى الكتاب بازدراء وأخذ يحدث نفسه: يبدو أن الكتاب جن ليعرض عليّ مثل هذه الموضوعات الحالمة، التي لم أرها من قبل بين صفحاته، ومما زاد غيظه أن الكتاب سقط من يده، ليصيب إصبع قدمه الكبير ليورثه ألمًا عنيفًا جعله يزيحه في عنف، ويطلق سبة عالية.

هدأ الألم فعاد ليستوي على مقعده الهزاز، وهو يتميز غيظًا، فمزاجه اليوم متعكر حتى أنه يحلم بلقاء بعض الوحوش ليفتك بها ويسفك دماءها، والكتاب يعابثه، وكأنه يسعى ليخرج أسوأ ما فيه.

مرت اللحظات ثقيلة، وهو يتطلع حوله في سأم، ولما لم يجد ما يفعله، عاود النظر إلى الكتاب الملقى على الأرض مرة ثانية، فوقعت عيناه على صفحاته المفتوحة، فتناوله بسرعة ولهفة.

وبصوت مرتفع قرأ العنوان المشوق المثير (طيف العذاب)، ثم نفث الهواء من فمه وهو يهتف ساخطًا:

– أخيرًا فصل يناسب حالتي النفسية.. ومزاجي الملتهب.

وعلى الفور سند رأسه إلى ظهر المقعد، وبدأت عيناه في التهام الكلمات وغاص عقله في التفاصيل، وكعادة الكتاب بدأ الفصل بلمحة أسطورية عن الكيان الأسود.

"طيف العذاب".. روح المراهقة الهائمة.

الانتقام.. والرغبة القاتلة بالثأر.. حين تأتيك الطعنة من وراء ظهرك. الكراهية.. حينما تشتعل كالنار.. وتتغذى بالجثث والأشلاء.

إن طيف العذاب.. مأساة.. صنعت مآسي أكثر، فلم يشهد التاريخ

روحًا أصابها الغضب، لكل هذه الفترة من الزمن، ولم يشهد التاريخ انتقامًا ضاريًا، مثلما حدث من طيف العذاب.

ثم بدأ يقرأ الحكاية التي تعود إلى عدة مئات من السنين، عندما كانت هيلين شابة صغيرة، لم تتجاوز التاسعة عشرة من عمرها.

كانت فاتنة.. جمالها سحر.. إطلالتها حلم.. حديثها خيال، ومن سوء حظها أنها كانت ابنة بائع جوال، يبيع الأشياء المستعملة، فيظل طوال اليوم يدور على المنازل، يشتري ويبيع، ليحصل في النهاية على ربح زهيد، ليعود بعد غروب الشمس، منهكًا، غاضبًا، كارهًا للحياة، فيصب لعنته على زوجته، ويضرب ابنته، ويتعاطى مشروبه الكحولي الرخيص، ثم يذهب للنوم حتى صباح اليوم التالي.

حياة كئيبة.. مرهقة.. راكدة.. كبركة ماء آسن تفوح منها الروائح الكريهة، فالأم مغلوبة على أمرها، والطفلة مستسلمة لقدرها، والأب ماض في غيه، ليكدر عليهم أيامهم. عائلة يائسة بائسة كمئات العائلات الأخرى الذين يسكنون بالقرب من النهر الكبير.

تتساءلون بالطبع عن الجديد في تلك القصة؟.. وأقول لكم أن الجديد، والذي اعترض نهر الحياة الراكد الكئيب لهذه الأسرة البائسة، هو جيمس دين. شاب المدينة المتأنق الوسيم، الذي حضر إلى القرية، ليتسلم ميراث عمه الضخم، والذي تركه بعد أن ربحه كله من الربا، وإقراض الناس بفائدة مرتفعة.

وطبعًا كما يقول المثل القديم: مال الحريص.. دائمًا ما يذهب إلى المستهتر، وجيمس مثال جيد جدًا على الشاب المستهتر، صائد النساء، فوقته كله يدور حول اللهو، وملاحقة الشابات الجميلات،

وغير الجميلات، ليغرر بهن، تلك كانت هوايته التي كانت تشبع بداخله، جزء من رجولة فقده في حادث اعتداء وقع له في الصغر.

وقد قدر لهيلين بجمالها ورقتها، وتلك الجاذبية التي أضافها الحزن على وجهها، أن تكون الفريسة المناسبة، في الوقت والمكان المناسبين.

فرغما عنه كان على جيمس أن ينتظر عدة أيام، حتى يتم حصر تركة عمة ونقل ملكيتها إليه، لذا مر الوقت عليه ثقيلًا.. خانقًا.. وما من تسلية متاحة، فكعادة كل القصور التي هجرت ولم يعد يقطنها العدد الكافي من السكان لمحو وحشتها، ظل قصر عمه الريفي الضخم.. كئيبًا وخانقًا.

لذا فأكثر ما كان يفعله الشاب جيمس دين هو التجول ممتطيًا جوادًا أبيض اللون.. قوي الصدر.. ذا معرفة بيضاء.. وينطلق به في الحقول، ويتجول به على ضفة النهر القريب، مغازلًا به كل من تقع عيناه عليه من الحسناوات.

وفي إحدى جولاته اليومية رآها تمر بجوار النهر. كانت تحمل على كتفيها دلوين من الماء، متصلين بفرع شجرة تم تهذيبه ليعمل كحامل، وتعلقت عيناه بها.

ولمحته هي، وانتفضت مبهورة، حتى إن الدلاء سقطت منها، دون أن تشعر، وأغرق الماء الأرض من حولها، فأمامها وعلى بعد خطوات منها، انتصب فارسها وسيم الوجه، نظيف الثياب، وافر الصحة، على عكس معظم شباب المقاطعة، جالسًا فوق صهوة جواده الأبيض.

فارسها الذي تحلم به كل مساء مع القمر، وتعود لتسترجع صورته مع شمس الصباح..

رأته أمامها في زيه الأسود الأنيق، يركب حصانه الأبيض، ويبتسم لها ابتسامة ساحرة، فوقفت تتطلع له وهي كالمأخوذة، وبادلها هو النظرات، منتظرًا لحظة الضعف التي ستمر بها ليقتنصها.

ودار بينهما حوار طويل بلغة العيون، أنتهى لحديث هامس، وقبله سريعة على خدها، ليجمعهما ظلال شجرة وارفة، ومرت الدقائق كالحلم، وجيمس يمارس معها لعبة الصبر.

ولم تفق إلا على ضربة عنيفة أصابت منتصف ظهرها، فاندفعت إلى الأمام في عنف، واستدارت في غضب لتواجه ذلك الوغد الذي جرؤ على التعدي عليها وضربها، ولكنها عادت لتنكمش، وتشهق في رعب عندما شاهدت أباها أمامها. أباها الذي قرأ كل شيء، وعيناه اللتان زاغتا بفعل الخمر الذي تناوله، تشتعل غضبًا.

أباها الذي فارق زجاجته على مضض، وأتى إليها ليتعجلها بعد أن تأخرت في جلب الماء الذي سيستخدمه في الاستحمام بعد يومه العصيب، الذي قضاه في تنظيم تلك الخردة التي يهيئها للبيع.

الضربة الثانية جاءت أكثر عنفًا وولدت بداخلها آلامًا لا تنتهي، ودفعتها لتسقط أرضًا ليتمرغ وجهها في الوحل وصوت والدها الهادر يهتف في غضب:

– أسكبتِ الدلاء أيتها اللعينة، ومن ابن الشياطين هذا الذي تقفين معه؟

قالها وانهال عليها صفعًا وركلًا حتى أدماها، ولم ينقذها إلا عبور بعض جنود الملك، اللذين خلصوها من بين يديه بصعوبة بعد أن فقدت الوعي من شدة الضربات، والتي لم تترك فيها مكانًا سليمًا، في حين وقف جيمس دين، على البعد، ممسكًا لجام حصانه، يشاهد ما يحدث دون أن يتدخل أو يهتز له جفن، وكأن ما يحدث يطربه، أو يشبع حاجة نفسية بداخله.

سحب جنود الملك الأب الثائر إلى قلعتهم، وحمل بعض المارة الفتاة إلى منزلها دون أن يحرك جيمس دين ساكنًا.

لحظات وانطلق جيمس دين عائدًا إلى قصر عمه الضخم ودخل إلى حجرته التي أعدها له خدم عمه، وأصطحب معه خادمة لعوب إلى فراشه، وطارحها الغرام في عنف، قبل أن يطردها من غرفته، لينام، وشبح ابتسامة وحشية تتراقص على شفتيه.

شيء ما فيما حدث لهيلين أثاره بشدة.

2

استيقظت هيلين من نومها على صداع هائل يكتنف رأسها، وفتحت عينيها المتورمتين بصعوبة، وأخذت تتلفت حولها في حيرة، وعقلها يقاتل ملكوت الألم الذي يجتاح جسدها كله ليصفو، وعندما عجزت عن رؤية، أي شيء مما اعتادت رؤيته عند يقظتها، أخذت تتساءل بصوت واهن:

– أين أنا؟.. ما هذا الظلام الدامس الذي يحجب عني الرؤية؟ أي مكان هذا الذي لا يوجد به أية لمحة من ضوء أو انعكاس له؟!..

فأجابها صوت الأم الملهوف، والذي يبدو من حشرجته أنها كانت غافية بجوارها:

– ابنتي الحبيبة هل أنتِ بخير؟..

حاولت أن تصفي ذهنها أكثر، لتجيب على أمها فتلعثمت وقالت:

– لا يا أمي.. إن جسدي كله يؤلمني.. ولا أشعر أني بخير..

ثم صمتت لحظة.. وقالت:

– أرجوكِ يا أمي افتحي النوافذ.. فهذا الظلام الدامس يخنقني.

ثم ابتلعت ريقها وتساءلت:

– في أي وقت من الليل نحن.؟

شهقت الأم، واقتربت من ابنتها في جزع وهي تحرك كف يدها اليمنى، أمام وجهها المتورم لتتأكد من سلامة بصرها.

وعندما لم تجد أي استجابة، انهمرت دموعها في غزارة، وضمت ابنتها إلى صدرها في حنان وأخذت تنتحب.

فقالت هيلين بجزع:

– أمي ماذا يحدث، ولماذا لم تفتحي النوافذ، ولماذا تبكين بهذه الطريقة؟

شهقت أمها في حزن، وقالت من بين دموعها:

– النوافذ مفتوحة يا بنيتي، ولكن عينيك هي التي لا ترى، إن الوقت ظهر الآن، عندما يعود أبيك سنصحبك في عربته إلى الطبيب.

احتبس الصوت في حلق هيلين، وجحظت عينها المطموسة، واحتقن وجهها المتورم، وقالت بصوت متحشرج:

– ماذا تقولين يا أمي؟.. هل فقدت بصري؟.. هل صرت كفيفة؟..

انطلقت أمها تبكي ودموعها تؤلم عينيها، لتمتزج بدموع الأم المتساقطة، في مشهد يمزق نياط القلوب..

كل هذا الوقت لم يكن والد هيلين السجين يعلم أي شيء عن نتائج ثورته وغضبه، وعما اقترفته يداه في حق ابنته الرقيقة.

لقد حمله جنود الملك وألقوه في سجن القلعة، لمدة يوم واحد لتأديبه، ثم أطلقوا سراحه، وعاد إلى المنزل، وشيطان الغضب يعربد في رأسه، ويلتهم كل خلايا المنطق بداخله.

وحينما دلف إلى المنزل، ورأى بكاء الأم وابنتها، استشاط غضبًا وهم بأن يعيد الكرة، ويوسع ابنته ضربًا من جديد، إلا أن الأم

المكلومة تصدت له وهي تصرخ دون توقف:

– كفى.. كفى.. كفى.

صدمته ردة فعلها، إلا أن دماء الغضب غلت في رأسه من جديد، فقرر معاقبتهما معًا، في حين تملكت موجة غضب أخرى من الأم، التي وقفت بينه وبين ابنتها، وبصوت غاضب كاره صرخت به مجددًا:

– حرام عليك.. حرام عليك.. ألم يكفك أنها فقدت بصرها.. ألا يكفيك سنوات العذاب والإهانة.

هتف والغضب يزحف على بصره ليعميه مؤقتًا:

– تفقد بصرها.. تفقد حياتها.. المهم ألا تصيبني بالعار.. تلك الملعونة.

وهم بأن يضرب هيلين، والذي صدمها رد فعل أبيها، حتى إن صوتها اختنق وتوقفت دموعها واستلقت مذهولة.

إلا أن الأم مدت يدها بسرعة إلى المنضدة الصغيرة التي بجوار السرير وسحبت سكين الفاكهة، وقالت في صرامة:

– لو اقتربت مني أو من ابنتي.. سأقتلك!..

وجحظت عيناها في جنون وهي تكرر:

– صدقني سأقتلك.. أنا لم أتحمل تلك العيشة القذرة، ورائحتك النتنة إلا من أجل هيلين، ولن أسمح أن يحدث لها أي مكروه مجددًا.

ولا أحد يعرف ما حدث بعد ذلك.

لقد وجدت الأم مطعونة في عينها، والابنة اختفت، والأب ملقى بجوار الباب ينزف من طعنة في صدره، وعندما حاولوا إسعافه فارق الحياة.

بحثوا كثيرا عن هيلين في الجوار، إلا أن آثارها انتهت عند حافة الجرف الهائل، الذي يطل على الهاوية عميقة القريبة من أطراف القرية النائية، وعثروا على وشاحها الوردي الشهير، وقد طبعت عليه خمس أصابع من الدم، دون أن يعثروا لها على أثر..

وبعدها بفترة وجيزة، وجدوا جيمس دين معلقًا من قدميه في قبو قصر عمه الراحل، وكان من الواضح، أنه ترك ينزف من وريده العنقي ببطء، وحتى الموت.

وعلى صدره وجدت نفس العلامة.

خمس أصابع من الدم.

3

قلب الفارس الأسود صفحة الكتاب، ليعرف باقي القصة المحزنة لكنه لم يجد غير تعويذة منقوشة بخط سميك وكتب أسفلها:

– إن المعرفة حمل ثقيل وثمين، فهل يستحق أن تجازف بحياتك لتحصل عليها.

أغلق الفارس الأسود الكتاب، وأراح رأسه على ظهر الكرسي الهزاز كعادته كلما شغله أمر ما، أو أراد أن يفكر، كانت الكلمات المكتوبة تستحق وقفة.

فلكي يروي فضوله، يجب عليه أن يجازف، والمجازفة ليس لها إلا نتيجتان، إما أن يصل إلى ما يريد، وإما أن يصل إليه ما لا يريد، وفي كل الأحيان هو الموت الذي لن يرحمه إذا ما وقع بين قبضتيه.

ومع حالته النفسية المتردية التي أزاحت من أمامه كل تعقل، لم يقبل أن يهزم في عالم الواقع، ويمنى في نفس الوقت بهزيمة في عالم الخيال، فردد بين وبين نفسه:

– الفارس الأسود لا يمكن أن يجبن أمام أي تحدٍّ.

كان يدرك خطورة التعويذة التي يصحبها تحذير، ولكنها كان قد قرر، وبدأ في التنفيذ، وردد كلمات التعويذة ببطء.

وما أن انتهى منها حتى حدث الانتقال، ولكن هذه المرة لم يكن الانتقال مشابهًا لما يحدث في كل مرة، هو نفسه شعر بأن هناك شيئًا خطأً في الأمر.

فهو قد انتقل إلى المكان الذي اختاره الكتاب، ولكنه تجسد في هيئة مختلفة عن هيئته التي اعتادها، لقد تجسد في هيئة طيفية شبحية، بدون جسده المادي.

مجرد طيف رمادي اللون يسري في قلب معمل أبحاث ذي تجهيزات عتيقة نوعًا ما وكان المعمل نفسه شبه مظلم، وتفوح منه رائحة المطهرات، مختلطة بروائح أخرى تبعث على الغثيان، والعجيب أنه كان يشمها بوضوح.

أدار عيناه في المكان، ليحاول أن يعرف أين هو، فوقع بصره على كلمة ألمانية بجوارها أرقام ما.

بالطبع هو لم يكن يدري معنى هذه الكلمة، ولا ماهية الأرقام، فألمانيته لم تكن على ما يرام، لأنه لا يعرف حرفًا واحدًا منها، لذا فإنه تجاهل الكلمة، وتعلقت عيناه بالعلم المعلق على الحائط، والذي يتوسطه الصليب المعقوف الشهير للنازية، وعلى الفور عرف أين هو.

إنه في معمل ألماني، في عصر الفوهرر هتلر، والرايخ الثالث، إنه يزور حقبة من أبشع حقب المذابح والدماء، التي مرت عبر التاريخ البشري. والسؤال المحير هنا، ما علاقة كل ذلك بهيلين، هل أدخلته التعويذة في قصة أخرى؟..

سار باتجاه الباب، ومد يديه نحوه ليفتحه، فغاصت يده وتجاوزته إلى الناحية الأخرى، فعبر الباب الذي لم يعد عائقًا أمام جسده، بعد أن تحول إلى هذا الطيف الشبحي.

وما أن تخطى الباب حتى وقعت عيناه على أكثر شيء مرعب

في هذا الزمن، على جنود قوات العاصفة، وشارتهم المميزة (SS)، والذين يقفون في الممرات، وأيديهم متأهبة على أسلحتهم، لردع من تسول له نفسه مخالفة الأوامر.

كان الأمر غامضًا فتساءل الفارس الأسو بداخل عقله، أهو بداخل معمل أبحاث أم هو في معتقل تعذيب نازي!..

بدأ عقله الباطن يفصح عن بعض محتوياته، وتدفقت منه كافة المعلومات القديمة التي تخص هذا الزمن الرهيب، لابد أن أحد الأشخاص المختارين الذين سبقوه، قد عايشوا هذا الزمن، فالمعلومات كانت غزيرة ومخيفة.

فبعد انتصارات الجيش النازي المتتالية، والدموية على جيوش الحلفاء، تم تدشين مجموعة كبيرة من معسكرات الاعتقال الوحشية، والتي احتوت بداخلها على مختبرات أبحاث رهيبة، ومعامل يتم فيها إجراء التجارب اللا إنسانية على الأسرى.. باسم العلم.

ولم تكن هذه التجارب تقل بشاعة عن الحرب الدائرة، فقد أطلق العسكريون يد العلماء ليجربوا كل أفكارهم، وأمصالهم، وساديتهم على الأسرى من غير الجنس الآري. والذين اعتبروهم في منزلة أقرب إلى الحيوانات، وكان معتقل أوشفيتز بيركينو في بولندا هو أشهر المعسكرات التي تدار فيها مثل هذه الأهوال، والذي كان واحدًا من خمسة وأربعين معسكرًا آخر، تم بنائهم في أوشفيتز.

وكان حدسه صحيحًا، وقاده تفكيره إلى الحل الصحيح، فهو بالفعل في أوشفيتز بيركينو، معسكر الاعتقال والتعذيب الرهيب، والذي قرأ عنه ما يشيب له الولدان، وينتحر من هوله الحالمون.

كل ذلك كان يمر في رأسه ويحرق خلاياه الرمادية دون هوادة، وفي داخل عقله أخذ هاتف لحوح يردد السؤال الأبدي:

ما علاقة كل هذا بهيلين؟!..

وقفز سؤال آخر في عقله..

ترى هل يرى هنا يوسف منجيل جزار المعتقل، صاحب السيرة الدموية، والفظائع، والتي تتمنى معها أن تقتله ألف مرة.

إن هذه المغامرة قادته إلى الجحيم بالفعل.

جحيم النازية، الذي أثبت دون أي مجال للشك، أنه حينما يتفنن البشر في صنع جحيمهم الخاص، يرتجف الشياطين من هول ما يصنعون.

دار حول الممر مرة أخرى، وفوجئ بأن الممر ينتهي، وفي آخره باب معدني، مغلق برتاج قديم، يشع الضوء من أسفله، تقدم إلى حيث يوجد الباب، واخترقه بسهولة ليصدمه الهول وهو يرتدي زي العلم، ويتشح برداء الطب، ويحمل مبضعه الحاد.

ففي الغرفة المتسعة، تراصت أحواض ضخمة مليئة بالماء الشديد البرود، وبداخل كل منها ضحية تختص بجزء معين من تجارب التجميد، وكان يشرف عليها دكتور سيجموند راشر من القوات الخاصة، تحت قيادة، السفاح الرهيب د. يوسف منجيل، الذي كان يصر على إكمال تجارب التجميد على المعتقلين الضعفاء حتى الموت.

لم يكن ما يحدث إنسانيًا، ولا يمكن أن يقبله إنسان طبيعي، إلا من تشوهت فطرته، كهذا الوحش القذر.

لقد كان الموت يزحف مع البرودة المتزايدة، على وجوه الأطفال، والنساء، والعجائز..

كانت الصرخات تعلو في البداية، ثم تتحول إلى أنين، يخفت ببطء مع سيال الحياة المتجمد..

الشيء الأغرب، هو القائمون على هذه التجارب، بدوا وكأن عقولهم تم غسلها وبرمجتها، حتى يعملوا كالآليين، بوجوه جامدة، وآذان مصمتة، لا تسمع صراخًا.. ولا أنينًا.. ولا تستجيب لطلب الرحمة.

لقد زرعت خطب هتلر في عقولهم الخائفة بذرة العنصرية، وأكدت لهم كلماته الحماسية أنهم الجنس الوحيد الراقي، وأن كل البشر من دونهم حيوانات أو أقل منزلة، فتعاملوا مع المعتقلين على هذا الأساس.

أدار الفارس الأسود عينه عن الهول المتجمد، والوجوه المتصلبة التي تشي بآلام لا تحتمل، لتقع عيناه عليها..

كانت هيلين معه في نفس الغرفة، تتخذ ركنا قصيا منها، وقد تحولت إلى طيف أسود مخيف، يشبه تكاثف الدخان الأسود عندما يصنع سلويت لجسد أنثوي، كما أنه كان يتماوج في الهواء وكأن ريحا خفيه تعبث به.

ظهر التصميم في وقفتها، وعيناها البيضاوان المشعتان الخاليتان من أي سواد تتألقان كمصابيح متوهجة، وهي تنفث من فمها دخانًا

أسود كثيفًا، كالذي يتكون منه جسدها، ليحيط بعقول القائمين على التجارب، ويزيدهم قسوة ووحشية..

لقد أصبحت هيلين بعد تحولها في ظروف غامضة، إلى هذا الطيف الغاضب، محطة إرسال للشرور والأفكار الوحشية.

فهي كانت تتغذى على مشاعر الكراهية والقسوة، وتعيد بثها في المكان الذي تتواجد فيه، لتزيد معاناة معظم قاطنيه.

فجراء هذا التواجد الشيطاني أصابت الكوابيس الشنيعة التي كانت في حينها أكثر واقعية من الجحيم الذي يحييون فيه، الضحايا، والجلادون دون تفرقة، ولم تخل كوابيسهم من طيف أسود دخاني ذي أعين بيضاء متألقة، يصليهم العذاب.

وقد حرصت على أن أذكر أن تأثيرها كان على معظم المتواجدين، في مساحة تأثيرها وليس كلهم، لأن بعضهم كان يحمل قلوبًا من حجر صوان، وعقولًا صنعت في سقر، كانوا مرضى نفسيين، يستمتعون بجرائمهم المفجعة وما تقترفه أيديهم من أهوال.

تابع فارسنا الأسود، تحرك الطيف العصبي، ثم تحرك خلفه، من مكان لمكان، متمنيا أن يصل لنهاية هذه الرحلة المشئومة، فما بين وقائع إحراق الأطفال، وانتزاع شعر النساء، تشريح والمعتقلين أحياء، واستخدام الأحماض، والأدوية غير المجربة التي أجبر المعتقلون على تناولها بجرعات متفاوتة، أودت بحياة الكثيرين، غير عشرات التجارب الوحشية، والدموية أجريت على المدنيين والعسكريين، دون تفرقة، أو شفقة، أو رحمة، وتركت خلفها المتألمين، والمشوهين والمحتضرين.

ناهيك أحكي عن أفران الغاز، التي استخدمت في إحراق التجارب الفاشلة، حتى ولو كان موضع التجربة ما زال حيًا.

كانت هيلين تتشرب، كل هذه المشاعر السوداء، ثم تفرزها حولها في حقد، وكراهية، كبركان ثائر لا يهدأ، لتضاعف ألام من حولها.

ورغم المعارك، والأهوال التي عايشها الفارس الأسود في رحلاته إلى ممالك الظلام، إلا أن هذه الفظائع لم تتحملها روحه، فعقول البشر عندما تحترف الشر، تصبح أكثر بشاعة من عقول الشياطين، وجحيمهم المستعر.

ووقر بقلبه قناعة بأن هيلين أصبحت روحا سوداء مشوهة، تستمد سوادها من سواد القلوب التي عايشتها، وذلك نتيجة مباشرة لأنها عايشت الظلم، والمعاناة، ولو جدت من يحتويها، لما تحولت إلى هذا الكيان الجهنمي..

كانت هيلين أكثر روح غاضبة في التاريخ.

وتاريخها الدموي دونته بدموع ودماء آلاف الضحايا، الذين لم يكن ذنبهم ولا جريرتهم، إلا أنهم وُجِدُوا في أثناء مرور إعصار الكراهية، وطوفان الحقد القاتل.

كان الفارس الأسود يتمنى أن تنتهي رحلته هنا، وأن يعود إلى جسده الفاني الذي تاق إليه، بعد أن علم أن اكتئابه، وملله السابقان، كانا ترفًا بالنسبة إلى الأهوال التي شاهدها، والتي مر بها المعتقلين.

لولا أن اختفى المكان من حوله، وتلاشت الموجودات من أمام ناظريه، ليتجسد في جديد.

مكان لا يقل بشاعة عن سابقه..

فعلى من تجاهل الفصل السابق أن يتجاهل الفصل الحالي.

4

حدث التجسد في مكان آخر لثقافة أخرى، وشعب آخر، وإلى جحيم آخر صنعه البشر على الأرض.

وكما كانت ألمانية الفارس الأسود بلا وجود، كانت لغته اليابانية أيضًا، ولكن العلم المميز والذي يعرف شعبيًا بهينومارو، بتلك الدائرة الحمراء، التي تتوسط رايته البيضاء، كتعبير مجازي للشمس، أخبره أنه هنا في اليابان فهذه معلومة لا تفوت على متابع جيد، لكأس العالم لكرة القدم، وأيضًا الكتابة الشهيرة، التي هي أقرب إلى الرسم منها إلى الكتابة.

لم يكن يعلم أن تلك الكتابة، إن هي إلا كلمة بجوارها رقم ثلاثي، وكانت تعبر عن سقطة رهيبة من سقطات تلك البلد العريقة اليابان،

وكان هذا المكان الرهيب هو الوحدة 731 [1]، وفي خلال ثوانٍ معدودة عرف الفارس الأسود، كل المعلومات عن المكان، من خلال تلك الذكريات التي طفت على سطح عقله، كما حدث في تجسده السابق في المعتقل النازي. والوحدة 731 وهي وحدة سرية في الجيش الإمبراطوري الياباني مهمتها القيام بأبحاث خاصة لتطوير أسلحة بيولوجية وكيميائية.

وقامت هذه الوحدة بممارسة تجاربها، في أثناء الحرب الصينية اليابانية الثانية (1937–1945) وفي أثناء الحرب العالمية الثانية (1939–1945).

وارتكبت هذه الوحدة، مجموعة من أفظع جرائم الحرب، في أثناء

فترة عملها، وكانت رحلة (الفارس الأسود) إلى هذه الوحدة، أصعب، وأسوأ من رحلته في معتقل (أوشفيتز) النازي.

لقد رأى الأهوال، على يد العقول اليابانية اللامعة، ورأى العقل البشري حينما يتألق بالشر، والوحشية، والدموية.

إن سرد الفظائع التي كانت ترتكب هناك، هو إساءة كاملة، ووصمة عار على الجنس البشري كله..

ففي أثناء بحثه عن هيلين في تلك الوحدة الملعونة، انتقل الفارس الأسود من غرفة لغرفة، ومن غرفة تعذيب إلى غرفة تعذيب، ومن غرفة عمليات معقمة، إلى غرفة يطلق عليها هذا الاسم، إلا أن البشر يعاملون فيها كالذبائح، حيث تنتهك فيها حرمة أجسادهم، ويمزقون إربًا.

الأمر كان يشبه الخوض في مستنقع للوحوش الذين هبطوا على الأرض، ولا يعلمون قيمة الحياة.

وخلف هذه الصور البشعة، وقفت هناك هيلين بعينيها البيضاء المتألقة، وبشرورها التي تنفثه في كل مكان عبر دخانها الأسود الكثيف.

ولأمانة السرد، فان هناك غرفا لم تدخلها هيلين قط، ولم تنفث فيها من روح الحقد والجاهلية والهمجية التي تغشاها، وتألق فيها البشر في ابتكار الفظائع، والتي لم تخطر لهيلين على بال..

لم تكن هيلين مصدر الشر، بكل كانت كيانًا جائعًا للشر، فكانت تتشبع بكل ما هو سلبي ولا إنساني، وتعيد بثه وتركيزه على ضعاف

النفوس، لذلك عانى الفارس الأسود، وهو يرصد الأهوال التي تمارس في المكان، ومنها تشريح البشر وهم أحياء بدون تخدير، وكان هذا الأمر يتم بعد إصابتهم بأمراض معدية، ودراسة تأثير هذه الأمراض عليهم، ثم يتم تشريح المصاب وهو حيٌ، لمعرفة تأثير المرض على الأعضاء الداخلية، لأنهم كانوا يعتقدون أن تشريح الجسم وهو ميت يؤثر على النتائج ويجعلها غير دقيقة، وكان هذا الأمر يتم على الرجال، والنساء، والأطفال، والرضع، والحوامل أيضًا، دون تفريق.

وفي تجارب أخرى، كانوا يقطعون أطراف السجين وهو حي، لدراسة تأثير فقد الدم على الجسم، والأفظع من هذا، أن هذه الأطراف المقطوعة كانت في بعض الأحيان، تستخدم لإعادة تركيبها، ولكن في مواضع أخرى من الجسم بخلاف موضعها الأصلي.

كما أن بعض السجناء كان يتم تجميد أطرافهم، ثم إذابة الثلج، ليصاب الطرف بالغرغرينا، ويترك السجين دون علاج، لدراسة تأثير الغرغرينا على الجسم الحي.

وبعض السجناء تمّت إزالة معدتهم، وتوصيل المرّيء بأمعائهم مباشرة لدراسة تأثير ذلك.

وهناك سجناء تمّت إزالة أجزاء من أمخاخهم، أو قلوبهم، أو أكبادهم وأعضائهم الداخلية الأخرى.

وتم استخدام بعض السجناء، كأهداف حية لتجربة الأسلحة الجديدة، كالقنابل اليدوية، وقاذفات اللهب.

كما كان يتم ربط السجناء على مسافات مختلفة، وإطلاق الأسلحة البيولوجية عليهم، لدراسة ما هي المسافة المناسبة، التي تجعل السلاح البيولوجي فعالًا..

وتتضمن التجارب البيولوجية أيضًا، حقن السجناء بالجراثيم، وإصابة الرجال والنساء بالأمراض الجنسية، كالزهري والسيلان، ودراسة تأثير هذه الأمراض عليهم، وتعريض السجناء المرضى لكميات كبيرة من البراغيث، لدراسة إمكانية انتقال المرض عن طريق البراغيث..

وتم إصابة العديد من السجناء بأمراض وبائية، ودراسة أعراضها عليهم، منها الطاعون، والكوليرا، والجدري، كما تم تسميم بعض السجناء بمواد كيماوية، في أثناء الدراسات التي أجريت على الأسلحة الكيماوية..

وكان لدى الوحدة، مجموعة كبيرة من البراغيث الحاملة للطاعون، والتي تم إطلاقها بعد ذلك عام 1941 على المدن الصينية بواسطة طائرات تطير على ارتفاع منخفض متسببة في انتشار وباء الطاعون، ليحصد عشرات الآلاف من الأرواح..

عانى الفارس الأسود معاناة رهيبة، بعد أن زُرِعَت في عقله كل هذه المشاهد، والذكريات الشنيعة، وكلما حاول دفنها، أو العودة إلى واقعه، كان يمضي فيها كالأسير..

ولم يكن ما رآه هو الهول كله، فمن التجارب المروعة الأخرى، التي أجريت في الوحدة، وسممت أعصابه، ودمرت مناعته النفسية..

تعليق السجناء في وضع مقلوب، لمعرفة أقصى فترة يستطيع أن يتحملها الإنسان في هذا الوضع، قبل أن يصاب بصدمة ويموت، وحقن سجناء بالهواء في الشرايين، لتحديد الوقت اللازم لحدوث جلطة، وحقن بول الحصان في كلية بعض السجناء، والحرمان من الطعام والشراب لمعرفة أقصى وقت يمكن تحمّله دون طعام، أو ماء حتى الوفاة..

ووضع بعض السجناء في غرف مرتفعة الضغط حتى الموت، وتعريض بعض السجناء لدرجات حرارة عالية جدًا، لدراسة مدى تحمّل الجسم البشري للحرارة، ووضع بعض السجناء داخل أجهزة طرد مركزي، تظل تدور بهم حتى الموت، وحقن السجناء وريديًا بماء البحر، لمعرفة ما إذا كان من الممكن استخدامه، كبديل لمحلول الملح التقليدي الذي يستخدم في المستشفيات..

لقد كان الموت هناك.. يحمل العبارة التي تدل على الجودة والإتقان، في كل شيء.. (صنع في اليابان)..

ومع توالي المشاهد المفجعة، شعر الفارس الأسود، بأنه في قلب دوامة عنيفة، ولم يعد قادرا على أن يتحمل ما يراه..

ماذا تصنع الحروب بالبشر؟!..

كيف يفقد البشر آدميتهم في فترات الحروب، ويتحولون إلى وحوش، تفوق كل ما هو موجود في ممالك الشر والظلام؟!

كيف يصيرون بكل هذه القسوة؟!..

وفي أثناء تفكيره العميق، شعر بذراته تتفكك وبوعيه يسحب إلى

مكان آخر، وفي أثناء رحلته الطيفية، تمنى لو أستطاع أن يقوم بدور الجلاد، فيعاقب كل من اقترف جريمة في حق معتقل أو مسجون. وعندما فكر في هيلين، التي تحولت إلى هذا الطيف البشع، تباينت مشاعره، فهيلين ظُلمت، وعوملت معاملة حقيرة، تنفطر لها القلوب، إلا أن انتقامها أشد ظُلمًا وفتكًا..

كان في حيرة من أمره، إلا أنه استقر في النهاية، على أن القضاء على هيلين برغم كل ما عانت منه، واجب..

بل واجب مقدس..

وفي نفس اللحظة، انهارت الموجودات من حوله، وتلاشت كل الأضواء وحدث التجسد.

5

حدث التجسد من جديد في إحدى البلاد الأوروبية، لقد لمح برج إيفل الشهير، في أثناء تجسده، ولكن المشهد الذي وقع عليه بصره، كان يختلف تمامًا عما جال بخاطره، لا شوارع نظيفة، ولا نساء جميلات، ولا صبية متأنقون، ولا مقاهٍ راقية.

فقط سحب هائلة من الغبار تناثرت في كل مكان، مصحوبة بانفجار عنيف لم يعرف مصدره، أجبرته أن يغطي وجهه بكفيه، لينطلق لوهلة في الاتجاه المضاد، ليتفادى تلك السحب الخانقة، وكأن كل هذه الأتربة، والأحجار المتناثرة ستصيبه في حالته الشبحية هذه.

رد فعل مثالي يقوم به بشري، وليس مقاتل صلب مثله، وعزاه في نفسه إلى تأثير الأهوال التي خاضها من وقت قريب.

وحينما هدأ الجو، واستكانت السحب لتتحول إلى غبار متناثر على الأرضية المرصوفة، شاهد هولًا من نوع جديد.

ركام هائل ناتج عن انهيار، أحد الأبراج السكنية الضخمة، ووسط الركام برزت أيدي الجثث المهشمة، والرؤوس المشقوقة التي لوثها الغبار. والصدور المسحوقة الدامية، كان الأمر يشبه مفرمة ضخمة تم فرم الصخور فيها مع البشر، في مشهد لا يصدق، ويصدم المشاعر..

إحساس مفجع كان يخترقه ويعذبه، وكان يسمع حديث المارة المذهولين، لقد تطورت العمليات الإرهابية كثيرة.

شهق عندما سمع اللفظ، هل وصل غي هذه الجماعات إلى نسف مبنى حكومي كامل بمن فيه.

شعر بدوار لحظي، لم يعرف كيف انتابه في حالته الشبحية هذه، وعندما كاد يستفيق، هاجمه الهمس المتألم، والأنين، والآهات المكتومة، الصادرة من تحت الأنقاض، العشرات من البشر اللذين لم يقضوا حياتهم فور وقوع الانفجار، يتألمون، ويحتضرون، ولفت نظره من بينهم صوت طفل يبكي..

وعلى الفور، تقدم الفارس الأسود نحو الركام والأنقاض يتتبع الصوت، واستطاع أن يصل إلى الطفل بسهولة بسبب حالته الشبحية، ليصدمه مشهد الأم التي قضت نحبها بجوار طفلها، بعد أن تحولت إلى كومة من الشعر والعظام واللحم المتهتك التي لا شكل لها، بعد أن فدته بحياتها، وتحملت ألم السحق الرهيب قبل أن تلاقي حتفها.

كان الطفل الباكي محشورًا بين دعامتين من الخرسانة، كونا ما يشبه المظلة التي وقته من السحق تحت الكتل الخراسانية المتساقطة، وحول جسده الصغير استقرت ذراعا الأم المبتورتان..

الشيء المرعب الذي لاحظه أيضًا، أن الهواء بدأ ينفد من حول الطفل، ومن الواضح أنه لن يكفي الوقت لإنقاذه..

كان موقفًا رهيبًا، فالفارس الأسود عاجز عن القيام بأي فعل، بسبب حالته الشبحية العجيبة..

حاول استدعاء الكاهنة، ولكنه لم يعثر في ذهنه على أي رمز من

رموز التعويذة، وكأنها تلاشت من عقله تمامًا، وهي سابقة تحدث لأول مرة، حاول استخدام تعويذة تجسد يتقنها دون جدوى.

وبطرف عينيه شاهد هيلين وقد أقبلت في هيئتها الشبحية، لتنفث دخانها الأسود في أجواء المكان ليحيط بجسد الطفل، والمحتضرين، والمحتجزين.

إن هيلين في كل مكان، تتبع الألم، وتتشربه، وتساعد في بناء صرحه الغاضب..

إنها تنتقل.. من عصر.. إلى عصر.. ومن حقبة.. لحقبة، ولو امتلكت القدرة على رؤيتها، لشاهدتها في مسرح آلاف الجرائم.

مع زوج يائس يقتل زوجته في لحظة غضب، أو بجوار شاب يقتل أباه لأنه نهره، أو لأن أباه لا يروق له.. في معارك أطفال الشوارع، والتي تنتهي بتهشيم رأس أحدهم.. في عين أب يذبح ابنته لشكه في سلوكها، دون دليل مادي.. في قرار إبادة جماعية، يتخذه دكتاتور.. في حكم ظالم لقاضٍ مشهور بالعدل..

لقد فاقت (هيلين) الشيطان، في وسوسته، وبث شروره، إنها شر خالص، ضحية قررت أن تكون أسوأ من جلادها، فتحولت إلى شيطان مريد.

شاهد الفارس الأسود الدخان الشيطاني يتكاثف حول جسد الطفل، لم يرحمه صغر سنه، ولا بكائه من قبضة ذلك الزخم السلبي الذي تبثه حولها، فمع كل هذا الشر والحقد الذي يعايش أثاره، سيموت من الخوف، قبل أن يموت من نقص الأكسجين.

وبعجز كامل حضر الفارس الأسود، لحظات الطفل الأخيرة، فرآها وهو يختنق، ويئن، ويحتضر، وملامح الرعب ترتسم على وجهه، قبل أن يموت.

وفي هذه اللحظة، أدرك الفارس الأسود، مهمته، وعلم أن الكتاب لم يقوده عبثًا إلى هذه المغامرة، بل كان يهيئه، تدريجيًا، لتقبل مهمته، وهي القضاء على هذا الطيف الأسود البغيض.

وفي داخله اختلط الغضب مع الكراهية، برغبة عارمة في الانتقام، ومع تصاعد جذوة الكراهية، وغول الغضب، تكونت تعويذة التجسد المقبولة في هذا البعد، وعلى الفور انهارت الموجودات من حوله، وحدث التجسد في مكان مظلم تفوح منه رائحة يعرفها الفارس الأسود جيدًا، رائحة الموت..

وهناك، وبين شواهد القبور الشاخصة، كانت هيلين تهيم في رقصة جنونية تحت ضوء القمر الفضي، الذي تحجب نصفه سحابة خجلة تمر مسرعة، وكأنها تتحاشى هذا الموقف المرعب.

تجاهلت هيلين، وجود الفارس الأسود بقربها بطريقة استفزته، وهي تواصل رقصها العجيب.

وهو لم يكن بحاجة إلى إذنها أو لفت نظرها ليتم مهمته الملعونة، فسحب سيفه الخارق، وقد لمعت عيناه ببريق الغضب، واتجه صوب القبر الذي تهيم فوقه، والذي كان يتماوج في قوة عجيبة، كأنما هناك ريحا عاتية تعصف به.

تقابلت العينان، فتبادلا نظرات متحدية، تألقت خلالها عينا الطيف

البيضاء في قوة، قبل أن يقطع الطيف المخيف المسافة التي تفصلهم في لمح البصر، ليدور حول الفارس الأسود، في حلقات راقصة متحدية مستفزة، ومثيرة للأعصاب.

كان الفارس الأسود يشعر بضغط نفسي رهيب، لمجرد وجوده في محيطها، فقد كانت تشع موجات سلبية مدمرة، جعلته يتعجل هجومه، وبالفعل استدعى الفارس الأسود قوة سيفه، فتألق بشدة، وهو يقبض على مقبضه في قوة، ثم وجهه نحو الطيف المستفز، وأطلق منه شعاعا زمرديا اخترق كيان الطيف، وعبره، دون أن يظهر على الطيف أدنى تأثر.

كانت هذه هي المرة الأولي، التي يخذله فيها سيفه، فيفشل في القضاء على أحد أعدائه.

ربما لأنه طيف، والكائن الأصلي ميت، أو لأن لهذا البعد خواصه الخاصة.

السؤال الآن الذي هو بحاجة ماسة إلى إجابته:

مما يستمد هذا الطيف قوته، وكيف يبث شروره، وأحقاده؟!

تفاصيل كثيرة كانت مجهولة لها عن هذا الطيف القاتل، الطيف الذي استمر في رقصاته المستفزة، وكأنه كان يتحدى الفارس ويقول له، أرني أقصى ما عندك.

أراد الفارس الغاضب إطلاق الشعاع الزمردي نحو الطيف مجددا، لكن السيف لم يستجب، وكأنه يعرف ألا فائدة، وهنا اضطر الفارس الأسود إلى استخدام سلاحه الثاني، نجوم سيروم.

وهي نجوم قاتلة تشبه النجوم التي يحملها مقاتلي النيجا، وتختلف عنها في أنها لا تخطئ هدفها أبدًا، ولكن لها أثر سلبي شديد الخطورة على من يستخدمها، فهي تستنزف طاقة جسده وتضعفه، وبالتالي لو فشلت فصير ضحية عاجزة بين يدي عدوه.

وبرغم معرفة الفارس الأسود لتبعات استخدامها، وأنها قد تجعله ذا لقمة سائغة وفريسة سهلة في قبضة الطيف الأسود، إلا أنه لم يكن يمتلك حلًا آخر، فقرر استخدمها كمحاولة أخيرة يائسة.

وانطلقت النجوم الخارقة لتخترق الطيف الشبحي، وعادت كما انطلقت، دون أن تحدث أي تأثير عليه، ليسقط بعدها الفارس على على ركبتيه، متحاملًا على طرف سيفه..

وانتهز الطيف الفرصة، فاخترق جسد الفارس الأسود، وشرع في السيطرة على عقله..

وقاوم (الفارس الأسود)..

وقاوم..

ولكن الأفكار الشريرة، كانت تنسكب بداخل عقله، كالحمض الحارق.

ومع كل ذكرى كانت تتحرر من عقله، نتيجة هذه السيطرة العقلية المدمرة، كان يمر بتجارب ضحاياه السابقين ومعاناتهم وآلامهم، فخاض غمار الألم في رحلة لا تنتهي، وبدا الأمر وكأن النهاية تكتب..

نهاية (الفارس الأسود)..

كان الألم يتصاعد..

والموت يقترب..

وعقل (الفارس الأسود) يدور، ويكافح، ويحاول أن يصنع درعًا عقليًا يحميه، دون فائدة، لقد جرب تعويذة الدرع من قبل، ولكنه لم يتقنها، ولم يكن في وضع ممتاز لتنجح هذه المرة،

وكعادته عندما تتعقد الأمور، جاءته الفكرة كإلهام نبع من قلب الألم، وردد تعويذة أخرى يتقنها جيدًا، ولكنها كانت تحتاج إلى درجة معينة، من الشر، درجة لم يصل إليها إلا مرة واحدة فقط، عندما تناول عن عمد، بعض من مسحوق كونار المخدر، الذي يصنعه الأقزام.

سكن هذا الشر، قلب الفارس الأسود الذي امتلأ بالثورة، والغضب، والكراهية، والألم، وأصبح هو الأرض السحرية التي نبتت فيها تعويذة لتفتح الثغرة لصيادي ذلك السجن الشيطاني، ليقتنصوا فريستهم الغافلة.

ففور أن ردد التعويذة تألق الفراغ، فوق شواهد أحد القبور، وانفتحت الثغرة، وظهرت اليد المخلبية الطيفية من العدم، لتنقض على الطيف المنهمك في رقصته الشيطانية، والذي حاول الهرب من ذلك الفخ المحكم الذي فاجأه دون جدوى.

ليصرخ الطيف في غضب مستعر، وكأنه يعرف الهول الذي سيقاسيه، بعد أن وقع فريسة لصائد الأطياف، وهي نهاية من أصعب وأشنع النهايات، ولا يتمناها قلب مظلم لعدوه..

قاتل الطيف الشبحي للهروب من اليد المخلبية، ولكنها كانت قد أحكمت قبضتها عليه، وسحبته إلى مقبرة الأطياف، حيث الجحيم الحقيقي.

وسقط فارسنا أرضًا، وقد أسند ظهره إلى جدار أحد القبور - والتي بالتأكيد انزعج قاطنوها مما دار في باحتهم منذ قليل - وأخذ يستنشق الهواء بشراهة.. ويعب منه كالمحروم، وقد ساد الصمت حوله، إلا من صوت دقات قلبه، الذي كان يكافح كي لا يتوقف مع حالة الضعف التي أصابت صاحبه، وأنهكته.

ودون مقدمات، بدأت الموجودات حوله من تنهار من مبتلعة نصف منطقة المقابر، وأخذت شواهد القبور في التلاشي، وقبل أن ينهار كل شيء ويكمل تجسده في غرفة نومه، قرأ على شاهد أحد القبور المتحللة، اسمه الحقيقي، اسمه الملعون، وبأسفله كانت ظاهرة بجلاء خمس أصابع من الدم..

وكانت صدمه عنيفة زلزلته، جعلته يتساءل في فزع، هل تجسده الأخير، خلف الطيف تم في المستقبل، وهل هو المستقبل البعيد أم القريب؟

وهل قاتل طيف العذاب فوق قبره هو، دون أن يدري؟!..

والسؤال الأهم: هل قضى على طيف العذاب؟.. أم لا؟

هل سيعود طيف العذاب يومًا لينتقم؟!..

هل هناك مواجهات قادمة بينهم؟!

وبالطبع لم يجد إجابة واحده تريحه..

فترك الأسئلة معلقة في سماء واقعه الكئيب، كي تجيب عنها الأيام، وأغمض عينيه، وأغلق الكتاب..

لقد حاول أن يجد التسلية، ليهرب من براثن الواقع، فأورثته رحلته.. كآبة لا مثيل لها..

فالمعرفة حمل ثقيل وثمين..

ولا شيء بلا ثمن..

الحكاية الثالثة

الأرض المحرمة

1

العدو الأبدي لعالم الخير هو عالم الشر..

والعدو الأبدي لعالم الشر هو عالم الخير..

فهل يلتقي يومًا العالمان؟!!

***

جلس اللورد كاميرون على مائدته الهائلة الحجم في غرفة الطعام الرئيسية، بقصره العريق، والذي يقع فوق تلة رائعة الجمال لا تظهر على خرائط جوجل لأنها تقع على أطراف مملكة الظلام، وتطل على البحر مباشرة، وإن كانت الستائر السميكة على النوافذ تحجب هذا المنظر المبهر.

أحضر له الخادم طعام العشاء المكون من قطعة من اللحم النيئ، وكأس من الدماء الطازجة، في آنية من ذهب، ثم انحنى لسيده وتراجع عدة خطوات إلى الخلف، وتوقف في ركن غير بعيد استعدادًا لتلبية طلبات سيده كأي خادم محترف.

شرع اللورد كاميرون في تناول طعامه باستمتاع، بطريقته الاستعراضية، الأرستقراطية، وما أن أنهى التهام اللحم حتى شرع على الفور في شرب الدماء الطازجة من الكأس الذهبي البراق، ليشعر بنشوة عارمة مع تدفق الدماء في جسده، وسري في جسده شعور طاغٍ بالاستمتاع لم يقطعه إلا طرقات خافتة على باب القاعة.

دفع خادم آخر الباب برفق ودلف بخطوات محسوبة إلى داخل

الغرفة وهو يقول:

– آسف سيدي على إزعاجك، أعرف أنه لم يكن عليّ أن أقاطعك في وقت عشائك، ولكن الفارس الأسود قد حضر ولا يصبر على الانتظار و...

وقبل أن ينتهي من آخر كلمات جملته، وجد الفارس الأسود وقد دخل القاعة، بزيه الأسود اللامع وقناع العينين الذي يخفي الكثير من ملامح وجهه، وإن لم يخف وسامته الواضحة، وسيفه الخارق الشهير الذي يتألق مقبضه في غمده.

ترك اللورد كاميرون كأس الدماء الذهبي، ووقف مرحبًا، وهو يرسم ابتسامة شاحبة على وجهه، أظهرت أنيابه الحادة وهو يقول:

– أي رياح طيبة ألقت بك في قصري المتواضع أيها الفارس الأسود؟

فقال الفارس الأسود بصوت حازم:

– رياح الدم هي السبب في ذلك.

نظر له اللورد كاميرون، وهو يقول:

– أي رياح دم تقصد؟!

ابتسم الفارس الأسود في سخرية، وهو يقول:

– ألن نجلس أولًا، أم أنك فقدت كرم ضيافتك المعهود؟

تراجع اللورد كاميرون مبتسمًا وهو يشير إلى مقعد خالٍ بجواره:

– على الرحب، والسعة أيها الفارس الأسود، هل تتناول شيئًا؟!..

ولكن الفارس الأسود قال بصوت حازم قاس:

– دعك من هذا الكلام المنمق.. فقد أتيت إليك بشأنه بالغ الخطورة، أريد استشارتك في شيء أنت أعلم به مني بحكم كونك مصاص دماء قديم.. وله مكانته.

نظر له اللورد كاميرون نظرة ذات مغزى، فتابع الفارس الأسود حديثه قائلًا:

– أنت تعلم أن بوابات الهلاك قد فتحت مهددة بخطر عظيم وقاتل و..

قاطعه اللورد، وقال بلهجة غير المتفاجئ:

– ولكن سيدة الظلام، وأعوانها أغلقوها وأنا متأكد من ذلك.

فقال (الفارس الأسود):

– جميعنا نعلم ذلك، ولكن ما لم تعلمه أنت أو غيرك، أن هناك شرًا مستطيرًا تسلل عبره عندما فتحت بوابات الهلاك، لقد لفظ الجحيم أعتى وحوشه وأفظع كوابيسه.

شهق اللورد (كاميرون) بشدة وهو يقول:

– إنك لا تتحدث بالتأكيد عن الفمباروس.

قال الفارس الأسود في ضيق:

– هو بعينه يعيث فسادًا الآن في الأرض المحرمة، بحثًا عن قواه

المفقودة، إنه يريد أن يحكم عالم الظلام، وبالتأكيد لديه خطة لذلك.

قال اللورد كاميرون بصوت مرتجف:

– يا إلهي يجب أن نجد وسيلة للتخلص منه، إنه بالتأكيد لن ينسى خيانتي له في الزمن الأسود.

قال (الفارس الأسود) بهدوء:

– وهذا ما جئت لك بشأنه إن الخطر يهددنا جميعا، الفمباروس خطر على كل مخلوقات عالم الظلام، لن يسلم منه خيّر أو شرير، أنا أعلم الآن أن الفمباروس يحاول توسعة رقعة نفوذه، في الأرض المحرمة، وكل جيوش الممالك المحيطة بها في حالة حرب طاحنة معه، ولكنه ما زال يمتص حيوية مخلوقات المستنقع ولن يمضي وقت طويل قبل أن يمتلك الأرض المحرمة، ويأتي الدور بعد ذلك على مملكة الظلام ومملكة المجنحين، لن ينجو من براثنه مخلوق، الكل سيندمج في كيانه القذر والجحيم سيشتعل في كل مكان.

قال اللورد كاميرون:

– أنا مستعد لأي تحرك يساعد على إعادة هذا الملعون إلى بوابات الهلاك، ولكني لا أدري كيف يمكن أن نهزم هذه القوة العاتية.

أجابه الفارس الأسود:

– إن لدي خطة شاملة، ولكنها لن تنجح من دونك.

تحفز اللورد كاميرون وقال:

– أخبرني بها..

أخذ الفارس الأسود يلقي على مسامعه بالخطة شديدة الجرأة، ورويدًا رويدًا، بدأت الخطة تروق الورد كاميرون برغم خطورتها الشديدة، مما جعله يهتف بانفعال:

– أنا معك..

فقال له الفارس الأسود:

– لم أكن أشك في ذلك..

ثم صمت قليلا واستطرد قائلًا:

– ولكن ترى هل سيكفي اتحادنا للقضاء على الفمباروس حقًا؟

وظل السؤال معلقًا في سماء الغرفة..

لتحسمه الأيام القادمة..

2

في مملكة الظلام، وبالتحديد بداخل قصرها الشهير المنحوت بداخل الجبل، وعلى شاطئ بحيرة توروس، حيث تغفو عرائس البحر الأسطورية، بعد أن هجرت عالم البشر منذ زمن، جلست سيدة الظلام تفكر بعمق، فحاستها المتفوقة، تخبرها بوجود خطر رهيب، يهدد مملكتها، ولكنها لا تدري من أين ينبع ذلك الخطر، لقد توقفت منذ زمن عن استخدام بلورتها، وربما فقدت مهارتها كذلك، مع انشغالها في أمور الحكم، والحروب المختلفة التي تخوضها طوال الوقت.

دائمًا ما تثق بحاستها المدربة، والتي لم تتوقف عن صقلها يومًا بتمارين اليوجا، والتركيز، ولكنها لم تشعر يومًا، بكل هذا التوتر من قبل.

وقاطع أفكارها القلقة دخول مساعديها، حارس الجحيم، إعصار، دون استئذان وعلى وجهيهما ترتسم أعتى أمارات الفزع..

هتفت سيدة الظلام بعد أن تجاهلت عدم اللياقة في دخولهما دون استئذان، وهو شيء لم يكن مقبول أبدا في الأيام العادية، والجلد كان أقل عقوبة قد يحظيان بها:

– ماذا حدث؟

أراد حارس الجحيم أن يجيب، ولكن إعصار سبقه قائلًا:

– الفمباروس، لقد خرج من بوابات الهلاك.

انقبض قلب سيدة الظلام، ولكنها أخفت ملامح الانزعاج التي كادت تطفح على وجهها، وهي تقول:

– ومن جرؤ على، كسر خاتمي، وفتح بوابات الهلاك، وأطلق هذا الملعون، إن الفمباروس مخلوق همجي، لا يدين بالولاء لأي أحد، ولا يرد الجميل لأحد، إن من ساعده سيكون مصيره الهلاك.. كالجميع..

قاطعها حارس الجحيم وهو يقول:

– لقد تسلل الفمباروس، حينما فتحت بوابات الهلاك على يد الساحر بورك، والذي كان أول ضحاياه عندما حاول أن يهرب زوجته، المحكوم عليها بالنفي لهناك، باستخدام سحر البشر الأسود، لقد استطاع السحر كسر الخاتم، ولكنه لم يمنع خروج الفمباروس، الذي تسلل منها قبل أن تغلق على يد كاهن مملكتنا، وها هو الآن يعيث فسادًا في الأرض المحرمة.

صمتت سيدة الظلام سيدة الظلام هنيهة قبل أن تقول:

– إن هذا خطر استثنائي كما تعرفان، ولا يكفي أن نتصدى له وحدنا يجب أن تجتمع كل قوى الظلام معًا للتصدي له، فلم يعد الخطر يهدد شخصًا أو مجموعة بعينها، ولكنه يهدد كل عالم الظلام بأسره، لو لم يتحد الجميع، لهلك الجميع.

وقبل أن تكمل كانت مساعدتها نيرفانا، تتجسد بزيها الأبيض المحلى بحزام ذهبي، وتخترق الزمن قادمة من القرن التاسع عشر حيث تقطن، وهي تقول في جزع:

– هل وصلتكم آخر الأخبار؟!..

انتفض حارس الجحيم لمرآها، وقد أخذت دقات قلبه تتعالى قبل أن يقول بهيام:

– أي أخبار؟!..

أجابت في سرعة:

– أخبار الفمباروس الرهيب، لقد بسط هذا المخلوق الجهنمي، نفوذه عبر الحواجز الزمنية، ويحاول الآن أن يصل إلى القوى السوداء المطمورة في الماضي السحيق، ليقضي بها على سادة الظلام.

صمت الجميع منتظرين رد فعل سيدة الظلام على هذه الأخبار السيئة، ولكن رد فعلها جاء مخيبًا للآمال، عندما أشارت إلى الجميع قائلة:

– اتركوني قليلًا، وسأكون معكم بعد عدة دقائق.

احترم الجميع طلبها، فلا معنى له إلا أنها بحاجة إلى التفكير بعمق دون أن يقاطعها أحد، لتبحث عن وسيلة استثنائية، تساعد عن طريقها في التصدي لهذا الخطر المروع!..

وبالفعل، انصرف الجميع خارجين إلى بهو القصر، في حين اشتعل عقل إعصار، ليتذكر ما درسه قديما عن الفمباروس وخطره الشامل، على يد معلمه، بينما وجه حارس الجحيم كل اهتمامه وتركيزه، نحو مسافرة الزمن نيرفانا، فاستدار يواجهها، وهو يحاول أن يرسم أجمل ابتساماته على وجهه قائلًا:

– نيرفانا.. لقد أوحشتني بحق..

وابتسمت نيرفانا، ابتسامة رائعة جعلتها أشبه بشمس مشرقة، وهي تقول معابثة حارس الجحيم:

– حقًا؟

3

تبع الفارس الأسود، اللورد كاميرون إلى قبو قصره المنيف، وفي خلال سيره في الممرات الطويلة المتشابكة، الهابطة عبر تصميم هندسي نادر إلى باطن الأرض، حيث القبو، تذكر كيف وصل به الحال إلى أن يكون في قصر مصاص الدماء الخبيث اللورد كاميرون.

فبعد مغامراته في أرض الأقزام وملكة الشحابين، وأرض العمالقة، ورحلته المستقبلية مع طيف العذاب، شعر بأنه يرزح تحت ضغط رهيب، خاصة وأن عليه أن يخرج من هذا العالم إلى عالم الواقع، الذي أصبح بعيدًا جدًا عن محور اهتماماته، خاصة وأنه هناك نكرة لا قيمة له ولا وزن.

والكتاب لا يساعده على البقاء في مملكة الظلام، إلا لوقت معين ينهي فيه بعض المهمات، التي أصبحت دموية إلى حد كبير هذه الأيام، وكأنما يعده الكتاب ليكون أشهر قاتل في عالم الظلام.

وفي هذا التوقيت الحرج، قرر أن يتصدى لسيطرة الكتاب، ويفرض إرادته عليه، ليتمكن من البقاء لأطول وقت ممكن بداخل مملكة الظلام، حيث بدأ أسمه يلمع، وقدراته تعرف، وبالتالي سيستطيع أن يصنع مكانة له، هذه المكانة ستمكنه، من الحياة إلى الأبد في ذلك العالم الذي يلفظه الآن.

لم يكن تفكيره منطقيًا ولا سليمًا، الضغوط التي مر بها هي التي صنعت ذلك الاختلال في نظرته إلى لأمور، ونتيجة لعناده وإهماله

للكتاب، أدخله الكتاب في فخ زمني رهيب، ذاق خلاله الأمرين، في خلال ثلاث سنوات قضاها في ما وراء عالم الظلام، ليخوض حروب ليست له، وليصادق ويعادي أشر مخلوقات مملكة الظلام.

لقد قضى ثلاث سنوات كاملة، في المنطقة المحظورة، وثق فيها علاقته بكاهنة الماسة النارية، وتبدلت فيها شخصيته، فقد دخلها وهو مقاتل، وعاد منها معلقا، وذهب إليها وهو قاتل، ليخرج منها سفاحًا، وفي النهاية كان فخ الكتاب خير مساعدة حظي بها طوال حياته، والعجيب أنه عندما عاد لوعيه، لم يكن قد مر عليه إلا أسبوع واحد.

والعجيب أن أثار رحلته ظلت مستمرة، وتأكد من هذا في آخر رحلاته للمنطقة المحظورة، فالفخ الزمني كان مزدوجًا، لقد عاد به إلى الماضي ثلاث سنوات، عاشهم هو في جحيم متصل، وعندما عاد، عاد إلى زمنه هو بفارق أسبوع واحد.

وفي أثناء قيامه برحلته الأخيرة، رصد مراقبي مملكة الغيلان، هروب الفمباروس، ولأنه في خلال السنوات الثلاث الماضية، كان قد صنع شبكة علاقات أسطورية، لذا فإنه قرر أن يتحرك ليدافع عن العالم، الذي أراد أن يعيش فيه إلى الأبد، ومن جعبة معلوماته التي امتلأت حتى آخرها، اختار مصاص الدماء الخالد، ليكون عونه في التصدي للخطر، ولو نجح الأمر، لن يكون مجرد مغامر جوال يجوب عالم الظلام.

لقد كان الكتاب الجهنمي يمهد لهذه اللحظة، وهو لن يكون أقل طموحا منه، و..

توقف اللورد أمام لوحة قديمة، لعجوز ذو شعر فضي يشبه اللورد كاميرون، ووقف أمامها وكأنه يقيم لها صلاة خاصة، مما جعل فارس الظلام ينتبه له ويقول:

– أرى يا لورد كاميرون أن تعجل في طلب أعوانك من أجل تنفيذ الخطة، إن الخطر يفرض نفوذه بسرعة رهيبة ويمتلك القوة في كل لحظة تمر، إن حنينك إلى أجدادك لا وقت له الآن.

ابتسم اللورد ابتسامه شاحبة، وهو يشير إلى اللوحة قبل أن يقول:

– عجول أنت كعادتك أيها الفارس الأسود، إن هذه اللوحة هي مفتاح السر، وأعواني سيكونون هنا بأسرع مما تتوقع.

قالها فتحركت اللوحة جانبًا، لتظهر رافعة معدنية ذات مقبض ذهبي، جذبها اللورد كاميرون بقوة، لينزاح الحائط جانبت، ويظهر باب القبو، الذي سرعان ما انفتح بمجرد أن ألصق لورد كاميرون كفه بمربع رقمي بجواره، ليظهر خلفه كهف رهيب متسع، وكحيلة أخيرة لإبهار الفارس الأسود، صفق اللورد بيديه، فاشتعلت مئات المشاعل الكهربائية لتضيء الكهف، ليرفع الفارس الأسود، حاجبيه أسفل قناعه الأسود اللامع، ويقول بصوت خالطه الإعجاب:

– لورد كاميرون، إن مفاجآتك لا تنتهي.

أسعد الإطراء اللورد فرد عليه قائلًا:

– إنني أعد عدتي للزمن، فلا أحد يعرف ماذا يمكن أن يحدث غدا، ولكن اصبر قليلًا، فأنت لم تَرَ أكبر مفاجآتي بعد.

وضغط على أحد الأحجار الموجودة في الجدار الصخري للكهف،

فانزاحت الأرضية الصخرية ليظهر تحتها المئات من الصناديق الزجاجية المصنوعة من ألياف الكربون، والتي يرقد بداخلها المئات، وربما الآلاف من مصاصي الدماء.

وفي فخر أشار اللورد إلى الصناديق وقال:

– ها هو جيشي أيها الفارس الأسود سأضعه كله تحت إمرتك، على أن تخلصني من هذا الخطر، وتدرأه عني.

قاطعه الفارس الأسود، في استنكار، وهو يقول:

– ولكن قوتك معي هي ما أريد فأنت تحمل دمًا قويًا..

استدار اللورد إلى الصناديق التي تراصت في نظام مهيب، وأشار إليها وهو يقول:

– ولكن كل هؤلاء أبنائي يحملون دمي وقوتي، وسيكونون وسيلتك لدخول الأرض المحرمة..

صمت (الفارس الأسود) قليلًا، فهو لم يعتد بعد الوقت الذي قضاه في المنطقة المحظورة، أن يطلب من أحد أمرًا مرتين وقال:

– وهو كذلك يا سيد كاميرون، ولكني أريد منك الآن غرفة جيدة التهوية، تدخل إليها الشمس، كي أرتاح قليلًا قبل أن أبدأ معركتي.

صحبه اللورد بنفسه إلى غرفة قوطية الطابع، مضاءة بالشمعدانات الفضية، والشموع السوداء، وذات جدران رمادية جرداء خالية، من أي معالم للزينة إلا صورة اللورد كاميرون بنظرته الثاقبة وبشرته الشاحبة، لو اعتبرنا هذه الصورة الكئيبة نوعًا من الزينة.

وقبل أن ينصرف اللورد، أشار إلى النافذة وقال:

– يمكنك بعد مغادرتي أن تستمع بالهواء والشمس، هي أشياء نسيتها أنا منذ زمن طويل.

منحه الفارس الأسود ابتسامة مجاملة، لينصرف بعدها، ويحكم الفارس الأسود باب غرفته، قبل أن يجلس، على أطراف الفراش الأسو، ليأخذ نفسًا عميقًا، ولنطق بعدها، ونطق كلمة الاستدعاء السرية..

ومن قلب العدم جاءت، تحمل بين أصابعها صولجانًا ذهبيًا يشع بضوء ساطع.. ويكسوها رداءً ذهبيًا رائعًا، تحمل معها جمالها النادر المبهر، الذي لا تباريه فيه إلا سيدة الظلام.

من قلب العدم جاءت.. بالأمل والألم..

وتابع الفارس الأسود التجسد بانبهار تام، وفي كل مرة كان يقسم إنها أجمل من كل المرات السابقة.

وبسرعة تجاوز الفارس الأسود انبهاره ودخل في صلب الموضوع مباشرة:

– بالطبع أنت تدركين طبيعة الخطر المحدق بمملكة الظلام، وتعرفين أنه لا وسيلة معروفة للقضاء عليه، ولكني على يقين أن عندك لكل مشكلة حل، هكذا أنتِ دائمًا حاضرة للمساعدة، ولم تخذليني طوال السنوات الثلاث الماضية.

تردد صوتها المؤلم في جنبات عقله، وهي تقول:

– دائمًا أنت في حاجة إلى مساعدتي أيها الفارس الأسود، وبرغم قوتك وشجاعتك إلا أنك تحتاج إلى الكاهنة المسكينة..

قال الفارس الأسود، بصوت حاول أن يخفي منه لهجة الضيق:

– لا تعاقبيني إلى الأبد بزلة لسان، لقد تعلمت من الأهوال التي خضناها معًا.. أن قدرنا واحد، وأن قوتي حينما تنبع من داخلي تبدأ من عندك، فاتركي هذه المهاترات ودليني إلى الطريق، فالوقت يمضي ومعه تتعاظم قوة الفمباروس.

دوت ضحكتها في عقل الفارس الأسود كضربة سوط مؤلمة، وهي تهتف في جذل:

– إذَن لقد اعترفت بفضلي عليك، الآن فقط أستطيع أن أرشدك إلى الحل، والحل ليس بالشيء السهل أو البسيط، فليست كل الحلول هي نهاية المشكلة.. ربما هي البداية أيضًا.

قال الفارس الأسود بنفاد صبر:

– دليني إلى الحل، واتركي الباقي لي.

قالت بصوتها الحارق:

– دائمًا أنت متعجل أيها الفارس الأسود، إن الحل يقبع هناك في مملكة الظلام، و..

قاطعها الفارس الأسود بسرعة، ورأسه قد بدأت تدور من الصوت العقلي الحارق:

– أي حل في مملكة الظلام، لا يوجد قوة في مملكة الظلام،

إلا وأعرف عنها كل شيء، ولا يوجد قوة تستطيع أن تقهر هذا الفمباروس، ولو ظهرت فجأة لعلمت بها..

عاد الصوت الحارق غاضبًا ملتهبًا ليدوي في رأسه:

– أنصت إلى كلامي حتى ينتهي، ثم انتقدني بعد ذلك أيها الفارس المغرور، إن القوة التي أتحدث عنها الآن والموجودة في مملكة الظلام، ولا تعرف عنها أنت شيء، هي قوة الحب، إنها هناك ولكن لا أحد يدري كيف يستخدمها، وسأدلك على الطريق، ولكن الثمن هذه المرة سيكون مرتفعًا، ستتخلص عن عجرفتك وتضع يدك في يد سيدة الظلام، وصدقني لا يوجد حل بديل..

صمت الفارس الأسود، وهو يدير الكلمات التي سمعها لتوه في عقله المجهد قبل أن يقول كلمة واحدة:

– مستحيل..

4

تطلعت سيدة الظلام إلى مياه بحيرة توروس السوداء الممتدة أمامها إلى مدى البصر، ثم رفعت عينيها إلى القمر الذي بدأت سحابة سوداء تغطيه وتحجب ضياءه، وهي تمعن التفكير في ذلك الأمر الجلل.

إنها تعلم طبيعة الخطر، وكيفية القضاء عليه، ولكن كيف يمكن أن تقوم بذلك؟!

كيف سيجتمع الخير والشر معًا للتصدي لمصاص الدماء الكوني هذا؟!

إن الفمباروس ليس مصاص دماء عاديًا إنه كيان هائل من الشر، لديه قوة خارقة لا تحدها حدود، وهو لا يعتمد على مص الدماء فقط من ضحاياه ككل مصاصي الدماء الطبيعيين، ولكنه أيضًا يمتص حيوية ودماء، ولحوم وعظام أعدائه، ويستولي على كيانهم المادي بداخله ليتضخم، ويصبح أكثر قوة.

إنه مخلوق من كراهية..

كان ساحرًا بشريًا متطفلًا على عالم الظلام، طموح إلى تسيده، ولكنه لم يكن يملك القوة الكافية، أو العلم الكافي ليحقق حلمه، لذلك قرر أن يسرقه، وكان حلمه الاستحواذ على تعويذة القوة المحظورة، ليحظى بالقوة المطلقة، التي حظي بها البشر قديمًا، قبل أن يقوم سادة الظلام بإخلاء الأرض منها، لتتحول إلى أساطير، بعد أن كاد البشر يفنون بها عالمهم.

منعه حراس التعويذة الأقوياء من الحصول عليها، وحماه سحره من الوقوع في قبضتهم، وفي النهاية أصابه الإحباط واليأس، فهام على وجهه في المنطقة المحظورة.

وفي إحدى الليالي المظلمة هاجمه مصاص دماء أنهكه قلة الطرائد، وأصابه باللعنة، وتحول هو الآخر إلى مصاص دماء قاتل، واستعان بقدرته على التحول، وخدع حراس تعويذة القوة، واستولى عليها.

ولأنه ساحر فاشل، أطلق قوة التعويذة من عقالها، دون أن يضع في حساباته أنه تحول إلى مصاص دماء، والتعويذة معدة للبشر، وكانت النتيجة الرهيبة، وهي تحوله لهذا الكيان البشع، المشبع بكل الكراهية التي يحملها لمخلوقات عالم الظلام.

ولم تكن المرة الأولى التي يهاجم فيها الأرض المحرمة، رغبة منه في الحصول على القوى القديمة المدفونة بأعماقها، والتي من أجلها حرمت هذه الأرض.

لقد تصدى له الأقدمون، بعد أن كلفهم خسائر فادحة، ومن أجله صنعت بوابات الهلاك الوسيلة الواحدة القادرة على احتواء شروره وتحجيمها. وأصبحت بعدها الجحيم المظلم الرسمي الذي يسجن فيه الخارجون عن قوانين الممالك المظلمة، والمتمردون.

ظلت بوابات الهلاك هي المنفى الأبدي لكل المخلوقات تعيسة الحظ، التي تسقط بين مخالب قضاة الممالك المظلمة، كانت هي مستقر الفمباروس الأخير، حتى تحرر على يد ساحر أحمق آخر، دفع ثمن حماقته سريعًا.

لم تكن سيدة الظلام تجهل وسيلة القضاء على الفمباروس، ولكنها كانت تجهل كيفية تنفيذها، فالطريقة الوحيدة أن تضع يدها في يد أعدائها، وحتى لو تقبلت هذه النقطة، فكيف يتم ذلك؟!..

أخذت تفكر..

وتفكر..

وتفكر..

وهداها تفكيرها إلى الحل الذي جاء إليها كالوحي وكأنه إلهام من السماء.

التعويذة المزدوجة..

وعلى الفور، قامت من جلستها المتأملة، وانطلقت مسرعة صوب البهو لتجد حارس الجحيم وإعصار ونيرفانا، صامتين وقد امتقعت وجوههم، وتلونت بالقلق فسألت على الفور:

- هل من جديد؟!

رد نيرفانا بسرعة:

إن الفمباروس قد سيطر على مرتفعات ومستنقعات الأرض المحرمة، ولم يتبقَّ أمامه إلا مملكة المجنحين، ليصل إلينا وقد جاءتنا الأخبار بأن الفارس الأسود، يقود جيشًا من مصاصي الدماء ويخوض معركة رهيبة الآن، ولكن خسائر الجميع فادحة.

تلقت سيدة الظلام الأخبار، وغرقت في تفكير عميق، وقالت:

إن الفارس الأسود خصم شجاع، ولكنه لن يصمد أمام بطش الفمباروس، وحتى لو انضممنا إلى المعركة الآن، بدون خطة مناسبة فلن تكون النتيجة إلا ضياعنا جميعًا.

دلف الخادم إلى حيث اجتمع الجمع، ووجه حديثه إلى سيدة الظلام وقال:

– سيدتي إن اللورد (كاميرون) يطلب الأمان واللقاء، ويقول إنه يحمل رسالة من الفارس الأسود.

استشاط حارس الجحيم غضبًا، وظهرت النيران في عينيه وهو يقول: كيف جرؤ ذلك الحيوان عاشق الدماء للمجيء إلى هنا، سأسحقه، سأمزقه.

إلا أن سيدة الظلام أشارت له كي يهدأ، وقالت بحكمتها المعتادة وهي تشير إلى الخادم:

– أدخله على الفور فالوقت ليس، وقت تجديد العداوات القديمة.

كظم حارس الجحيم غيظه في صعوبة، ودخل اللورد كاميرون بخطواته الأرستقراطية المحسوبة، ومع دخوله انتشرت رائحة الكبريت المنفرة في المكان مما جعل أنوف الجميع تتقلص في اشمئزاز.

أخفى الجميع مشاعرهم عدا حارس الجحيم، والذي التصق الغضب على وجهه وكأنه ولد به.

واقترب اللورد كاميرون من سيدة الظلام وهو يتجاهل الجميع، قبل أن يقول بصوت عميق وهادئ:

– التحية لسيدة الظلام، والديجور.

نظرت إليه سيدة الظلام نظرة طويلة، ثم قالت بصوت بارد:

– أهلًا بك لورد كاميرون، هات ما عندك على الفور، فالوقت غير مناسب للمجاملات وبروتوكولات الضيافة.

ابتسم اللورد كاميرون وقال:

– إنني أحمل إليكِ رسالة خاصة من الفارس الأسود.

ورمق الجميع في استخفاف وأردف:

– وأرجو أن تتسلميها بمفردك..

انطلق صوت حارس الجحيم الغاضب هادرًا، وهو يقول:

– أفصح عما لديك على الفور أيها المتحول، إن سيدة الظلام لا تخفِ عنا أي شيء، إننا جنودها المخلصين.

تجاهله اللورد كاميرون، وهو يوجه الكلام إلى سيدة الظلام:

– الرسالة لكِ وحدك يا سيدتي.. الآن أو أنصرف..

قالت سيدة الظلام بلهجة محايدة:

– لولا الظروف التي نمر بها جميعًا لما تحملت وقاحتك وغطرستك، ولما غادرت قصري حيًا، ولكن لنتغاضى عن الأمور الشخصية، ونعد إلى العمل ثم استدارت إلى حارس الجحيم وإعصار ونيرفانا، وقالت:

– أعدوا أنفسكم للقتال واستدعوا كل حلفائنا، إنني سأنهي

حديثي الخاص مع مصاص الدماء هذا، رغم أني قد استنتجته مسبقًا، وهو يتماشى مع خطتي، وسأعود لأقودكم إلى المعركة.

لم يعجب حارس الجحيم أن تصدع سيدة الظلام إلى طلب مصاص دماء مهما كانت مكانته أو الظروف المحيطة، ولكنه امتثل لطلبها، وقبل أن ينصرف ألقى إلى اللورد كاميرون نظرة كارهة، ولو كانت النظرات تجسد الأفكار، لمزقته إربًا.

ثم اندفع كالبرق، وهو يتمتم بسوء المعاملة وخلفه إعصار ونيرفانا.

ودون أن تضيع سيدة الظلام لحظة واحدة، استدارت سيدة الظلام لتواجه اللورد كاميرون، وقالت:

– أطلعني على الرسالة يا مصاص الدماء، فكما ترى وقتي مشغول، وعندي معركة أخوضها..

تجاهل اللورد كاميرون طريقتها المستفزة في الحديث، ونظر إليها في صمت للحظات، ليشرع بعدها في الحديث، وفي خلال دقائق معدودة أطلعها على فحوى الرسالة، والتي كانت تحتوي على الخطة الشاملة لمواجهة الفمباروس، لتتسع عيناها من المفاجأة، رغم أنها استنتجت مسبقًا جزءًا منها، وقالت:

– رغم أني لا أثق بأية خطة لا أضعها بنفسي، إلا أن الظروف الاستثنائية التي نمر بها الآن، ستجعلني أوافق على خطة الفارس الأسود برغم خطورتها..

ابتسم اللورد كاميرون ابتسامه شاحبة، ثم دار حول نفسه ليتحول

إلى خفاش صغير، حلق في سماء المكان عدة مرات.. ثم اختفى..

بعدها مباشرة دخلت سيدة الظلام غرفة أسلحتها الخاصة جدًا وأحضرت لولبها القاتل، وأضافت الدرع المزدوج إلى زيها القتالي، ثم خرجت إلى ساحة القصر بكامل عتادها، حيث كان بانتظارها كل أعوانها الذين أتوا من كافة أرجاء ممالك الظلام.

كان هذا الجيش ليحكم العالم، لو كانت الحرب ضد أي عدو آخر، ولكن الفمباروس والعدو الوحيد الذي تفكر الجيوش في مصير من بعدها بعد أن تلقاه، لأنها بلقائه تكون قد هلكت وانتهت.

شدت سيدة الظلام قامتها، ووقفت فوق منصة عالية تتطلع إلى الساحة الفسيحة التي تراص فيه جيشها الكبير الممتد إلى آفاق البصر، ووقف في مقدمته حارس الجحيم، وقد بدا كقائد مهيب.

أشارت بيدها ليحل الصمت في كل مكان، وبدأت تلقي خطبتها الحماسية وقالت بصوت قوي واثق:

– اليوم يوم فارق، ولا مثيل له في تاريخ جميع ممالك الظلام، جميعنا اليوم قد نذهب إلى الهلاك، وقد ننتصر، وفي كلتا الحالتين يجب ألا تذهب تضحيتنا هباء.. لو انتصرنا سيخلد هذا الأمر أسماءنا في تاريخ الممالك، وستفخر بنا كافة الأجيال القادمة، ولو هزمنا فلا داعي لنفكر كثيرًا، لأنه لن يكون هناك أجيال تالية لنقلق عليها.

إن عدونا اليوم هو الفناء، هو الموت ذاته، ولا أقول هذا لأثبط عزيمتكم ولكن لأحثكم على بذل جهد أكبر، اجعلوا لحياتكم ثمنًا كبيرًا، واجعلوا الإيمان في قلوبكم، اليوم لكم قائد واحد.. هو أنا.

ولو لم أنجُ من المعركة، سيكون حارس الجحيم هو القائد من بعدي..

حاربوا من أجل مبادئكم..

من أجل حياتكم..

من أجل من تحبون..

اليوم سنكون قريبين جدًا من الشر سنكون أعداءه وحلفاءه، لا تتعجبوا من تناقض كلماتي فإن الأمر لن يكون عشوائيًا، وهناك خطة موضوعة بالفعل، وعلى الرغم من أن ما سأخبركم به يتنافى مع كل قواعد السرية وخاصة في أيام الحرب هذه، إلا أن الظرف القهري الذي جمعنا هو فقط ما سيجبرني على تحطيم كل هذه القواعد..

قالتها ثم صمتت لحظات، وهي تتطلع إلى العيون المسلطة على وجهها، واندفعت في حماسة تشرح لهم تفاصيل خطة الفارس الأسود.

وبعد أن انتهت، نظرت إلى الوجوه التي ظهر الإعجاب جليًا على قسماتها ، وقد تعالت أصواتهم، بالهتاف وأناشيد النصر، فالخطة كانت مبشرة برغم خطورتها الواضحة..

انتظرت سيدة الظلام حتى هدأت حماستهم وانخفضت حدة أصواتهم وقالت لهم بصوتها القوي الحازم:

– وأخيرًا سيتم انتقالنا جميعًا إلى أرض المعركة، تباعا بوسيلة فائقة السرية كانت معدة للطوارئ، ولكننا الآن في وقت يفوق الطوارئ خطورة، ولا يعلم بها إلا أنا وحارس الجحيم.

ثم نظرت إلى حارس الجحيم بنظرة ذات مغزى، وعلى الفور استدعى قوته الخارقة، وفرد جناحيه، وارتفع فوق الحشود المتأهبة، وبدأ يدور دورات سريعة فوق الحشود، وأمام الجميع ارتفعت سيدة الظلام إلى أعلى وخفق جناحاها الأسودان واشتركت في دورة واسعة مع حارس الجحيم.

وهذه الأجنحة وغيرها من الأشياء الخارقة، هي قدرات فائقة تختلف من فرد لآخر، ومن مكان لمكان في عالم الظلام، فقدرتهم على الطيران هذه من الأشياء المعتادة في مثل هذا المكان، فمن يسكن الجحيم لا بد أن يناله جزء منه.

اكتملت الدورة السريعة، وبتزامن واحد ردد الاثنان تعويذة انتقال خاصة جدًا، وبعد لحظات أصبح الجميع يتوافدون على أرض القتال، وفي خلال ساعة واحدة، كان جيشها كله يصطلي في أتون المعركة.

كان الفارس الأسود في طليعة القوات المحاربة، يقاتل بشجاعة لا مثيل لها، وجيش مصاصي الدماء الذي يقوده في تناقص مستمر.

الأشلاء في كل مكان، والدماء تتناثر كالجحيم.

الفمباروس يبلع مساحة ضخمة من مكان المعركة، بجسده الهلامي الضخم الذي يتزايد مع تساقط الضحايا.

ألاف من الأذرع الهلامية تشيع الدمار والخراب في كل مكان..

الفمباروس ليدافع عن نفسه، تحول إلى كيان إخطبوطي هائل يهاجم بشراسة وعنف وبلا رحمة..

هم جيش سيدة الظلام الذي تجمع أخيرا في السهل الكبير بالاشتراك في المعركة فور اكتمال عدده إلا أنها أشارت إليهم بالانتظار، ثم أرسلت رسالة عقلية إلى الفارس الأسود ليبدأ في تنفيذ الخطة، وأرسلت إليه التعديل البسيط الذي أضافته على الخطة، فأطرى هو على هذا التعديل.

وبسرعة رهيبة أرسل رسالة إلى جيش مصاصي الدماء، الذي لم يعد متبقيًا منه إلا مائة مصاص دماء متحول، وأمرهم بالهجوم بضراوة.

ثم انسحب إلى الخلف، وأشار إلى التنانين المجنحة لتهاجم، ولم تكن التنانين الموجودة في أرض الظلام مماثلة للتنانين التي نعرفها، بل كانت تنانين قزمة، تنفث السم من بين أنيابها كالثعابين، وكانت كل مهمتها أن تشتت تركيز الفمباروس عن سيدة الظلام، أما عن التنانين العملاقة التي تنفث اللهب، لم يعد منها إلا أعداد بسيطة تسكن الغابة الشمالية.

فور أن تشتت تركيز الفمباروس مع هجوم التنانين الضارة، قامت سيدة الظلام باستخدام موهبتها القديمة كساحرة من ساحرات كوت، استخدام السحر وألقت درعها في السماء، وأطلقت في نفس الوقت تعويذة الدرع ليتكون درع مزدوج، حصر القتال بين مصاصي الدماء المائة، والتنانين القزمة، و(الفمباروس)..

وبكل ما يعتري الفارس الأسود من حماس، وجه رسالة عقلية إلى سيدة الظلام وقال:

– الآن يا سيدتي..

أعطت سيدة الظلام إلى نيرفانا وحارس الجحيم الإشارة ليستعدا مع جنودهم، وتقدمت هي والفارس الأسود ليحاذيا الدرع الذي أخذ يضعف تحت وطأة ضربات الفمباروس الهائلة بعد أن قضى على آخر مصاص دماء، واحتواه في كيانه الهائل..

نظرت سيدة الظلام حولها لتتأكد من أن كل واحد في مكانه المحدد، أرسلت رسالة عقلية إلى مساعدها وقالت بصوت قوي منفعل:

– الآن يا حارس الجحيم، حرك جنودك، ثم أطلق طيفك ليجتذب نظر هذا الكيان بعيدًا، وأنتِ يا نيرفانا استخدمي كراتك السحرية المتفجرة لصنع ساتر من الدخان، وأنت أيها الفارس الأسود، ابدأ في إلقاء التعويذة وأنا سأكملها.

وفي تناسق رهيب بدأت الخطة..

فانطلق الكيان من داخل حارس الجحيم، وهو كيان شبحي استحوذ على جسد حارس الجحيم في إحدى مغامراته، وسكن بداخل جسده وبعد صراع عنيف تمت بينهما معاهدة على أن يساعد كل منهما الآخر، مقابل أن يظل التعايش بينهما إلى الأبد، وقد نجح هذا التعايش تماما، وخاضا معا مغامرات لا حصر لها، وأخذ الكيان الشبحي يطير حول الكائن الأخطبوطي في حلقات عشوائية بسرعة رهيبة، أورثت للفمباروس الجنون، فانشغل بالكيان الذي طور من هجومه، وتكاثر ليتحول إلى عدة كيانات شبحية، اشتركت في خطة الإلهاء، ومع تصاعد ثورة غضب الفمباروس، وبدأت الأدخنة تتصاعد من حوله من كرات نيرفانا الدخانية التي كست المكان كالضباب.

في نفس اللحظة التي انتهى الفارس الأسود، من ترديد الجزء الخاص به من التعويذة، وتبعته سيدة الظلام في ترديد الجزء الخاص بها لإكمال التعويذة المزدوجة، فهكذا يتحد الخير والشر معًا للقضاء على الفمباروس.

وبرغم كل الملهيات التي تم استخدامها، لم يكن الفمباروس بمثل هذا الغباء، لقد كشف الخدعة في وقت متأخر، وحاول بإحدى زوائده الأخطبوطية أن يهاجم سيدة الظلام، قبل أن تكمل التعويذة..

وعلى الفور استل الفارس الأسود سيفه الخارق، وانطلق طائرا ليتصدى (للفمباروس).

واشتعل المكان كالجحيم، وتناثرت الأشلاء في كل مكان..

وهاجم الجيش الذي تقوده سيدة الظلام الكيان الأخطبوطي في شجاعة لافتة للنظر للذود عن قائدتهم، في نفس الوقت الذي هاجمت فيه عدة زوائد هلامية حارس الجحيم، وحاصرته في إحدى الزوايا..

كانت وطأة الهجوم عظيمة فلم يلحظ حارس الجحيم، تلك الزائدة القاتلة وهي تتسلل من الخلف للقضاء عليه..

ولكن نيرفانا التي وضعته طوال المعركة نصب عينيها، لمحت تلك الزائدة القاتلة وهي تهاجمه من الخلف فألقت بنفسها في طريق الزائدة الهلامية مضحية بنفسها في سبيل إنقاذ حبيبها، وفي جزء من الثانية، التفت الزائدة القاتلة حولها، وأخذت تعتصرها في قوة،

بينما هي تقاتلها في عنف، دون أن تنجح في التخلص منها.

في نفس اللحظة أنهت سيدة الظلام إلقاء التعويذة، وعلى الفور فتحت بوابات الهلاك من جديد، كدوامة هائلة، أخذت تجتذب إليها الفمباروس الذي نجح في لف ممصاته حول، الفارس الأسود ونيرفانا.

وحاول حارس الجحيم أن ينقذ محبوبته نيرفانا، ولكنها كانت قد ابتعدت مع تحركات الفمباروس المجنونة، للهروب من قبضة بوابات الهلاك، وكخطوة أخيرة، هاجم جيش سيدة الظلام، آخر الجيوش المتبقية، بعد فناء، جيش مملكة المجنحين، الفمباروس بضراوة حسب الخطة الموضوعة، وبشجاعتهم الفائقة، منحوا سيدتهم الوقت الكافي لترديد تعويذة إغلاق البوابات المهلكة.

فاندفع (الفمباروس) إلى داخل البوابات حاملًا معه، نيرفانا، والفارس الأسود عن طريق ممصاته الأمامية، ومع كيانه الضخم، لم تنجح الدوامات الساحبة، في أسرة مجددًا، فأغلقت بوابات الهلاك وهو في منتصف الطريق، إلى أعماق دواماتها، لتشطر الفمباروس إلى نصفين منهية حياته، ومفنية تعويذة القوة، التي كانت وسيلة نحو الشر.

وبموته، عاد جزئه السفلي المبتور لحالته البشرية، وسقط في قلب مستنقعات الأرض المحرمة، صرخ حارس الجحيم المكلوم، باسم نيرفانا.

وانهمرت الدموع من عين سيدة الظلام برغم أنها حاولت أن تتماسك، في حين، انطلقت هتافات جيش سيدة الظلام المنتصر،

معلنة نهاية الفمباروس، ونجاة ممالك الظلام من خطر محقق،

ولكن السؤال الذي تردد في عقول من أحاطوا بالأمر علمًا:

ما مصير نيرفانا، والفارس الأسود بعد سقوطهم داخل بوابة الهلاك؟!

وظل السؤال معلقًا وسط سماء الحزن، لتجيب عنه الأيام.

ولكن الشيء الأهم الآن التهديد زال، وعاد الأمان ليخيم على المملكة.

مملكة الظلام.

الحكاية الرابعة

أبواب الموت السبعة

1

سبعة أبواب..

سبعة طرق للموت..

تُرى ما هي فرصة أي شخص للنجاة من فخ كهذا؟!

***

جلست سيدة الظلام في غرفتها حزينة، تسترجع تلك اللحظات الرهيبة الأخيرة في معركتها ضد الفمباروس، ومر شريط الأحداث أمام عينيها وكأنه كابوس أبدي لا ينتهي..

لقد مرت بلحظات مؤلمة في حياتها المليئة بالأحداث والأحزان، ولكن تلك اللحظات الأخيرة في المعركة كانت أشد ألما وحزنا ووطأة..

واللحظة الساحقة لمشاعرها والتي تعتبر أشد اللحظات إيلامًا، هي اللحظة التي قررت فيها أن تغلق بوابات الهلاك، لتقضي على شر الفمباروس المستطير.

لقد راهنت على أن بوابات الهلاك لا تبتلع إلا مخلوقات الشر، مخلوقات الشر فقط.. أو هذا ما كانت تعتقده، ولكن ما حدث خالف جميع توقعاتها، لقد ابتلعت بوابات الهلاك جنود الشر والخير معًا..

راهنت على بقاء نيرفانا بكل طاقة الحب التي يموج بها قلبها الشاب، كما راهنت أيضًا على بقاء خصمها الشريف الفارس الأسود، بعد أن جمعته التعويذة المزدوجة بقوى الخير، وما حدث كان غير

ذلك..

حاولت أن تلوم نفسها، ولكن الأمر لم يكن بهذه البساطة، فهو لم يكن خطأها أبدًا، فاتحاد الخير والشر للتخلص من غول الكراهية المتمثل في ذلك الفمباروس الشرير جعلهما كيانًا واحدًا، وقوة واحدة لا تقهر، فلم تميز بوابات الهلاك في هذه الحالة بين الخير والشر، خاصة وأن شر الفمباروس كان يطغى على كل ما حوله، فبعد أن احتوى نيرفانا والفارس الأسود بممصاته الرهيبة. أصبح الاثنان جزءًا من كيان الشر الهائل، وتعاملت معهما البوابات الجهنمية على هذا الأساس.

إذا لم يكن خطأها تمامًا.. إنها الظروف..

أدارت سيدة الظلام عينيها المليئتين بالدموع نحو النافذة، التي تطل على البحيرة المقام القصر على ضفتها، وهي تنصت إلى صوت الأمطار الذي يصطدم بسطح الماء في موسيقى عذبة تبعث على الشجن.

كان المطر ينهمر مدرارًا، وكأن السماء تريد أن تمحو أثار ليلة الشر السابقة، وتطهر الأرض من بقايا الكراهية..

أخذ المطر يعزف موسيقاه، وسيدة الظلام تراجع الأمر في عقلها مرات ومرات ومرات..

إنها كملكة لعالم الظلام، مسئولياتها جسيمة، وكقائدة الجيوش مطلوب منها دائمًا أن تحرز النصر، ولكن هل توجد حرب بلا خسائر، أو قتال بلا دماء.

إنها سنة الحياة، أن نموت من أجل أن يحيا من نحب.

كانت تحاول أن تهرب من صورة حارس الجحيم، التي تلح على عقلها بإصرار عجيب..

لم تره غاضبًا مثل هذه المرة، ولم تره حزينًا على شيء مثلما رأته الآن..

يبدو أن قلب حارس الجحيم رقيق، وليس كما يدعي، فبخبرتها الطويلة تعرف أن الرجال أصحاب المبادئ، القساة في تطبيقها، لديهم قلوب مرهفة، يخفونها خلف شجاعة تتألق مثل نور الشمس.

إن حارس الجحيم، صديقها الأثير المشاغب، يمر هذه الأيام بأصعب محنة في حياته، فجهله بمصير حبيبته المسجونة خلف بوابات الهلاك، يحيل حياته إلى جحيم مستعر.

لقد تطلب الأمر لفتح بوابات الهلاك، اتحاد قوى الخير والشر معا، في سابقة تعد الأولى من نوعها في تاريخ ممالك الظلام، بعد أن كسر ختمها بواسطة الساحر الذي أطلق سراح الفمباروس، فأي قوة الآن ستستطيع أن تفتحها من جديد، بل وتنتزع منها فريستين وقعتا في شباكها الرهيبة، هذا ما لم يكونا في عداد الأموات الآن..

تململت سيدة الظلام من رقدتها على الفراش، فقامت سائرة إلى النافذة لتتأمل الأمطار المنهمرة، وهي تتطلع نحو الأفق الممتد إلى ما لا نهاية خلف ستارة الأمطار..

لقد أرهق عقلها من التفكير، وقلبها من الحزن، ولكنها يجب أن تعثر على وسيلة لمساعدة حارس الجحيم ليعبر محنته.

وكأن تذكر اسمه كان كافيا لاستدعائه، فقد، تألق جزء من العدم على شاطئ البحيرة الصاخبة، وظهر من وسط الضياء، حارس الجحيم لتغمر الأمطار المنهمرة..

وظل واقفًا دون أن يتحرك والأمطار تغرقه لفترة طويلة، وعينا سيدة الظلام لم تفارقه لحظة واحدة، قبل أن تشق صرخته المكان باسم نيرفانا، قبل أن يهبط على ركبتيه فوق الشاطئ الصخري، وينطلق في موجة مكتومة من النحيب والبكاء.

لم تتحمل سيدة الظلام ذلك المشهد المؤثر، وانهمرت دموعها هي الأخرى، وانسحبت على الفور إلى داخل غرفتها، لتترك حارس الجحيم وحده، في خلوته مع أحزانه، دون أن تلفت انتباهه، على أمل أن تطفئ الأمطار ولو جزءًا يسيرًا من لهيب الأحزان المستعر بداخله..

وما أن دلفت إلى داخل غرفتها، واستقرت فوق مقعدها المريح المبطن بالمخمل، والموشى بخيوط الذهب.

حتى حدث أمر رهيب.. لم تكن له سابقة في عالم الظلام من قبل.

2

كصوت طائرة تخترق حاجز الصوت، تردد دوي الانفجار في عقلها، ليرجها رجًا، ليبعث في رأسها آلامًا ممتدة بدا وكأنها ستستمر إلى الأبد.

جسدها ينتفض من الألم، مع إحساس مفزع بأن كل خلية يتم صعقها بتيار كهربي عنيف يتزايد مع الوقت.

كانت تدرك الآن إحساس من يسقط من فوق جرف هائل ليصطدم بالصخور، قبل أن يتهشم جسده، ويبقى حيًا وحيدًا يتألم ويئن.

شعرت بأنه يسري في عروقها سائل مشتعل، بأن روحها تزهق، وأنها لم تعد معلقة بجسدها، فانتابها خوف رهيب من فكرة، أنها ستموت وتبعث ألف مرة وسط موجات الألم التي تتوقف.

وعندما يئست تمامًا، هدأ كل شيء، واكتنف ظلام دامس عقلها، ليعقبه سطوع ضوء أحمر دموي مخيف، ليغرق الفضاء اللا نهائي الذي وجدت نيرفانا نفسها تحدق إليه دون فهم، خلف بداخلها شعورًا عاتيًا بالضياع.

نظرت حولها في ذعر بحثا عن أي شيء معتاد أو منطقي لتتشبث به، فلم يقابلها إلا الظلام المشع بالضوء الأحمر لتشعر بالمزيد من الحيرة.

إنها الآن وحيدة لا تعرف ماذا تفعل، أو كيف تفعل، أو لماذا؟

وفي لحظة يأس تمن الموت لتتخلص من ذلك الشعور الممض

بالضياع.

مضت ساعة كاملة لم تعرف كيف قدرتها، وسط هذا الهدوء المميت، قبل أن يصفو عقلها، وتعود إلى ذهنها تلك الذكرى الرهيبة الأخيرة، وتحديدًا تلك اللحظة الحاسمة التي ضحت فيها بنفسها من أجل حارس الجحيم.

لن تنكر أنها تشعر بإحباط لا مثيل له في هذا المكان، لو كان يصلح أن تطلق عليه لفظ المكان، فهي معلقة في قلب الفراغ، حيث لا أرض ولا سماء، ولكنها متأكدة من شيء واحد فقط أنها غير نادمة ولو للحظة واحدة على تضحيتها، ولو تكرر الموقف ألف مرة، ما تغير رد فعلها ولكن..

وآه مما بعد كلمة لكن هذه.

إنها وحيدة تمامًا ولا يحيط بها إلا الفراغ الهائل، الذي يشع بذلك الضوء الأحمر الرهيب الذي لا تعرف مصدره، والذي يصيبها بغثيان واضطراب شديدين، حتى لتكاد تفرغ أحشاءها ذاتها، كما أن المصات المقززة ذات الأطراف الحادة الخاصة بالفمباروس ما زالت تحيط بها وتؤلمها، ولا تعرف ماذا تفعل حيالها!..

حاولت أن تصل إلى سيفها بأطراف أصابعها، ولكنها عجزت عن الوصول إليه نهائيًا، حاولت من جديد حتى أنهكها الأمر تماما، فاستسلمت لمصيرها المظلم، ليغزوها خوف رهيب، وكأنها فقط في هذه اللحظة قد أدركت دقة موقفها، والمصير الأسود الذي ستواجهه بقلب بوابات الهلاك، وفي لحظة توتر عارمة، اشتاقت إلى حبيبها، وإلى وجوده بجوارها ليحميها من هذا المصير، ومن مخاوفها التي

أصبحت تلتهم روحها، وبكل ما بداخلها من يأس صرخت باسم حبيبها:

– حاااااااااارس الجحيييييييييييم..

ولكن لا إجابة.

لا شيء غير صدى الصوت الذي عاد خائبا، دون أن يجلب لها المساعدة أو حتى يواسيها.

عادت تتقلب في مكانها بعصبية، وهي تحاول التملص من تلك الممصات اللعينة التي تكبلها كقيود من الفولاذ، وترفع حرارة جسدها، وتكاد تزهق روحها، لترتد في مكانها كاسفة البال، دون أي نجاح.

عجز عقلها عن التفكير، فانفطر قلبها من عجزها بعد فشل محاولاتها الثانية، فالزوائد الهلامية تحيط بها إحاطة السوار بالمعصم كالكلابات.

وكمحاولة أخيرة جاهدت كي تصل لحقيبتها كي تستعين بخنجرها، لتمزق تلك الزوائد المقززة بعد أن فشلت في الوصول إلى السيف، ولكنها لم تستطع ذلك.. فحاولت.. وحاولت.. وحاولت..

ولكنها فشلت في النهاية، فانهمرت دموعها وهي تقول بصوت يمزق نياط القلوب:

– أين أنت يا حارس الجحيم؟..

لم يأتِها رد أو مساعدة، فتزايد اليأس والإحباط بأعماقها،

فاسكانت في سجنها الهلامي، وبدا وكأنها استسلمت لمصيرها الأسود، ولم يتبقّ عليها إلا انتظار الموت جوعًا وعطشًا، أو تسممًا لو كانت تلك الزوائد التي تخترق أهدابها جسدها تحمل سم من نوع ما.

وفي هذه اللحظة المشئومة، فوجئت بالممصات اللعينة ترتخي من حولها، وجسدها يتحرر من قبضتها فلم تصدق نفسها، وأطلقت شهقة عالية وهي تتطلع حولها متوقعة أن ترى حبيبها حارس الجحيم، وفي يده سيفه البتار.

ولكنها فوجئت بالفارس الأسود هو من ينتصب أمامها بقلب الفراغ، وهو يعيد سيفه الخارق إلى غمده، بعد أن حررها من أسر تلك الزوائد اللعينة التي قيدتها.

نظرت إليه بصمت وصوتها عاجز عن مغادرة حلقها، فابتدرها الفارس الأسود قائلًا:

– لا تجزعي يا سيدتي.. فالفارس الأسود هنا لحمايتك..

كانت أعصابها متوترة، وبدلًا من أن تشكره لإنقاذها!..

استلت سيفها البتار، وصوبته نحو وجهه في حركة لا معنى لها، وهي تقول في صرامة:

– وماذا تستطيع أن تفعل في هذا الجحيم.؟!..

رمقها بهدوء، وهو يرسم على وجهه شبح ابتسامة، في محاولة جادة لتهدئتها قبل أن يقول بصوت مشفق:

– تمالكي أعصابك أولًا يا سيدتي، واشكري الرب أولًا على بقائك

على قيد الحياة، وبعد ذلك فلنفكر في قدرتي أو عدم قدرتي على المساعدة.

حاولت أن تبتسم لتخفف توترها، إلا أن الابتسامة لم تطاوعها، وماتت على شواطئ شفتيها الرقيقتين، فتجاوز الفارس الأسود بذكائه الموقف، وهو يدور بعينيه في المكان، مسترجعا في عقله كل ما قرأه، أو سمعه عن بوابات الهلاك، ذلك المصير الأسود القاتم..

كان كل ما يذكره عنها كان يوحي له، بأنه لا وسيلة حقيقية للخروج من هذا المكان اللعين.

أما ما كان يحيره، أن المكان الذي هما فيه الآن، لا يوحي بالوصف الذي ذكره الأقدمون عن بوابات الهلاك.

فلا يوجد مسوخ حولهما، ولا سحرة مكبلون، ولا زبانية، ولا نيران، ولا حرس، ولا شيء، وكأنهما في جزء لم يره الأقدمون من بوابات الهلاك، أو يسمعوا عنه..

أخذ عقله يعمل في سرعة، لا تدانيها إلا سرعته في استخدام سيفه، فكر في استدعاء كاهنة الماسة النارية، لتنقذه من هذا الموقف الذي لا أمل في تجاوزه، إلا أن كلماتها الأخيرة الساخرة اللاذعة، ما زالت ترن في أذنيه، فقرر رغم حساسية الموقف أن يعتمد على نفسه..

وفي تحدٍّ غريب أغمض عينيه، وشهر سيفه أمامه، وكأنما يقاتل شخصًا خفيًا، وأغلق قبضته على السيف بشدة، وقرر استخدام طاقة السيف القصوى كما علمه الأقزام، وفي نفس الوقت دمدم بتعويذة

الهروب.

لم تستوعب نيرفانا ما يفعله الفارس الأسود، فنظرت إليها في دهشة قبل أن تتساءل قائلة:

– ما الذي تعتقد نفسك فاعله أيها الفارس الأسود؟..

لم يعرها الفارس الأسود أي انتباه، بعد أن ركز كل تفكيره في نجاح وسيلة هروبه من هذا الفخ الرهيب، وأمام عينيها المتسعتين، بدا يرتفع في قلب الفراغ، وجسده يدور حول نفسه كمروحة بشرية سوداء، وسيفه مشرع إلى أعلى في تحد عجيب.

تطلعت نيرفانا نحوه بانبهار، وقد لاحظت أن سرعة دورانه تزداد إلى حد كبير، وسيف يتوهج ويتألق يتألق بضوء فيروزي رائع، يزداد مع ازدياد حد دوران الفارس حول نفسه.

وبكل ذهول تابعت الفارس الأسود، وهو يتحول إلى إعصار فيروزي هائل الحجم، ويتوهج في قلب الظلام كشمس صغيرة، قبل أن يتحول الإعصار إلى انفجار ضوئي هائل، لينطلق من السيف شعاع أرجواني رهيب، أصاب الفراغ في نقطة ما، لتتكون في منتصفه فجوة أرجوانية عجيبة، أخذت تكبر في الحجم حتى إنها محت جزءًا هائلًا من عتمة المكان ثم تلاشت بنفس سرعة تكونها، وكأنها لم تكن.

ليهبط الفارس الأسود إلى حيث تقف نيرفانا، لتستقبله نيرفانا بنبس نظرة الانبهار، قبل أن تتخطى انبهارها لتسأله في سرعة:

– أنجحت في عمل شيء ما؟..

هز الفارس الأسود رأسه نافيًا، وظهر الضيق جليًا في صوته وهو يقول:

– لا لم تنجح الطريقة المزدوجة التي استخدمتها، يبدو أن بوابات الهلاك لديها قوانينها الخاصة، يبدو وأنه لا سبيل أمامي إلا استدعاء كاهنة الماسة النارية.

فتحت نيرفانا فمها لترد على الفارس الأسود، عندما فاجأها، صوت ضحكة رهيبة هادرة انطلقت من قبل العدم، لتتردد في الفراغ الدموي الرهيب لتجبرها على الصمت، وهي تتلفت حولها في جزع باحثة عن مصدر هذا الصوت المرعب.

ولم يجعلها الصوت تنتظر، فقد أتى أكثر ثقة وإرعابا، وهو يقول:

– أنت على حق بالفعل أيها الفارس المتمرد، إن لبوابات الهلاك قوانينها الخاصة.

وعادت الضحكة الرنانة لتدوي بقوة في أرجاء المكان، وبعدها عاد الصوت الساخر الرهيب يقول:

– أهلًا بكما في مملكتي حيث الموت هو الملاذ الوحيد.

أهلًا بكما في مملكتي حيث فرصتكما الأولى هي الأخيرة.

أهلًا بكما في مملكتي حيث المصير الأسود هو قدر الزائرين.

كان يبدو أن صاحب الصوت الكريه يستمتع بخطابه، ويبدو أنه سيطيل في المقدمة، وهذا ما استفز الفارس الأسود فقاطعه بشجاعة متسائلًا:

– من أنت؟!..

ظهر الضيق على نبرات الصوت الهادر، بعد أن أغضبه مقاطعة الفارس الأسود له، وهو يقول بسخرية مقيتة تجمد الدماء في العروق:

– أنا قدرك..

رد الفارس الأسود بصوت غاضب:

– كفى عبثًا.

انطلق ضحكة صاحب الصوت مجلجلة، وكأنه وقد بدأ يستمتع بالحوار مع الفارس الأسود، وقال:

– هون عليك أيها الفارس المتمرض.. أنت ضيفي وتخضع لقوانيني.

قال (الفارس الأسود):

– ضيف في أي مكان، وأي قوانين هذه التي سأخضع لها، أخبرني من أنت أولًا؟..

قال الصوت في غموض:

– أنا الجحيم..

عاد الفارس الأسود إلى هدوئه، وقد قرر أن يستفيد مما يحدث، فليمارس اللعبة كما يرغب سيدها حتى يصل إلى هدفه:

– ليكن يا سيدي الجحيم أين نحن الآن؟

قال الصوت بسخرية:

– في قلب الجحيم.

تنفس (الفارس الأسود) في عمق، ليسيطر على أعصابه قائلًا:

– ونحن نشكر ضيافتك يا سيدي، ولكن ألا تدلنا على طريق الخروج.

وكأنما ألقى الفارس الأسود دعابة جيدة، فانطلق الصوت يضحكك ويضحك في استمتاع، قبل أن يصمت فجأة ويقول:

– إنها السابقة الأولى من نوعها، فلم يحدث قط أن ابتلعت بوابات الجحيم من يحملون الخير في قلوبهم، إن هذا يخالف قوانين القدماء الصارمة، ولكن ما حدث قد حدث، والآن أنتم داخل بوابات الهلاك، داخل مملكتي.. لقد اتحد الخير والشر لفتح البوابات، وصنع الخلل في جزء منها، فأصبحت البوابات قادرة على التهام الخير والشر معا، ولكن القوانين لم تختلف، فكل مجرم يسقط في أسر بوابات الهلاك، يكون مصيره السجن الأبدي والعذاب الأبدي، ربما لن ينطبق هذا عليكم مع ما تحتويه قلوبكم من خير، وإن كان المصير الذي ستلاقونه سيكون مشابهًا في النهاية، فلم يعبر أحد من قبل أبواب الموت السبعة، ولا أعتقد أنكم ستنجحون في عبورها، هي فرصة للنجاة لم تمنح لأحد من قبل.

لم تستطع نيرفانا التي كانت تستمع إلى هذا الحوار في فضول، أن تمسك لسانها فقاطعته متسائلة:

– وما هي أبواب الموت السبعة؟..

أجاب الصوت:

– إنها المفتاح للحرية.. أو الموت.. أو الجحيم الأبدي، إن أبواب الموت السبعة هي اختبار أعددته على عجل بعد أن رصدت وجودكم في مملكتي، وسيطبق مستقبلًا على كل من يسقط من جنود الخير في براثن بوابات الهلاك..

وهكذا يأخذون فرصتهم، ويختبرون شجاعتهم، ويقررون مصيرهم بأيديهم.

وستمرون بهذا الاختبار معًا.

كما جئتم معًا.

الخير والشر.

والقاعدة الأساسية لهذا الاختبار، أن للوقت ثمنًا.

وما أن أنهى كلمته حتى ظهرت ساعة رملية ضخمة من قلب الظلام، وقد بدأ الرمل يتساقط منها، ليعلن أن الوقت قد أضيف إلى قائمة الأعداء.

ليتوهج بعدها الفراغ الأحمر الدموي، ويظهر أمامهم ما يشبه الباب الضخم الذي يميز قلاع العصور الوسطى.

ليدوي الصوت من جديد، بطريقة مسرحية:

– أسرعا، فالباب لن يظهر إلا لثوانٍ معدودة، وبعدها لن تجدا فرصة لأي شيء.

انطلق الفارس الأسود، وخلفه نيرفانا، وعبرا الباب مباشرة، إلى

حيث المجهول، لينغلق الباب خلفهم على الفور.

ليبدأ الاختبار..

3

تراجعت سيدة الظلام خطوتين إلى الخلف، وهي تسحب لولبها الحاد بسرعة، ثم قفت وقفة قتالية متحفزة، وهي توجه لولبها القاطع ليكون في مواجهة الخطر الذي بدء يتجسد في غرفتها، وعقلها يدور بسرعة في محاولة لاستنتاج طبيعة هذا الخطر، الذي استطاع اختراق دفاعات قصرها المنيع، ليصل إليها في غرفة نومها.

ولم يطل انتظارها فقد ظهرت في قلب الغرفة، كاهنة الماسة النارية، وفي يدها صولجانها المضيء، ويحيط بها هالة ذهبية متألقة.

ولم تضع سيدة الظلام الوقت في مهاترات سخيفة، وعلى الفور انطلق لولبها القاطع يشق الهواء كأفعى أصابها الجنون، ليصيب الهالة الذهبية في عنف، ويرتد في عنف أكثر، ليجعل الهالة تتألق بشدة دون أن تصيبها بأي خدش أو أذى.

لتستدير كاهنة الماسة النارية ببطء، لتواجه سيدة الظلام، التي احتقن وجهها الجميل بالدماء، قبل أن يدوي صوتها الحارق يخترق لعقل سيدة الظلام وهي تقول:

– هوني عليك يا سيدة الظلام، لقد جئت في سلام..

نظرت نحوها سيدة الظلام ولولبها القاطع يتلوى بين يديها وقالت متجاوزة الألم الذي أصابها من جراء كلمات كاهنة الماسة النارية:

– أي سلام جئت به، ومنذ متى يقتحم الشر مملكتي دون إذني؟..

دوى الصوت الحارق ليقول بهدوء:

– لقد سقط سيدي في بوابات الهلاك، ولم يطلب مساعدتي حتى الآن، والتي وإن طلبها، لن أستطيع أن أقدمها له، فهو الآن في مأزق رهيب و...

قاطعتها سيدة الظلام بصوت حاد وقالت:

– وماذا يعنيني أنا في هذا الحديث الباهت.. ليذهب سيدك إلى الجحيم.

قالت الكاهنة بنفس الصوت الحارق الهادئ كلمة واحدة:

– نيرفانا.

جذب الاسم انتباه سيدة الظلام فقالت:

– ما شأنك بنيرفانا، وما علاقتها بسيدك؟..

أجابت الكاهنة:

– إن نيرفانا والفارس الأسود، سجينان الآن في بوابات الهلاك، يواجهان الموت في كل لحظة، خلف أبواب الموت السبعة.

شهقت سيدة الظلام وقالت:

– وهل سيدك هو الفارس الأسود؟!

هزت كاهنة الماسة النارية رأسها بالإيجاب فاستطردت سيدة الظلام قائلة باهتمام:

– وما أدراك بما يحدث لهم، وما هي أبواب الموت السبعة؟

عاد الصوت الحارق ليدوي:

– هذا سري الذي أفضل الاحتفاظ به، ولكن ما يهمك الآن، أنهما في حاجة ماسة إلى كل مساعدة ممكنة، ليعبرا الأبواب السبعة للموت، ذلك الاختبار الذي وضعه سيد الهلاك، ليمر به جنود الخير الذين يسقطون في براثن بوابات الهلاك، بعد الخلل الكبير الذي حدث لبوابات الهلاك بعبورهم إليها..

تساءلت سيدة الظلام وهي تخفي لولبها القاطع:

– وكيف نستطيع أن نقدم لهما المساعدة من هنا؟!..

أجابت الكاهنة وصوتها الحاد يخترق تلافيف عقل سيدة الظلام:

– يجب أن يقتحم شخص مقرب منك بوابات الهلاك، في لحظة محددة حاملًا معه شعلة التنين، مغامرًا بحياته من أجل إنقاذ من يحب، ليفتح لهما طريق النجاة، ويصلح الخلل الذي حدث للبوابات.

نظرت نحوها سيدة الظلام وقالت في تردد:

– أتقصدين حارس الجحيم؟..

أجابت الكاهنة:

– ومن غيره ينبض قلبه بعشق نيرفانا، إنه ماهر وشجاع، ولديه القدرة على مواجهة بوابات الهلاك، برغم احتوائها على كل أعدائه..

منحتها سيدة الظلام، نظرة طويلة قبل أن تقول بشك:

– وما يضمن لي صحة ما تقولين؟ ومن أين لنا بشعلة التنين الأسطورية؟..

قالت الكاهنة:

– لا ضمانات كلمتي فقط، وشعلة التنين مشكلتي لا مشكلتك، لا تحملي لها همًّا..

لم تكن تعرف سيدة الظلام الكثير عن كاهنة الماسة النارية، أو كما يطلقون عليها في ممالك الظلام: الحارسة.. ولكنها تعرف أن كلمتها هي الثقة عينها، فهي عبر تاريخها لم تحنث بوعد قطعته قط، رغم ندرة وعودها، أو احتكاكها بقاطنيه.

لذلك حدثتها سيدة الظلام قائلة:

– لكني لا أستطيع أن أجبر حارس الجحيم على الإلقاء بنفسه في براثن بوابات الهلاك.

ردت الكاهنة:

– دعيه هو مني يقرر، وإن كنت واثقة من إجابته، وانتظري عودتي عند منتصف الليل بشعلة التنين.

وقبل أن تنصرف ابتدرتها سيدة الظلام قائلة:

– سؤال أخير أيتها الحارسة..

هزت كاهنة الماسة النارية رأسها، فاستطردت سيدة الظلام قائلة:

– كيف استطعت أن تدخلي قصري برغم كل دفاعاته؟!

دوى صوت الكاهنة الحارق في عقل سيدة الظلام، وجسدها يتلاشى من المكان، ومعه تتلاشى الهالة الذهبية..

- إنه سري يا سيدة الظلام.. ولا أبوح بإسراري قط..

4

الرعب خلف باب مغلق.

هذا ما يواجهه الفارس الأسود، ونيرفانا، معًا يواجهان عقارب الساعة الشرسة، التي تقلل في كل دورة تقوم بها فرصتهم في النجاة، وبرغم ذلك لم يتردد في خوض المجهول بحثًا عن حريتهم.

ففور أن انغلق الباب خلفهم شهر كلا منه سيفه. وأعطى ظهره للآخر كتكتيك قتالي متعارف عليه، وأخذا يدوران حول بعضهما بعضًا بكل القاعة الصخرية هائلة الحجم التي انتقلوا إليها، ليدرآ الخطر القادم..

وكنذير بالموت، عاد الصوت العابث من جديد، ليدوي في المكان، لتجفل نيرفانا، ويشد الفارس الأسود على قبضة سيفه الخارق، هو ينصت على الصوت الكريه الذي قال:

– استعدا فأرتوس المينتور قادم، وفي سيفه يبتسم الموت.

وانطلقت ضحكة عابثة ماجنة منه وكأنه يمارس لعبة مسلية بإفزاعهم، وفور أن تلاشى صوته، تكونت دوامة من الضياء، في منتصف القاعة، وقبل أن يتخذ أي منهما حذره، انقض عليهم المينوتور، وكان مخلوق ضخم له جسد حصان ورأس ثور، وكال لهم ضربة مفاجئة برأسه الضخم ليطيح بهما معًا إلى الجهة المقابلة، ليشعر كل منه وكأنما قذف به من فوق جبل.

وقف المينوتور على قائميه الخلفيين، وقد لمع سيفه في يده، وهو يحدج نيرفانا والفارس الأسود بنظرات متوعدة مشتعلة، مما جعل

الفارس الأسود يقبض على سيفه بقوة، قبل أن يقول ساخرًا:

– أهلًا بك آرتوس في بوابات الجحيم، أرى أن صحتك تحسنت بعد هزيمتي السابقة لك..

زمجر آرتوس المينوتور في غضب، وأخذ ينفث البخار من منخاريه، وهو ينقض على الفارس الأسود مطوحًا بسيفه نحو رقبته..

ولكن الفارس الأسود كان مستعدًا هذه المرة، واستقبل نصل سيف المينوتور على نصل سيفه الخارق، وتبادلا الضربات الهائلة، ليتناثر الشرر حولهما نتيجة لتلاقي سيفيهما القويين.

ارتفع صليل السيوف إلى أقصى مداه بداخل الفراغ الهائل الدموي، وبدا وكأن المعركة ستستمر لوقت أطول من المتوقع فالمينوتور، والفارس الأسود باديًا المهارة والعزم، ويكادا أن يكونا متعادلين، وكان على الفارس الأسود، أن يبرع في معركة الذكاء، فصحيح أنهما مقاتلان لا يشق لهما غبار، ولكن مرور الوقت في حال استخدام المهارة، وقوة التحمل سترجح حتمًا لصالح آرتوس المينتور.

وهذا ما كان يشغل بال الفارس الأسود، وهو يعمل على خطة مبتكرة لهزيمة المينوتور في أثناء مراوغاته لضرباته، خطه خداعية محكمة، لو تمت كما يريد لاستطاع أن يقضي بها على المينوتور.

بل ويوفر الوقت الذي ينسل من بين يديه، مع ذرات الرمال المتساقطة من الساعة الرملية.

لذا فإنه أشار بطرف خفي إلى نيرفانا لتستعد، ثم شن حمله هائلة

من الضربات القوية على المينوتور، الذي تراجع إلى الخلف ليصدها في براعة، مفسحًا المجال لنيرفانا، كي تطلق كراتها الدخانية صوب المينوتور الغاضب، لتشتت تركيزه للحظة واحدة.

لحظة واحدة كانت كافية، ليطير الفارس الأسود إلى الأعلى، ويهوي بكل قوته، مستخدمًا سيفه الخارق ليطيح برأس المينوتور المذهول.

وعلى الفور غاصت جثة المينتور في العدم، وتلاشت وكأنها لم توجد، ثم دوى الصوت العابث قائلًا:

– كما توقعت تمامًا، ففي صراع الذكاء والقوة، ينتصر الذكاء دائما، ولكن خلف الباب الثاني ستواجه الذكاء والقوة معًا ستواجه نفسك.

وعادت الضحكة العابثة لتدوي من جديد، لينطق الفارس الأسود بصحبة نيرفانا، ليعبرا الباب الجديد، الذي انغلق خلفهما كالعادة قبل أن يختفي، وفي الأفق أخذت الساعة الرملية تسكب الوقت في بوتقة العدم، وتوقف الاثنان مذهولين..

فرغم أن القاعة الجديدة كانت خالية، إلا أن كلًا منهما كان يرى مشهدًا مختلفًا عن الآخر، لا يمت لما يوجد بداخل القاعة بصلة.

فنيرفانا بأجنحتها المتألقة كانت تسبح في سماء زرقاء صافية، وهي مرتديه رداء أبيض حريريا، يتماوج حولها مع نسمات الهواء المتدفقة، ويجعلها أشبه بفراشة بيضاء.

وبالقرب منها كان حارس الجحيم، يدور حولها كشهاب متألق حالم، وقد ارتدى زيًا بنفس اللون، أبرز وسامته.

من يراهما سيحسبهما ملاكين، هبطا للتنزه في سماء الأرض.

كانا يدوران وسط السحب بقلب السماء الصافية، تتلاقي أيديهما في رقصة حب رائعة، تشاركهم فيها طيور السماء.

وعندما انتهيا من لهوهما، هبطا على صخرة مستوية تطل على البحر، الذي يمتد أمامها في مشهد ساحر ليس له مثيل.

وبصوت عذب عاشق قالت نيرفانا:

– أأنت سعيد معي يا حبيبي؟..

منحها حارس الجحيم نظرة حالمة تحتوي كل مشاعره قبل أن يقول:

– وكأنني قضيت على ألف وحش، وأحرقت مائة ساحرة.

وكاد أن يستطرد، لولا أن وجه نيرفانا اكفهر، وهي تدفعه، بقوة إلى الخلف، في محاولة لإبعاده عن تلك اليد التي امتدت من داخل الصخرة لتقبض على قدمه، لتجذبه معها ليغوص في قلب الأرض.

وسبقتها اليد المخيفة، وباءت محاولتها بالفشل.

وقبل أن تتخذ أي رد فعل حقيقي، دوى صوت مجهول بداخل رأسها، بصوت لائم قاس:

– لقد اتحدتِ مع الشر، وسرتِ معه في الطريق، حياة مقابل حياة، رأس حارس الجحيم مقابل رأس الفارس الأسود.

ولم تفكر نيرفانا لحظة واحدة، وبدون ذرة تردد، استلت سيفها البتار واندفعت به نحو الفارس الأسود، وفي عينيها لمع بريق الموت.

***

فور عبور الفارس الأسود باب الموت الثاني، نفسه في قصر الرماد يتقدم جنديين مسلحان، يرتديان أزياء تشبه أزياء الرومان في العصور الوسطى، ويحمل وجهاهما الشاحبان الأبيضان كل ملامح التبجيل والاحترام لمرافقهم الأسطوري.

ومعًا دلفا إلى رواق مزين بلوحات من لون واحد، تتناثر في نظام هندسي عبر على الجدران، وأفضى بهم الرواق إلى بهو ضخم، ينتهي بعرش فضي لامع تجلس فوقه شابة شاحبة ذات قوام ساحر، وجمالها مذهل بتقديرات شعب الرماد.

تقدم الفارس الأسود في ثقة إلى حيث تجلس الملكة، ووقف أمامها وقال:

– تحياتي لملكة شعب الرماد الفاتنة..

ابتسمت الملكة ابتسامة ساحرة شاحبة، وهي ترد تحيته:

– أهلًا بك أيها الفارس الأسود في مملكتك، ما زلت وسيمًا كعهدي بك.

رد الفارس الأسود مجاملتها قائلًا:

– بل أنتِ التي تزدادين سحرًا وبهاءً مع مرور الوقت.

وقبل أن يتم عبارته، أحاط به مئات الجنود شاكي السلاح، في حين غافل كبيرهم، روزاندا ملكة شعب الرماد، وأحاط عنقها بيده اليسرى، في حين كانت اليمنى تمسك سيفًا حادًا في استعداد لجز

رقبتها.

وقبل أن يتخذ أي رد فعل حقيقي، دوى صوت مجهول بداخل رأسه، بصوت لائم قاس:

– لقد اتحدتِ مع الشر، وسرتِ معه في الطريق، حياة مقابل حياة، رأس حياة نيرفانا مقابل حياة حبيبتك روزاندا.

واستل الفارس الأسود سيفه الخارق، ليستقبل هجومها الضاري على طرف سيفه، ليتلاقى النصلان الحادان في قوة.

وفي خلال ثوانٍ معدودة كان الفارس الأسود، قد أطاح بسيف نيرفانا، وأطاح بها لتسقط أسفل قدميه، ورفع سيفه ليغمده في صدر نيرفانا صارخًا:

– أجل حياة روزاندا.

وما أن انتهى من العبارة حتى تجمدت يده على مقبض السيف، وتوقف سنه الحاد بعد أن جرح رقبتها، وقد أخذت الأفكار تدور في رأس الفارس الأسود بضراوة، بعد أن كشفت عبارته حقيقة الوهم المحيط بهما، فحبيبته روزاندا ماتت بعد أن أنقذها من الموقف السابق، وأجهز على انقلاب جنودها وقضى على كبيرهم، لتنجح مؤامراتهم في وقت لاحق ليغتالوها غدرًا بسم (الايبوال)..

لذا فإنها لن تعود إلى الحياة أبدا، فالموتى لا يعودون للحياة.

وما أن وصل إلى هذه النقطة، حتى إنجاب الوهم من حولهما، وتلاشت المشاهد السابقة، ومد الفارس الأسود يده إلى نيرفانا ليساعدها على النهوض، وهو يكاد يسمع صوت قلبها الذي ينبض

بقوة..

ومن جديد دوى الصوت العابث، وهو يقول:

- أحسنت أيها الفارس الأسود، وفي الوقت المحدد تمامًا.

ودون أي مقدمات، ظهر الباب الثالث، فاندفع الفارس الأسود ونيرفانا ليعبراه، وعندما، وحاولا فتحه الذي لم يستجب لهما قط، بجوار الباب المغلق، وظهرت ساعة رملية صغيرة، لتحدد لهما أن مدة فتح الباب دقيقة واحدة فقط. فانقضا على الباب القوي يحاولان فتحه بالقوة، أو بضربات سيفيهما دون فائدة، فالباب مرن ولن تهشمه الضربات، كما أنه يمتص طاقة سيوفهم ببساطة دون أن يتأثر.

أضاع عليهما استخدام القوة ثلاثين ثانية من وقتهما الثمين، ووقف الفارس الأسود لربع دقيقة أخرى يفكر ثم سأل نيرفانا:

- ما هي أسهل طريقه لفتح باب مغلق؟!..

قالت وقد غمرها مطر الفهم الجميل:

- المفتاح الخاص به، أو أن تطرقه، ليفتح لك من بالداخل.

وقرنت قولها بطرق الباب، فانفتح على مصراعيه، ثم اختفى مباشرة.

ليعود الصوت العابث ليقول:

- يا لكم من ماكرين، لقد اكتشفتم حيلتي الصغيرة في الوقت المناسب، وأبشركم أن الباب الرابع مختلف.

وتركهما دون أن يظهر لهما الباب هذه المرة،

وعادت ضحكته الشيطانية تدوي في المكان.

5

شد حارس الجحيم قامته في اعتداد، وهو يقف أمام سيدة الظلام، وعلى وجهه علامات التصميم قبل أن يقول:

– سأذهب إلى الجحيم لو تطلب الأمر ذلك، سأخوض بحار النار وأجفف الأنهار وأفجر الكواكب، لو أن هذا سيعيد لي نيرفانا.

فردت عليه سيدة الظلام بهدوء وقالت:

– تروى يا حارس الجحيم، فأنت تعرف أني لا أثق بالحارسة تمامًا، فقد يكون لكلماتها معنى آخر، وقد تكون نيرفانا قد ماتت هي والفارس الأسود، وأن ما تنشده الحارسة هو الانتقام منك ومني، فلا شيء مستبعد مع تلك الكاهنة الخبيثة.

ظل حارس الجحيم على صمته، وملامح وجهه المصممة أبلغ رد، فاستطردت قائلة بصوت مرهق:

– أنا أخشى أن أفقدك أنت أيضًا، فأنت صديقي الأثير في هذا العالم، ولن يعوض خسارتك أي شيء آخر، خاصة وأن كل الأمور لا توحي بالثقة أو الخير العائد منها..

هز حارس الجحيم رأسه، وقد بدا أنه لا شيء في الوجود سيفل من عزمه على ما نوى، فنيرفانا عنده لا تخضع للمساومة، لذا فإنه قال:

– اللعنة على كل شيء يا سيدتي، سأذهب إلى الجحيم لو تطلب الأمر لإنقاذها، إنها حية أنا متأكد من ذلك، ولو كانت حياتي الثمن،

فقد دفعت هي حياتها من قبل من أجلي ولم تتردد.

فقالت سيدة الظلام بغضب يفجره خوفها عليه:

– وما يدريك أنها حية؟..

قال حارس الجحيم وصوته ينوح:

– قلبي.. قلبي يا سيدة الظلام.

أدركت سيدة الظلام أنه لا فائدة من الجدال معه، فما يقود حارس الجحيم الآن هو قلبه الجريح، ولن تصمد أمام إعصار الحب قوة أخرى.

لذا فإنها قالت بصوت من غلب على أمره:

– لا بأس يا حارس الجحيم لا بأس.. ستذهب إلى بوابات الهلاك، ولكن ذلك لن يكون دون خطة.. وخطة محكمة أيضًا.

وركزت عينيها في عينيه وأكملت بصرامة:

– هذه كلمتي الأخيرة..

واستدارت إلى خادمها المستعد دومًا، وقالت:

– أحضر لي (أفلاطون) في الحال.

انطلق الخادم إلى مكتبة القصر الملكية، وأخبر أفلاطون الذي كان منهمكًا في فك شفرة تعويذة قديمة لاستدعاء وحش مستنقع الأرض المحرمة، بأمر استدعائه، فألقى أفلاطون بالمخطوطة القديمة على الطاولة، وذهب بسرعة ليلبي نداء سيدته.

استعادت سيدة الظلام شخصية القائدة، وبصوت حازم قالت وهي تشير إلى أفلاطون:

- أفلاطون، لتقترب أكثر..

اقترب منها أفلاطون بسرعة وقال:

- أمر سيدتي..

فأردفت قائلة:

- أريدك أن تراجع كل المعلومات المتوفرة لدينا عن بوابات الهلاك، وتحاول أن تجد لنا بابا خلفيا نستطيع العبور منه، والعودة منه دون خسائر، وأحضر لي كتاب أخينوس، فإننا الآن سنخوض الجحيم، ونحتاج إلى طريقة صنع دروع أبيموس.

انتظر أفلاطون حتى أنهت حديثها وقال:

- لن يحتاج الأمر إلى مراجعة أية معلومات يا سيدتي فالباب الخلفي الوحيد لبوابة الهلاك هو نفق أميداس، وهو يحتاج إلى مقاتلَين فذين لعبوره، الأول يؤمن المدخل، والثاني يؤمن المخرج، هذا غير المقاتل الذي سيقوم بالمهمة..

إن نفق أميداس لا يمكن استخدامه إلا مرة واحدة للعبور إلى الجانب الآخر والعودة، لذا يجب أن يكون التعاون بين الفرسان الثلاثة المكلفين بالعبور تامًا، كي لا تحتجز البوابات أي منهم.

وابتلع ريقه ثم أكمل:

- وهذا كله لن يتم إلا باستخدام، تعويذة الانتقال المناسبة،

ومعنى هذا أنك يا سيدتي ستتخلين عن خطة الطوارئ الوحيدة، التي منحها القدماء لأجدادك، للهروب من بوابات الهلاك عند حدوث طارئ، يجبرهم على دخولها.

قالها ثم صمت، بينما غرقت سدة الظلام في تفكير عميق، فهي عندما استدعت أفلاطون كانت تعرف كل هذه التفاصيل، وكانت تأمل أن يكون عنده حل أخير، غير التضحية بخطة الطوارئ الملكية، وعندما أخبرها أنها الحل الوحيد، كانت قد اتخذت قرارها، فقالت بحزم:

– بقي إذَنْ الشق الثاني دروع أبيموس.

وقبل أن تكمل كلمتها، تجسدت كاهنة الماسة النارية من جديد وقالت بصوتها الحارق الذي ألهب عقول الجميع:

– اتركي لي أيضًا مهمة الدروع يا سيدتي، فالأقزام خير من يقوم بصناعتها.

قالت سيدة الظلام بصوت مشبع بالضيق نتيجة هذا الانتهاك الواضح لقصرها وسلطتها:

– هل أحضرت شعلة التنين؟!

قالت كاهنة الماسة النارية بصوتها الحارق:

– نعم.

وأدارت أصابعها في الهواء، ليظهر في يدها مشعل بلوري مضاء بشعلة زرقاء رائعة، ناولته لسيدة الظلام، التي تلقفته وهي ترمق

الشعلة الأسطورية في إعجاب.

تسلل الصوت الحارق إلى عقول الحاضرين، وكاهنة الماسة النارية تقول:

– إن الشعلة الأسطورية دليل ثقة كبير من طرفي، لذا فلنتعاون جميعًا من أجل إنقاذ من لأجلهم نهتم..

ساد الصمت على الجميع، حتى قالت سيدة الظلام، لنراجع تفاصيل الخطة..

واستغرق الجميع في دراسة تفاصيل الخطة، وقامت سيدة الظلام بعمل مجسمات سحرية للمدخل الخلفي، وحاولوا بها العبور عدة مرات، وهم يغيرون تشكيلات الهجوم حتى استقروا على طريقة الهجوم والانسحاب، وقبل أن ينتهوا بوقت قصير، كانت دروع (أبيموس) قد انتهت، وتجسدت في البهو..

وحانت ساعة الصفر..

6

كان الباب الرابع اختبار ذكاء آخر، وكان السؤال الذي ألقاه الفارس الأسود على نفسه هو:

– كيف تعبر بابًا لا تراه؟

وكانت الإجابة النموذجية:

– في البداية عليك أن تعثر عليه، ثم بعد ذلك تفتحه، ثم تعبره، ويتوقف هذا بالطبع، على أن يكون هذا الباب موجودًا من الأساس..

أشرك الفارس الأسود، نيرفانا معه في التفكر، وكعادتها في التفكير بصوتٍ عالٍ، رددت نيرفانا السؤال من جديد:

– كيف يمكن أن تجد بابًا لا وجود له؟..

كان السؤال يتردد في عقليهما، وهما يقلبان الأمر على كافة الوجوه والأصعدة، وعندما عجزت نيرفانا عن التفكير قالت بغضب:

– أعتقد أن في الأمر خطأ، نحن لا نفكر في الأمر بطريقة صحيحة.

وهنا لمعت الفكرة في عقل الفارس الأسود وقال:

– أحسنت يا نيرفانا، نحن بالفعل نفكر في الاتجاه الخاطئ، فلا يجب علينا أن نعثر على الباب، بل يجب علينا فقط أن نعبره.

نظرت إليه نيرفانا، بنظرة توحي بعدم الفهم فأكمل قائلًا:

– إن الخدعة في أحجية الباب الرابع هي العبور، وليس العثور

على الباب، لذا أعطني يدك ورددي خلفي أردوس.. بينار.. بيتوس.

ودون لحظة تردد، رددت خلفه تعويذة الانتقال، ووجدا نفسيهما في الجانب الآخر من الباب، ليعود الصوت العابث من جديد وقد بدأت سخريته تقل وهو ويقول:

– أمامكما ثلاثة أبواب، لا أحاجي بعد الآن، فقط الموت هو النهاية، انطلقا فالباب الخامس ينتظر..

عبرا الباب بسرعة، ثم توقفا فأمامهما مباشرة، امتد جسر معلق متهرئ، يتكون من الحبال وعوارض خشبية عريضة مثبته كيفما اتفق، ويمر من أسفله نهر من الحمم المشتعلة، وعليهما أن يعبرا إلى الجانب الآخر، وبسرعة لأن الحمم بدأت تتدفق من خلفهما..

عبر الفارس الأسود الجسر ببطء وخلفه نيرفانا، وهو يتحسس مواطئ قدميه بحذر، وسيفه مشهور أمامه..

كانت الحمم تتدفق ببطء، والفارس الأسود ونيرفانا يتحركان بهدوء وحذر، حتى لا يسقط بهما الجسر في نهر الحمم المشتعل بالأسفل.

نظرت نيرفانا في رهبة إلى الأسفل، حيث يتدفق نهر عملاق من الحمم، وهي تتأكد في كل خطوة من موضع قدميها، وتجمدت عيناها في ذهول على منطقة متموجة من النهر تزداد قتامة وارتفاعًا مع الوقت..

كادت نيرفانا تسقط من فوق الجسر، وهي تتطلع في رعب إلى أفعى كورتز النارية، التي تنقض عليهما بأنيابها الحادة، بعد أن نومتها

بنظرات عينيها الحادتين.

وفي جزء من الثانية، امتدت يد الفارس الأسود إلى نيرفانا لتعيدها إلى الجسر الذي بدأ يهتز ويزداد خطورة، وتلقى أنياب الأفعى الملتهبة بسيفه الخارق ليطير أحد النابين، فيسقط ليغوص في قلب الحمم..

ولم يترك لها الفارس الأسود الفرصة ليشتعل غضبها، فقفز إلى الأعلى وأغمد سيفه في رأسها الناري، ليتطاير اللهب على ردائه الجلدي اللامع ليحرقه في عدة مواضع، قبل أن يسحب سيفه من رأسها لتتكفل الجاذبية، بسحبها إلى أسفل، وكاد كل شيء يمضي على خير، لولا أن ذيلها الضخم هوى ليسقط فوق الجسر، الذي انشق إلى نصفين ارتطما كل منهما بجهة، ومع الارتطام العنيف كادت تشبثت أصابعهما بقوائمه في قوة، وأخذ الاثنان يتسلقان الجسر، إلى أن وصلا إلى الناحية الأخرى، ليجدا أن الحمم تفصل بينهما وبين الباب..

كان الواضح أن صاحب الصوت العابث قد غضب بشدة، لذا فإنه قرر أن ينهي التحديات عند هذا الباب.

وقف الاثنان يلهثان، وقالت نيرفانا بصوتها المختنق من الحرارة والدخان المتصاعد:

- لا تقلق أيها (الفارس الأسود) فأنا وسيلتك للعبور..

وأخرجت من حقيبتها التي لا تفارقها أبدًا حبلًا سحريًا خاصًا، ألقته نحو الباب فتمدد وصنع معبرًا سحريًا، عبره الاثنان ببساطة

مدهشة، ودفعا الباب، وعبرا من جديد إلى العدم..

هذه المرة لم يكن الصوت العابث بانتظارهما، وساد الصمت لفترة طويلة، قطعته (نيرفانا) وهي تتساءل:

– ماذا بعد؟!..

قال الفارس الأسود:

– لم يبق أمامنا إلا بابان، ولكن يبدو أننا أثرنا غضبه بشدة؛ بعبورنا أبواب الموت الخمسة السابقة، لذا فهو مشغول الآن بإعداد جحيم آخر لنا.

عاد الصوت ليقول هذه المرة دون عبث:

– يبدو أنني لم أقدركما حق قدركما، ولكن ما خلف الباب السادس سيكون مروعًا، وصدقاني نهاية رحلتكما تنتهي خلف الباب السادس.

تجسد الباب فعبرا بسرعة، ليجدا نفسيهما فوق أرض جبلية، والنيران تشتعل في كل مكان، ودخانها الأزرق يعمي الأبصار.

كان المكان مفزع بحق، ففي كل مكان تتناثر الجماجم والهياكل العظمية المتفحمة، وتنشر رائحة اللحم المحترق.

السماء أرجوانية، والسحب قرمزية، والضوء بلون الدم..

كأنه الجحيم.. وقد رسمته يد فنان مجنون..

وفي منتصف اللوحة، وقف فارسانا يحملان سيفيهما، وعيناهما تجوبان الأفق الدموي، في انتظار الموت القادم..

ولم ينتظرا كثيرًا..

لقد هجم التنين الغاضب ونفث نيرانه نحو الفارس الأسود ونيرفانا، لم يكن تنينا قزمًا كتلك التنانين التي تعيش في مملكة المجنحين وتبخ السم، بل كان تنينًا ضخمًا، كالذي تعج به الأساطير الصينية البشرية.

تنين غاضب، ولا يرغب إلا في إحراقهما.

ما أن نفث التنين نيرانه المستعرة، حتى قفز كل منهما في ناحية، وأثبتت نيرفانا أنها فارسة لا يشق لها غبار، وخاصة بعد أن اكتسبت ثقة زائدة بعبورهما أبواب الموت الخمسة السابقة، فلم تأخذها المفاجئة، واستلت سيفها وأطلقت كراتها الدخانية، وصنعت حاجزًا دخانيًا كثيفًا بينهم وبين التنين، جعلته يخطئ موضعهما أكثر من مرة، ولم يتوقف الأمر على هذا، لقد استغلت الدخان، وانقضت على التنين..

في نفس اللحظة التي هجم الفارس الأسود، معتمدًا على حدسه، كما علمه الأقزام، ليغمد سيفه في جسد التنين الضخم، ولكن الحراشف القوية حالت دون ذلك..

كان الموقف عصيبا، والحرارة ترتفع، والهواء يشح، والتنين لا يمل من نفث اللهب نحوهما..

حاول الفارس الأسود استخدام تعويذة التجميد، برغم معرفته أن التنانين هي أكثر المخلوقات السحرية، التي لا تتأثر بالتعاويذ السحرية، ولكنه قام بها على كل حال، فانتشر الجليد في المكان،

دون أن يوقف التنين، وفشلت التعويذة، فشل ساحق.

كانت نيرفانا تراوغ النيران، والتنين يصب تركيزه عليها في محاولة للقضاء على الخصم الأضعف، ولكنها كانت كالزئبق، تتسرب من بين مخالبه، وقذائفه النارية.

وعندما كاد يصيبها التعب، كان الفارس الأسود قد فشل في جذب انتباهه إليه، في محاوله لإبعاده عن نيرفانا.

وفي النهاية، لم يجد أمامه إلا حلًا واحدًا وأخيرًا، وهو استخدام نجوم سيروم الخارقة. والتي إذا فشلت ستكون نهايتهما معًا..

ودون تأخير أطلق الفارس الأسود صوب التنين نجومه الخارقة، والتي تستمد قوتها من قوة حاملها، وتستنزف هذه القوة بسرعة، بمعني أنها سلاح الضربة الأخيرة كما يحب أن يطلق عليه الفارس الأسود، لأنه يستنفذ طاقة مستخدمه، ويجعله فريسة سهلة لمن يأتي بعد الهجوم..

وبالفعل لم تخذله النجوم الخارقة، وانطلقت في سرعة رهيبة مشحونة بكامل طاقتها لتمزق التنين، إلى أشلاء نارية يتصاعد منها الدخان ورائحة اللحم المحترق، مستنفذة كل طاقة الفارس الأسود، والذي سقط أرضًا منهكًا، وهو يحاول أن يتنفس بصعوبة.

وعلى الفور انطلقت نيرفانا نحوه، وجلست على ركبتيها، ووضعت رأسه بين يديها: وهي تقول في جزع:

– ماذا أصابك أيها الفارس الشجاع؟

أجاب الفارس بصوت ظهر غصبًا عنه ضعيفًا:

– لا شيء خطير، فقط هذه النجوم تستنفذ طاقتي عند كل استخدام، كأثر جانبي لها، لا تقلقي سأكون بخير سريعًا.

ساعدته للنهوض، فتسند على ذراعها، وسارا ببطء ليخرجا عبر الباب إلى العدم.

وعندما تلاشى الباب خلفهما، سمعا الصوت العابث المنفعل يصرخ في غضب قائلًا:

– أيها اللعينان، لقد قتلتما حيواني المدلل، أقسم بروح أجدادي أن تدفعا الثمن سريعًا، وانتقامي منكما سيأتيكما، عبر الباب السابع، على يد جنودي الخارقين، اتلوا صلاتكما الأخيرة قبل أن تدخلوا، فلا أحد يعبر الباب السابع ويظل حيًا.

لا أحد..

واختفى الصوت، وظهر الباب..

واندفعا لعبوره..

نحو الموت..

7

بقلب القاعة الكبرى بقلب قصر سيدة الظلام، ساد الصمت التام، بعد أن تراص الجميع في حلقة مغلقة، وتشابكت أيديهم، حول كاهنة الماسة النارية بهالتها المتوهجة، فبدا المشهد كزهرة مشتعلة ينبض قلبها بالضياء، في لوحة تخلب الألباب.

وبهدوء أشارت سيدة الظلام إلى أمين مكتبة المملكة أفلاطون، ليشرع في تلاوة تعويذة الانتقال الطارئة، وعلى الفور تكون أمامهم نفق أميداس الضوئي السري.

وحسب الخطة الموضوعة تسلح الجميع بأسلحتهم الخاصة، وحمل كل منهم درع خفيف من دروع أبيموس، فائقة القوة، وتقدمتهم سيدة الظلام قابضة على لولبها القاطع، في مشهد مهيب.

وبدأ الأمر..

وعلى الفور اتخذ الجميع مواقعهم حسب الخطة الموضوعة، فتوقف أفلاطون عند مدخل النفق مسلحا بسيفه، ودرع أبيموس الخارق، صنيعة الأقزام، ليكون خط الدفاع الأخير في حالة فشلهم في العودة، ومحاولة أي كيان شرير التسلل إلى القصر دون إذن سيدته، فيقوم بإغلاق النفق إلى الأبد.

وحمل حارس الجحيم سيفه في يد، وفي الأخرى شعلة التنين، وانطلق يقطع النفق الضوئي متتبعا سيدة الظلام، والتي ستؤمن نهاية النفق لتحمي ظهر حارس الجحيم وتكون خط الدفاع الأول ضد أي متسلل.

كانت خطة ممتازة، ولكن أهم نقطة فيها غير مضمونة، وهي أن يصلوا إلى نيرفانا ويجدوها حية.

ففي نفس التوقيت الذي بدأت فيه عملية عبور نفق أميداس الضوئي عبر، الفارس الأسود ونيرفانا الباب السابع.

وبدأ الهول مباشرة..

جنود أطلس أقوى جنود الشر في كل الممالك، وأعنفهم وأكثرهم عددًا، تسري في عروقهم دماء ملكية زرقاء، تعود لجنس بشري نادر هجين، تزاوج مع زوار كوكب ميجا قبل فنائه، وقطنوا من يومها في غابات تيجان خلف الأرض المحظورة.

جيش كامل منهم هجم على نيرفانا والفارس الأسود، وألقى فارسنا نفسه في أتون المعركة، ونفض عن جسده، وهنه، وتعبه، وتحول هو وسيفه إلى كيان واحد، وانطلق يجز الأعناق، ويبتر الأذرع، ويبقر البطون، وينثر الأشلاء في كل مكان.

في حين اتخذته نيرفانا المذعورة قدوة، وتركت خوفها خلفها، وقاتلت كما لم تقاتل من قبل، فالنصر معناه الحرية، ولقاء حارس الجحيم، والموت سيكون لها راحة لو كانت في سبيله.

رغم اندماج الفارس الأسود في المعركة مع عودة جسده إلى نشاطه، إلا أنه كان قلقًا، فجنود أطلس أعدادهم هائلة، ولا تفت في عضدهم الخسائر، يحاربون حتى النصر أو الموت، ولم يخسروا معركة قط، وفي لحظة ما سيصيبه الإنهاك، وتتغلب الكثرة على الشجاعة، كما أنه كان مشتتًا بالذود عن نفسه وعن نيرفانا أيضًا، فهو

يهاجم ويدافع في نفس الوقت..

وبرغم دفاعه المستميت عنها، سقطت نيرفانا أرضًا في النهاية، وهي تؤرجح سيفها يمينًا ويسارًا، لتتقي به الضربات المتتالية من جنود أطلس الأقوياء.

مما دفع الفارس الأسود ليطلق العنان لسيفه، ويمزق العشرات منهم، في محاولة، لأن يمنح نيرفانا الفرصة لالتقاط أنفاسها، لتعود إلى القتال، وكان من الجلي أن نيرفانا كانت قد أنهكت تمامًا، فلم تستطع أن تنهض من مكانها، وزاد ضغط جنود أطلس على الفارس الأسود، وبدا واضحًا أن النهاية أصبحت دانية ولا شك.

من وسط دموعها أطلقت نيرفانا صرخة تحمل لوعتها، ورددت اسم شقيق روحها حارس الجحيم.

وكأنما كان اسمه تعويذة استدعاء..

فتجسد حارس الجحيم في نفس اللحظة، وألقى لنيرفانا بدرع أبيموس، وهجم بسيفه الحاد ليؤازر الفارس الأسود.

وبدأت مجزرة رهيبة، ولكن كفة القتال لم تمل إلى أحد الفريقين، مما أضطر سيدة الظلام لتتدخل بلولبها القاطع وجناحها يخفقان في قوة، وبدأ ضغط الهجوم يخف تدريجيًا.

ولكن ما حدث كان خدعة من جنود أطلس، لإيهام المهاجمين بقرب الانتصار، في حين كانوا ينظمون صفوفهم الخلفية، قبل الهجوم الشامل.

وبالفعل، لم تمض إلا دقائق قليلة حتى تم الهجوم من كل المحاور،

ومع موجة الهجوم الأولى، أصيبت سيدة الظلام في أحد أجنحتها، وخضبت الجروح المتفرقة جسد الفارس الأسود، في حين أصيب حارس الجحيم في ذراعه إصابة بالغة.

وعلى الفور صرخ حارس الجحيم هاتفًا:

– لا بد من تنفيذ خطة الانتقال الآن وإلا هزمنا، استخدموا دروع أبيموس للتجمع.

انضمت نيرفانا للقتال من جديد، وبدأت بإطلاق كل طاقة درع أبيموس الخارق، لتشترك معها سيدة الظلام وحارس الجحيم، لتبدأ عملية العرقلة الكبرى.

وبالفعل كانت خطوة ناجحة وفي موعدها، قبل هجوم الموجة الثانية من جنود أطلس، ونجحت دروع أبيموس الفذة في الفصل بينهم وبين الجنود الغاضبين.

وأرسلت سيدة الظلام رسالة تخاطرية إلى أفلاطون الذي فعل تعويذة الانتقال على الفور، وترك حارس الجحيم شعلة التنين لتسبح في فراغ النفق الضوئي، وتبدأ في التوهج..

ثم أرسلت رسالة تخاطرية للفارس الأسود، أن يردد كلمة الاستدعاء قبل أن يفاجئها، حضور كاهنة الماسة النارية، وأحاطت الفارس الأسود بهالة متوهج من الطاقة تشبه التي يحيط بها، ثم رددت تعويذة انتقال خاصة في نفس التوقيت مع سيدة الظلام.

وجذب النفق الضوئي الجميع إلى بهو القصر، في نفس اللحظة التي انتهى فيها مفعول دروع (أبيموس)..

لتنجح شعلة التنين في إغلاق النفق بعد عبورهم مباشرة، وإلى الأبد، وليزيد أفلاطون درع الحماية بتعويذة خاصة، ليسحق بداخله كل من حاول العبور من جنود أطلس.

وما أن ضمهم بهو القصر، حتى نسوا المكان ومن فيه، تشابكت أيدي العاشقين في قوة، وعيونهم تقول ألف كلمة حب، قبل أن تفور مشاعرهم، فيضم حارس الجحيم نيرفانا إلى صدره، ولم تمانع هي هذه المرة.

في نفس اللحظة، حدث تجسد الفارس الأسود المثخن بالجراح والطعنات، في كهف الماسة النارية، والتي بدأت طاقتها السحرية على الفور، في شفاء كل جراحة بسرعة مذهلة..

وفي أثناء وقوعه في غيبوبته، منحته كاهنة الماسة النارية نظرة إعجاب وتبجيل، قالت بصوتها الحارق:

– لقد كنت شجاعًا بحق هذه المرة، لقد اقتحمت أبواب الموت السبعة، ولم يُخِفك الموت الذي حاصرك، وذودت عن فتاة في محنة، وتغلبت على ضعف روحك.

صدقني يا سيدي إن ما فعلته، يدل أن هناك تغيرًا كبيرًا، سيحدث في الأيام القادمة..

ولن يكون بلا ثمن..

الحكاية الخامسة

أصدقاء الموت

1

يواجه الأصدقاء..

شيء واحد لا صديق له..

يخذل الجميع..

ولا يخلف موعده أبدًا..

الموت..

***

وحيدا كعادته دائمًا.. يهيم الفارس الأسود في أحد الشوارع شبه المظلمة في مدينته الكئيبة بعالم الواقع، وقد طفقت رياح الخريف تضرب كل شيء، وتقذف بالأتربة، والأوراق المهملة في كل مكان ودون هوادة..

وفي أثناء مروره بالقرب من بيت مظلم يبدو مهجورًا، سمع صوت سوط مميز يئز في الهواء، ثم تلاها صوت ضحكة عابثة عالية، تبعتها صوت ضحكة أنثوية مكتومة.

فقز إلى الخلف في تحفز واتخذ وقفة قتالية دفاعية، وقرر أن يردد تعويذة استدعاء سيفه الخارق ورداءه الواقي، لدرء الخطر عن نفسه من هذا الهجوم المفاجئ، الذي يخبره حدسه أنه ليس من هذا العالم، وهو تعود أن يثق بحدسه دائمًا.

كان مشتاقًا إلى قتال جديد، بعد مغامرته الأخيرة خلف بوابات الهلاك، ولكن رؤيته لأصحاب تلك الوجوه المرحة العابثة، وهم

يلوحون له، وضحكاتهم تجلجل في المكان أحبطت كل مخططاته، وعلى الفور زال تحفزه، وابتسم لهم في ود، ورد على تلويحهم، بالمثل، فاقتربوا منه في سرعة، ودخلوا في دائرة الضوء الواهنة التي يصنعها عامود الكهرباء الموجود في الشارع..

ورغم ضعف الإنارة رأى البهجة ترتسم على وجوههم، وهم يقتربون في سعادة، كانوا أصدقاءه، جلاد الشيطان، وفتاة الظلام، وتلك هي أسماؤهم في عالم الظلام، لا بد أنهم لا يذكرون أسماءهم الحقيقية الآن.

اقترب منهم الفارس الأسود، وقال:

– أي رياح ألقت بكم هنا؟ وهل أنتم هنا للقائي أم أنها مصادفة؟..

أجاب جلاد الشيطان باسمًا:

– رياح الخريف هي التي ألقت بنا، وقد جئنا بالفعل للقائك..

قال الفارس الأسود ببطء ومباشرة:

– ولماذا أتيتم للقائي في هذا العالم على عكس التقاليد المتبعة؟

فرد جلاد الشيطان بصوت مرح:

– لقد جئنا ندعوك لحفل كبير سيثير شهيتك وحماستك؟..

قال الفارس الأسود ساخرًا:

– حفل كبير، أي هراء هذا، ومن أخبركم بأني أهيم بالحفلات؟..

قالت فتاة الظلام:

– إنه ليس كأي حفل إنه...

قاطعها جلاد الشيطان، وقال:

– إنه أحد حفلات الحفرة السوداء..

شهق الفارس الأسو ذاهلًا، وهو يتذكر هذا الجحيم الذي مر به، عندما وقع في فخ الكتاب الزمني، ثم قال في استنكار:

– الحفرة السوداء.. أما زالت هذه الحفلات الملعونة تقام؟..

أجاب جلاد الشيطان:

– نعم.. وما زالت دموية كالعادة، ولكن حدث بها تطور جديد، إنهم يطلبون هذه المرة فرق جماعية، تتكون من أربعة أعضاء لخوض المعارك، والمكافأة.. هي لؤلؤة الظلام..

قال الفارس الأسود:

– أنت تعرف أني لا أبحث عن ثروات، إنني أبحث عن الإثارة والمغامرة..

ابتسم جلاد الشيطان وهو يقول:

– لا مشكلة هناك.. أحصل أنت على الإثارة والمغامرة، وأترك لي لؤلؤة الظلام..

انطلقت من الفارس الأسود ضحكة مباغتة، بعد أن أدار الأمر في رأسه وقال بصوت متحمس:

– لا مانع لدي.. ولكن من الضلع الرابع في الفريق؟

قالت فتاة الظلام بصوت غامض:

- خمن من؟..

زفر الفارس الأسود في ضيق وقال:

- كفي عن المهاترات، ولا داعي لإضاعة الوقت في التخمين.. أخبريني من.

دوت فرقعة في الظلام وظهر ماركوس المذؤوب أمامهم، وهو يقف بشكل استعراضي نافشًا صدره كاشفًا عن أنيابه، في حين وجه له فارس الظلام الحديث قائلًا:

- ماركوس.. لماذا لست متفاجئًا؟..

أجاب ماركوس على الفور:

- أنت تعرف شغفي بمباريات الحفرة السوداء، أيها الفارس الأسود، لم يَفُتني موسم واحد منها.

وبنظرة جانبية متحدية، قال الفارس الأسود:

- لا بأس يا (ماركوس).. ولكن هل أنت مستعد؟..

شد مارموس جسده في قوة وقال:

- دائمًا يا صديقي.. دائمًا..

أدار الفارس الأسود، وجهه ناحية جلاد الشيطان وقال:

- أين ستتم المباريات هذه المرة؟..

قال جلاد الشيطان بغموض:

– في منطقة الزوال..

ردد الفارس الأسود، مندهشًا:

– منطقة الزوال..

أجاب جلاد الشيطان:

– نعم.. فهذا أفضل مكان قد يتسع للمشاهدين..

وغمز بعينيه وأردف:

– وأفضل مكان يصلح لإخفاء الآثار..

فهم الفارس الأسود مقصده، ومغزاه، فهو يعرف ما يترتب على هذه المباريات غير القانونية، لذا فإنه قال:

– لا بأس فلنذهب إلى منطقة الزوال، وتشابكت أيديهم، ورددوا جميعا تعويذة الانتقال..

وانطلقوا نحو المغامرة..

والموت..

2

مسابقات الحفرة السوداء!..

هي مسابقات غير قانونية تدور رحاها في عالم الظلام، ينظمها مجهولون، وإن كان لا يخفى على الجميع، أن رعاتها من العصابات الجوالة وخاصة عصابة المعصم الأسود.

مسابقات دموية، تدور كل مرة في منطقة مختلفة، والسرية هي الطابع الغالب عليها.

كل مسابقة يشترك بها المقاتلين من كل الممالك بغض النظر عن انتماءاتهم، أو أوضاعهم القانونية، ودون أن يعلنوا عن هويتهم، والشائع أن الجميع يشتركون، فلا أحد يقاوم نكهة التفوق والنصر، ومن حق كل عضو أن يخفي شخصيته، ولا يعلنها إلا بعض الخارجين عن القانون المشهورين، رغبة في مجد لا يزول.

قواعدها معروفة ومرحب بها، وتتلخص في كلمتين.. لا قواعد.

قد يتعجب من يعرف الفارس الأسود جيدًا، من تجمع هؤلاء الأربعة معًا، خاصة وأنهم ينتمون إلى عالمين مختلفين، ولكن ما جمعهم من قبل، هو ما جمعهم الآن، إنها مسابقات الحفرة السوداء.

هناك التقوا.

وهناك تصارعوا.

وهناك أصبحوا أصدقاء.

والآن دارت الأيام، وعادت المسابقات، وتجمع أصدقاء الموت..

وتدور المسابقات هذه المرة في منطقة الزوال..

ومنطقة الزوال هي منطقة شهيرة في عالم الظلام، ولكن لا يقربها، إلا من يمتلك تصريحًا سحريًا خاصًا، فهي تقع تحت نفوذ سحرة الظلام، لو كانت على الأرض لكان أفضل وصف لها أنها بمنطقة عسكرية، يحكمها السحر الأسود..

وبالتأكيد دفعت عصابة المعصم الأسود ثمنًا ضخمًا، مقابل فتح منطقة الزوال لهذه المسابقات، والثمن دومًا مخلوط بالدماء..

تغيرت هيئة المكان تمامًا، بعد أن غزاها المنظمون، فمن يراها الآن سيجدها عبارة عن مساحة ضخمة من الأرض، تتناثر بها الأقفاص المعدنية الضخمة التي تقام بها المسابقات، ويحيط بها ضباب رمادي اللون بديلًا لسياج الحماية، وأكثر كفاءة، وحول هذه الأرض توجد عدة مبان صخرية ضخمة، يحرسها غيلان عملاقة يحملون في أيديهم مناجل حادة تلمع بالموت.

يقود إليها ممر حجري طويل، يحرسه غولان آخران باديا الشراسة، يقومان بفحص الدعوات المكتوبة فوق رقع الجلد المتوهجة بالدماء الفسفورية لحيوان الأنكود، غير القابلة للتزوير، أو التقليد.

وكان هذان الغولان الحارسان، يتعاملان مع المتسللين، بقسوة شديدة، ومن دون تحذير واحد، والأشلاء المتناثرة على الأرض حولهم، تحكي الكثير.

تجسد أبطالنا الأربعة في بداية الممر، ومشوا فيه إلى نهايته، وتوقفوا أمام الغولين اللذين كانا يفوحان برائحة كريهة لا تطاق،

ومن أنيابهما يسيل الزبد..

قدم جلاد الشيطان الرقعة الجلدية للغول الأقرب إليه، ففحصها الغول، وتمتم بكلمتين كخوار ثور يحتضر، فتألقت الرقعة وخرجت منها أربعة أسهم ضوئية، تألقت على صدر أبطالنا الأربعة. فانتحى الغولان جانبًا، وعبر أبطالنا إلى الداخل، وتسلطت أعين الغولين على القادمين الجدد..

توجه أبطالنا الأربعة إلى قاعة ضخمة بها بار كبير، تتناثر بأرجائها الموائد التي يجلس عليها العشرات من مقاتلي عالم الظلام، ووحوش عالم الظلام ومصاصي الدماء، والمذؤوبين، والعديد من سكان كافة الممالك بأشكالهم المختلفة.

الكل كان في حالة صخب رهيبة، وأنهار من الخمور تراق، والكؤوس تتناثر هنا وهناك، فبدا المكان كملهى ليلي لغرباء الأطوار وغرباء الهيئة.

وكادت معارك كثيرة أن تشتعل، لولا أن الغيلان المشرفين على النظام يتدخلون على الفور لفضها بقسوة وعنف، مع تنبيههم على الجميع الالتزام بالتعليمات..

جالت عيون أبطالنا بحثًا عن منضدة خالية، ولمحتهم غولة سوداء كثيفة الشعر، فأشارت إليهم أن اتبعوني، فتبعوها، فقادتهم إلى مائدة في منتصف المكان كانت محجوزة لهم.

جلسوا جميعًا وطلب كل منهم شراب مسكر، وامتنع الفارس الأسود، لأسباب خاصة، وبعد لحظات اندمج مع صخب المكان،

وتحول ذهنه إلى أرض معركة ضخم، وهو يتخيل سيفه.. يشطر هذا.. ويطيح برأس هذا.. ويمزق هذا، قبل أن يفيق ليتعجب من نفسه عن سر شراهته المفاجئة للدم والعنف.

وبعد تفكير عميق أدرك أنه رد فعل لا إرادي لحماسه الزائد وشوقه لخوض قتال حقيقي، بعد تلك المدة الكبيرة التي قضاها بعيدًا عن هذه الأجواء.

فهو في عالم الواقع، لا يستخدم قوته الخارقة، ولا قوته البدنية، ويتقبل سخافات كثيرة، دون أن يتصدى لها بالحزم اللازم.

فهو يعيش الواقع على أنه حلم، وحياته في عالم الظلام على أنها الواقع الأساسي، لذا كان يتجاوز عن الكثير، في عالم الواقع.

ولكنه لن يستطيع تجاوز مثل هذه النظرة الخبيثة، التي يرمقه بها ذلك الوحش السخيف، ذو الرأس الشبيهة بالحرباء.

فاستل سيفه، وطوحه في الهواء، وأطار رأس الحرباء الخبيثة..

ساد هرج ومرج، واستلت السيوف، ورفع كل من أبطالنا الأربعة سلاحه، واستعدوا لخوض المعركة المفاجئة..

إلا أن مجموعة ضخمة من الغيلان، ظهرت في المكان فجأة، وكل منهم يحمل المنجل الذي يتألق بالضوء المنعكس عليه من البلورة المضيئة المعلقة في سقف المكان، وفصلوا بين فريق القتيل، وفريق القاتل، وقال قائدهم في حسم:

– لقد انتهى الاحتفال، وليعد كل منكم إلى مهجعه، ومن الآن لا معارك جانبية، ونظرًا إلى تجاوز الفارس المتمرد، لقانون عدم

الاشتباك، فإنه سيفتتح غدًا الاحتفال، بمعركة ضد حربون العظاءة، ولتسويا حسابكما غدًا.

أنهى كلمته، ثم أشار إلى جنوده من الغيلان، أن يتأكدوا من عودة الجميع إلى مهاجعهم.

وعلى الجانب الآخر من المكان، كانت نيران الغضب مستعرة في قلب حربون العظاءة، الذي رمق الفارس الأسود بنظرة قاتلة، وحربون هو صديق الوحش الذي أطار الفارس الأسود رأسه، ولم يكتفِ بالنظرة، بل ورفع يده الحرشوفية، ومررها على رقبته، في إشارة إلى القتل.

فابتسم الفارس الأسود ابتسامة مستفزه، ثم أدار سيفه في مهارة وأغمده في جرابه الجلدي، وانطلق هو أصدقاؤه الثلاثة إلى المهاجع، وهم يتمازحون.. وكأن شيئًا لم يحدث..

3

أتى الصباح سريعًا، ومعه استيقظ ملاك الموت نشطًا، ليشحذ منجله اللامع، وينظم جنوده استعدادًا للوليمة القادمة..

إنه موسم الحصاد.

كما يحب أن يطلق عليه الغول دارول المنظم الأكبر لحفلات الحفرة السوداء، والذي كان يتطلع إلى دوامة مائية، تدور أمامه كإعصار مقلوب، قبل أن تصفو لتظهر له صورة لأحد المهاجع، وقاطنه.

كان يراقب استعدادات جميع المقاتلين في اهتمام بالغ من أجل معارك اليوم، وفي رأسه ذي الشعر الكثيف تدور أفكار خاصة، وذكريات كئيبة، عن مجد زائل، وأسطورة، وخيانة مُرة.

إنه لم ينسَ كيف خرج مطرودًا من عرينه، يجر أذيال الخيبة، والهزيمة..

إنه يذكر الخيانة، يذكر الخدعة، يذكر أخاه الملعون..

ولذلك أقيمت معارك الفجوة السوداء، هذا العام بشروط مختلفة، من أجل تحقيق هدفه السري، واستعادة مجده الزائل، فهو سيضحي بلؤلؤة الظلام هذه المرة، سعيًا وراء طموحه، ولن يستسلم حتى يكون فريقه الخاص، الذي سيحقق رموز الأسطورة، والذي سيقوده في معركة استعادة العرش.

عرش مملكة الغيلان..

وهو لن ينتظر طويلًا، فبعد ثلاثة أيام، سيتحدد الفريق القادر على

مساعدته، لخوض مستنقعات الموتى.

فالمسابقة ستحدد أفضل الفرق، وأنسبهم للقيام بالمهمة.

قطع أفكاره صوت البوق المميز الذي أعلن عن بدء الاحتفال، فمد يده إلى مشجب عاجي، وجذب من فوقه حرملته، التي ارتداها على عجل..

وخرج قاصدًا.. حلبة الصراع..

والموت..

4

ساحة القتال في منطقة الزوال، كانت مختلفة اختلافًا واضحًا، عن أي مكان آخر أقيمت فيه مثل هذه المباريات الوحشية المميتة.

من رآها بالأمس، لن يتوقع شكلها الآن.

كان البزخ في إعدادها جلي إلى أقصى حد، والسبب غير المعلن هو اجتذاب مراهنين من فئات معينة من أثرياء ممالك الظلام، من أجل تمويل حرب دارول السرية التي يعد لها في الخفاء.

لذا كان حرصه على الإبهار كبيرًا، فبدأ الاحتفال في ساحة صخرية هائلة الحجم، أعدت لاحتواء الألاف من المشاهدين، وتم إضاءتها ببلورات سحرية خاصة من صنع سحرة الأقزام.

وكانت الإضاءة موزعة بشكل مبهر في أنحاء المكان، بينما تتركز بشكل أكبر فوق قفص معدني ضخم، يتسع لأكثر من ثلاثين مقاتلًا، يحيط به حلقات متتالية من المقاعد المختلفة الأشكال، والأحجام، لتناسب تنوع أجناس الحاضرين.

كان المكان مزدحمًا ولا مكان فيه لقدم، وكانت المقصورات الرئيسية تعج بصفوة المجتمع من كل ممالك الظلام، تلك الفئات التي أعد لها دارول حفل هذا العام، بينما على المقاعد العادية، كان يجلس أكبر مجموعة يمكن أن تشاهدها في حياتك من المسوخ، والوحوش، والسحرة المتأنقين.

تم إعداد نظام فوري للمراهنات، يشرف عليه مساعدي دارول، لضبط سير العملية، لتوزع الأرباح يوميا على الفائزين، ويتم حراسة

أرباحهم الخاصة في قبو خاص.

الفائزين يعيشون ليوم آخر ولقتال جديد، بينما ويُلقى القتلى للذئاب في الساحات الخلفية.

إن لحفلات الحفرة السوداء غير القانونية، شعبية هائلة في عالم الظلام، لذا فإن أعداد المشاركين، والمشاهدين، تتزايد باضطراد سنويًا، مما يزيد أرباح دارول، الذي هو أيضًا الأب الروحي لعصابات المعصم الأسود.

ورغم مخالفة هذه المسابقات لكل القوانين التي تحكم ممالك عالم الظلام إلا أنه بعد تطويرها أصبح يؤمها شخصيات ذات وزن وثقل في هذا العالم المظلم، كما وضحنا سابقًا..

إنها متعة دموية.. يتلذذ بها كل المشاركين..

وكالعادة بدأ الحفل بكلمة للغول دارول شرح فيها القواعد والجوائز، وحث الجميع على إمتاع الجمهور المتعطش للدم، وأعلن أن حفلات اليوم الأول فردية. أي أنها مقاتل أمام مقاتل آخر، فكل فريق سيلعب أربع مباريات فردية، والفريق الذي سيخسر اثنين من أعضائه عليه الانسحاب، والانتظار لتكوين فريق جديد من المهزومين.

وختم كلمته قائلًا:

– القتلى لن يعلم به أحد، والفائزين سيحصلون على كل المجد، فقاتلوا من أجل المجد، والمكافأة الكبرى لؤلؤة الظلام.

دوى هتاف الجمهور المتعطش للدماء، وتفاعل مع تحركات

المقاتلين الحماسية.

انتظر دارول إلى أن تنتهي موجة الحماس، قبل أن يشير أشار إلى غول عملاق يحمل بوقًا ذهبيًا.

فانطلق النفير ليعلن أن الوقت قد حان للمباراة الأولى، والتي ستقام بين حربون العظاءة والفارس الأسود.

بينما أعلن دارول قبل انسحابه من المكان، أن القتال سيكون من دون أسلحة، وحتى الموت، نظرًا إلى مخالفتهما قوانين الاشتباك..

ودوى البوق من جديد..

ليخلوا قفص القتال من المقاتلين جميع المقاتلين، عدا الفارس الأسود، وحربون العظاءة.

لتتعالى هتافات الجماهير الحماسية، لترج القاعة.

ومن فوق شرفة صخرية عالية، وقف دارول الغول، يتابع المعركة بعين صقر لا ترمش..

وبدأت المعركة الدموية..

كان المشاهد من بعيد يدرك الفرق الكبير في الحجم بين حربون العظاءة والفارس الأسود، حتى أن الجاهلين بقدرات الفارس الأسود راهنوا بكل أموالهم على حربون العظاءة، اعتمادا على الحجم..

كانت معركة الأموال تدور خارج القفص المعدني، بينما بداخله، كان الخصمان يدوران حول بعضهما بعضًا، وكل منهما يدرس خصمه عن قرب تمهيدا لسحقه.

كان الفارس الأسود يدرك مدى قوة خصمه، لذا فإنه قرر أن يناور كثيرًا حتى يكشف نقطة ضعف الخصم، ليستطيع التغلب عليه.

كما أنه ولن يسمح له بإمساكه، أو التمكن منه، حتى لا يعتصره حتى الموت بذراعيه القويتين، وتأتي نهايته أسرع من البرق.

العيون تشتعل بالإصرار والغضب، وخطوات الأقدام تتسم بالحذر، وفي لحظة ما قرر الاثنان الاشتباك وانقض كل منهما على الآخر في عنف.

كان هجوم حربون العظاءة كاسحًا ومباغتًا، وبرشاقته التي تتعارض بشدة مع حجمه الضخم، هجم على الفارس الأسود بسرعة كبيرة، وأصابه بلكمة ساحقة أطاحت به ليرتطم بقضبان القفص المعدنية.

فاجأت رشاقة حربون فارسنا الشجاع، إلا أنه تمالك نفسه في سرعة، ووقف على قدميه متجاهلًا ما يشعر به من آلام، وأخذ يعدو كالمذعور نحو الجانب البعيد من القفص، وقد اشتعل غضبه من أثر الهجوم المباغت، ومن صيحات الجماهير الهستيرية..

تبع حربون الفارس الأسود راكضًا، وقد زاد من حماسه جبن الفارس الأسود.

وعندما أوشكت يدا حربون المخلبيتان على أن تلمسه، كانت خطة الفارس الأسود الارتجالية قد أتت ثمارها، فقام بالقفز على القضبان بسرعته العالية، واستخدمها كممر رأسي، ثم قفز إلى أعلى دائرًا بجسده، ليهبط على قدميه خلف حربون الذي تفاجأ بأن خصمه

أصبح خلفه..

ولم يضع الفارس الأسود أية لحظة، فضم قبضته، وأطلقها في ضربات عنيفة. عند نقطة معينة، تربط الحبل الشوكي لسلسلة الظهر بجذر العنق، ليتسبب في شلل مؤقت لحربون.

ثم قفز بقدميه معًا، إلى ظهره، ليجعله يرتطم بالقضبان ليرتد مرة ثانية، ويسقط أرضًا..

ليجثو الفارس الأسود على الأرض، جاعلًا جانبي رأس حربون بين يديه، ثم يديرها بكل قوته، ليصدر عنها صوت تحطم مخيف، غطى عليه، صوت صرخات الجماهير الثائرة..

وفي الشرفة العلوية، ابتسم الغول (دارول)، وبخبرة محارب سابق، وقائد محنك، قال:

- هذا رقم واحد في الفريق.

ثم استدار مفارقًا الشرفة إلى غرفته، ليتناول كأس من النبيذ المعتق، ويرتشف منه في استمتاع، قبل أن يستوي على مقعدة المريح، ويغلق عينيه، بانتظار الجولة التالية.

وفي منتصف القفص، وقف الفارس الأسود، وقفة قتالية متباهية، وعند قدميه استقرت جثة حربون العظاءة، وحوله تتساقط الأوراق اللامعة، وتنفجر الألعاب النارية..

وفي أحد الجوانب الممنوع دخولها على الجماهير، وقف أبطالنا الثلاثة يتابعون القتال، وحينما أنهى (الفارس الأسود) المعركة، أخذوا يصيحون ويهللون، وصرخت فتاة الظلام، وهي تصفق بكفيها

بجذل كالأطفال:

- يا إلهي كم هو رائع هذا الفارس الأسود.

رمقها جلاد الشيطان، بنظرة خبيثة، وابتسم ابتسامه صفراء وقال:

- نعم.. نعم إنه رائع ووسيم أيضًا..

التفت ماركوس لهما وقال بعد أن لاحظ احمرار وجه (فتاة الظلام):

- كفى عبثًا.. هيا لنستقبل البطل، ونشاهد الجولة الثانية، ولتستعدي يا فتاة الظلمة لمعركتك القادمة..

وبالفعل استقبلوا الفارس الأسود، بالصياح واللكمات المشجعة على كتفة، ثم جلسوا على مقاعدهم في ركنهم الخاص، وأخذوا يشاهدون المعركة الدموية الدائرة..

كانت الجولة الثانية تدور بين مذؤوب متوحش، ومصاص دماء أخرق، الأعداء التقليديين يجمعهم قفص الموت.

وبالطبع كان ماركوس في شدة البهجة، والمذؤوب يلتهم عنق مصاص الدماء، ثم يبتر أطرافه، واحدًا تلو الآخر، ثم يمزقه إربًا، وينثر أحشاءه، لتلطخ الأرضية الصخرية للقفص..

وكالعادة كان دارول يتابع أداء المقاتلين، فلم يلفت نظره مهارة المذؤوب، نظرًا إلى الضعف الواضح على مصاص الدماء، والهمجية المبالغ فيها التي تعامل بها مع غريمه، والتي تدل على عدم التحكم في الغضب، فقرر أن يؤجل حكمه إلى الغد.

ودوى البوق ليعلن ثالث مباراة، بين فتاة الظلام، والمرأة الأفعى.

كان اللقاء النسائي الأول، وطبعًا جميعنا يعرف فتاة الظلام، بملامحها الفاتنة، وقامتها الرشيقة، ومهارتها المعهودة، ولكن المرأة الأفعى كانت شيئًا آخر.

فنصفها العلوي وجه امرأة فاتنة بل شديدة الفتنة، وخصرها خصر امرأة، ولكن المخيف كان نصفها السفلي، وكان عبارة عن جسد أفعى أسطواني يتلوى طوال الوقت.

وكانت المعركة هذه المرة.. بالخناجر..

وقفت المقاتلتان كل منهما أمام الأخرى في تحد وتحفز، وأخذت المرأة الأفعى تعبث بخنجرها، وتقلبه ذات اليمين، واليسار لإبراز مهارتها.

وبعد نظرات التحدي المستفزة، لم يأخذا وقتًا حتى تلاحما في قتال عنيف ضار.

ومن المعروف أن غضب المرأة وعنفها، أشد من غضب الرجل، وعنفه، لذا كان متوقع أن تكون هذه الجولة جحيمية.

وبالفعل هاجمت المرأة الأفعى على الفور وطوحت بذيلها، لتطوق به فتاة الظلام.

إلا أن فتاة الظلام المتحفزة قفزت إلى أعلى لتتفادى الذيل القوي، شقته بخنجرها، تاركة فيه جرحًا قطعيًا عميقًا.

أثار الجرح غضب المرأة الأفعى، فهاجمت فتاة الظلام بشراسة،

وتلاقت الخناجر في رقصة موت عنيفة..

كان حماس الجماهير، يشعل حماس المقاتلتين، وكانت شراسة المعركة تزيد مع صيحاهم وصخبهم..

وعندما تلاقت الخناجر الحادة تطايرت الشرارات حول المقاتلتان، وفتاة الظلام تتابع، الدماء النازفة من ذيل الأفعى المصاب لتغرق الأرض الصخرية..

كانت فتاة الظلام بنظرتها البعيدة، تراهن على الجرح، الذي أصاب ذيل المرأة الأفعى، وكانت تعلم بأنه سينهكها وستكون فرصتها الكبيرة للإجهاز عليها وربح المعركة.

ولكن المرأة الأفعى خالفت توقعاتها، فلم تكن بالضعف الذي توقعت، وأثارتها رائحة الدماء فكثفت هجومها وضرباتها، حتى أنها حاصرت فتاة الظلام في أحد الأركان، قبل أن تقوم بحركة مزدوجة غادرة، فضغطت بخنجرها على خنجر فتاة الظلام، والتف ذيلها المصاب ليحيط بخصرها، مما أجبر فتاة الظلام على أن تستخدم جناحيها، اللذين منحاها قوة دفع كبيرة، انطلقت بها إلى أعلى هاربة من فخ المرأة الأفعى، محلقة في فضاء القفص، وسط صيحات الجماهير المنتشية بالمفاجآت والدماء.

ومرة ثانية تثبت المرأة الأفعى أنها ليست خصمًا تافهًا، فبسرعة كبيرة ورد فعل مذهل، بإحدى يديها، في قدم فتاة الظلام اليسرى، وبيدها الحرة حاولت إصابتها بخنجرها اللامع..

وكادت أن تنجح بالفعل، لولا أن فتاة الظلام، اعتمدت على قوة

جناحيها، وحلقت بها بسرعة لتصدمها في قضبان القفص بعنف، لتسقط على وجهها، لتجرح جبتها، وليصيبها دوار لحظي.

وبأسلوب استعراضي بحت، حلقت فتاة الظلام في فضاء القفص، ودارت دورتين كاملتين لتحصل على قوة دفع عالية، وانقضت على المرأة الأفعى، التي حاولت أن تحافظ على اتزانها مع ذيلها المصاب، والدماء التي كانت تغرق وجهها، وحالة عدم الاتزان التي أصابتها نتيجة الاصطدام العنيف، فكانت بحاجة إلى مزيد من الوقت لتستعيد سيطرتها على نفسها.

وهو ما لم تمنحه لها فتاة الظلام، التي استغلت الفرصة السانحة، لتطيح برأس المرأة الأفعى بضربة واحدة من خنجرها، قبل أن تتناول الرأس بخفة، وتعود مجددا لتحلق في فضاء القفص، وهي تشاهد جثتها المرأة الأفعى التي كانت تنتفض، وذيلها الذي كان يتلوى في عنف إلى أن سكن جسدها تماما، فرفعت الرأس إلى أعلى لتعلن انتصارها.

كانت المعركة الرهيبة قد أثارت حماسة الجماهير، حتى إنهم هاجموا الغيلان القائمين بالحراسة ليصلوا إلى القفص، ولكن الغيلان الأشداء استخدموا العصي الصاعقة، للسيطرة على الوضع.

وشاهد دارول المعركة الرهيبة، وحدث نفسه وهو يتطلع إلى ماركوس وجلاد الشيطان، وقال:

– لو أن العضوين الآخرين بنفس الكفاءة، فإن هذا الفريق سيكون هو الفريق المختار.

في نفس الوقت، رمق الفارس الأسود فتاة الظلام بنظرة إعجاب، وهي تنضم إليهم، وسط صراخ ماركوس وجلاد الشيطان التشجيعي، وكان من الواضح أن الجميع مستمتعين لأقصى حد.

كانت المباريات التالية عنيفة ودموية، وامتلأت بالأشلاء، والأطراف المبتورة.

وسنتجاوز كل هذه المباريات، لنشاهد كل المباريات التي تخص أبطالنا فقط..

فها هو جلاد الشيطان يقف مبتسمًا في منتصف القفص، بعد أن حان دوره وهو ينظر للجماهير الصاخبة في خيلاء وفي يده سوطه يتلوى كالأفعى.

خصمه كان عملاقًا أسود مفتول العضلات، يحمل في يديه بلطة ضخمة ذات حدين متألقين، وفي عينيه المختلفتين في اللون كان يتألق الجشع والنهم والوحشية.

خصمان باديا القوة والغرور، لذا توقع الجميع أن تطول المعركة، ولكن جلاد الشيطان كعادته فاجأ الجميع، وهو يطوح بسوطه الذي أزّ في الهواء وأحاط بعنق خصمه.

ليجذبه جلاد الشيطان بعنف، فيطير الرأس وسط ذهول الجماهير، الذين سرعان ما صخبوا، وثاروا، وأخذوا يهللون..

ورغم غضب دارول الغول من الانتهاء السريع للمعركة، إلا أنه قال:

– بقي فرد واحد ليكتمل الفريق..

وكانت معركة ماركوس هي الأخطر، لقد كان خصمه أحد جنود أطلس الأشداء، والذين لم يذكر لهم التاريخ أي هزيمة فردية من قبل في ساحات الحفرة السوداء..

كان جندي أطلس يحمل في يده حربة مسننة ذات حدين، في حين قبض ماركوس على سيف.. بتار.. لامع.. مصقول..

كان ماركوس يعلم أن خصمه قوي وعنيف ولا يبالي بالموت، وبالتالي لا يمكن أن يستهين به، وربما هو أصعب من واجههم من خصوم، عبر جولاته في مسابقات الحفرة السوداء.

لذا فإنه كان متحفزا، وقد أعد برأسه خطة بسيطة.

سيجرد جندي أطلس من حربته، ثم يتحول بعدها إلى مذؤوب، ويهاجمه بمخالبه وأنيابه.. ويفتك به..

كانت خطة طموحة بالفعل، ولكن تنفيذها كان شبه مستحيل، فهذا الجندي الرهيب بقناعه المعدني، كان مثل آلة صممت للقتل.

فلم ينتظر ماركوس حتى يبادره بالهجوم، بل هجم هو بشراسة شاهرًا سيفه، الذي تلقاه جندي أطلس بمهارة على نصل حربته، قبل أن يبادر ماركوس بهجوم كاس أجبره على التراجع، واتخاذ جانب الدفاع في المعركة المستعرة.

وتواصلت المعركة لدقائق بين الكر والفر، وكان ظاهرا أن الفارسين سيستمران في قتالهم لزمن أطول، مع قوتهم الظاهرة.

ولكن جندي أطلس قام بحركة مخادعة، وغافل ماركوس وأطاح بسيفه مجردًا إياه من سلاحه.

إلا أن ماركوس لم يكن خصمًا هينًا، فما أن فقد سلاحه، حتى قفز جانبًا بمرونة مدهشة، متفاديًا نصل الحربة القاتل الذي كان يستهدف قلبه، ليندفع جندي أطلس نحو القضبان المعدنية وقد كاد توازنه أن يختل، ولكنه سرعان ما تمالك نفسه، وعاد إلى منتصف القفص وهو يحمل حربته، ويصوبها نحو ماركوس المتحفز..

وللمرة الثانية يعتمد ماركوس على سرعته في تفادي الحربة التي كادت تقتنصه، قبل أن يلقي جندي أطلس حربته أرضًا، ثم يهجم عليه بيديه العاريتين، وكأنه يستهزئ به.

كانت فرصة ماركوس الوحيدة، والتي أتت له على طبق من ذهب.

فتفادى ماركوس انقضاضة الجندي السريعة، وتحول في لحظة واحدة إلى مذؤوب، واستعاد قوته الخارقة، وهجم على الجندي الأعزل الذي باعد بين قدميه، استعدادًا لصد الهجوم، دون أن يهتز لحظة.

وانقض عليه ماركوس فتفادى الجندي الانتفاضة، وهو يدفع جسده صوب حربته التي تبعد عنه عدة أمتار، ولكن ماركوس لم يسمح له، فاعترض جسده في منتصف الطريق بقفزة هائلة، ليسقطا معًا أرضًا، وقبل أن يتخذ الجندي أي رد فعل، أعمل ماركوس أنيابه ومخالبه في جسده.

وبرغم جراحة الخطيرة، قاتل الجندي مرة أخرى محاولًا الوصول إلى حربته، ولكن ماركوس أطار قناعه الحديدي، وبأحد مخالبه الحادة، شق حنجرة الجندي، الذي كانت يداه قد وصلت إلى الحربة،

وتصلبت عليها بعد موته، لتغرق دماؤه الزرقاء أرضية القاعة الصخرية، في مشهد مخيف ومبهر.

واختلطت صيحات الجماهير المتعطشة للدماء، بصرخات دارول الذي كاد أن يقفز إلى أعلى من شدة الإثارة، وهو يردد في حماس:

- نعم.. نعم.. إنهم الفريق المختار..

كانت الجماهير، قد بلغت حالة من الإثارة والصخب، لم يصلوا إليها من قبل، بعد انتهاء المعركة الدامية، وخاصة حينما انتهى تحول ماركوس، وعاد إلى هيئته الطبيعية.

وقبل أن يشرع في تحية الجماهير، دخل عليه أبطالنا الثلاثة مسرعين، وضمه الفارس الأسود بشدة قائلًا:

- لقد قلقت عليك قليلًا يا صديقي..

ضمه ماركوس بقوة قبل أن يقول مزهوًا:

- لا تقلق يا صديقي.. فأنا لها.. وليذكر التاريخ أن ماركوس، هو أول من هزم جنديًا أطلسيًا في مباريات الحفرة السوداء.

وانتهز جلاد الشيطان الفرصة، وقال بصوت متحمس:

- لنحيي جمهورنا.

وفي تناسق وقوة، رفعوا أيديهم جميعًا، ولوحوا بها إلى الجماهير، التي أسكرتها نشوة المعارك، ثم اتجهوا نحو المهاجع.. ليستريحوا، وينظفوا أنفسهم من آثار القتال، وليستعدوا للجولات القادمة.

وغدًا يوم آخر.

5

جلس دارول، وحوله معاونوه من الغيلان، حول طاولة مستطيلة الشكل، وهنأهم على حسن إدارة المباريات حتى هذه اللحظة، وطلب منهم التفاني في رعايتها، لأنها وسيلتهم الوحيدة نحو هدفهم الأكبر، ثم استدار وخص مساعده بالحديث وقال:

– يبدو من متابعتي للمعارك التي أقيمت اليوم، أنه لا يوجد إلا فريق واحد.. لم يهزم أي من أعضائه..

أجاب مساعده بصوته الخشن الذي يشبه الخوار:

– نعم يا سيدي إنهم يبدون جيدين..

قال دارول:

– أريد أن تتبدل القوانين غدًا..

قال مساعده:

– لا بأس يا سيدي لا كما تشاء، ولكن كيف؟..

أجاب دارول:

– أعدو قفص المباريات الكبرى، فغدًا ستندمج كل الفرق، لتشكل فريقًا واحدًا، أمام الفريق المنتصر، وغدًا سيتم السماح لهم باستخدام أسلحتهم الخاصة، وقدراتهم الفائقة دون حدود. أريد أن أرى معركة كبرى ترتجف لها وحوش منطقة الزوال، سلموهم أسلحتهم، وأعلموهم بالقواعد الجديدة، فغدًا أريده يومًا مختلفًا وصاخبًا.

تحمس مساعده لحماسه، فوقف وشد قامته كالجنود، وقال:

– أمرك سيدي..

ثم انصرف وتبعه المساعدون الآخرون، وجلس دارول وحيدًا، يحلم بالعودة..

وعرش مملكة الغيلان.

وفي مخيلته دارت صور.

الفريق المختار.

6

منذ ظهور خيط الضياء الأول، والغيلان يعملون على قدم وساق لإعداد ساحة المعركة المقبلة، فدارول لن يقبل إلا الكمال، وهم لا يتوقعون من أنفسهم بأقل من هذا.

فطوال الليل عمل العشرات على نصب القفص الكبير، كما أنهم أعلنوا في كل مكان وعبر وسائل سحرية عديدة عن تبدل القوانين من أجل متعة أكبر، كما أعلنوا توقيت المباراة الأسطورية، وبدؤوا يجهزون لجموع الجماهير المتوقعة أماكنهم.

على الجانب الآخر ومع شروق الشمس استيقظ الفارس الأسود، ومعه باقي الأصدقاء، وانهمكوا جميعًا في ممارسة تدريبات جماعية، من أجل إتقان بعض التكتيكات القتالية التي ستساعدهم، في النجاة من فخ الغد الذي تم نصبه لهم على حين غرة.

كانوا جميعا يدركون طبيعة الخطر، الذي سيواجههم، وخاصة بعد تعديل القوانين، وزيادة عدد الخصوم غير المتوقع. فلم تخدعهم الحماسة، ولم تغرهم قوتهم، ولم يفت في عضدهم الهول المقبل.

وأخذته التدريبات منهم حتى الظهيرة، إلى أن أنهكوا فتوقفوا. وبرغم ذلك تعالت ضحكاتهم ومزاحهم في المهجع، وهم يتجهون صوب ساحة الطعام.

تناولوا طعامهم المتنوع، دون أن يقرب أحدهم المشروبات المسكرة، فلا مجال الآن المجازفة بعدم صفاء الذهن، وغادروا بهدوء إلى مهاجعهم، وذهبوا في سبات عميق. إلى أن أيقظهم بوق

الاستعداد، الذي رج المهجع وحوله إلى خلية نحل لا تهدأ.

نهضوا من سباتهم، وارتدوا ثيابهم المميزة، واتجهوا كفريق، إلى القفص الكبير يحيط بهم جيش من الغيلان، في مشهد استعراضي مهيب.

ومن شرفته وقف دارول يتابع إعدادات ما قبل المعركة، فاليوم يوم مختلف، وكسر القوانين سابقة هي الأولى من نوعها، ولولا أنه اعتمد على غرور المقاتلين، لتسبب في مشكلات لا حل لها، لقد أراد أن يختبر فريق الأصدقاء إلى أقصى حد، كان يريد أن يرى رد فعلهم أمام المفاجآت وتحت الضغط الشديد.

واختبار القفص الكبير، هو الاختبار الأخير والحاسم..

تألقت عينا دارول ببريق رهيب من النشوة والسرور، فها هو قاب قوسين أو أدنى من تحقيق حلمه..

الحلم الذي لا بديل ليستعيد عرشه، ويحقق انتقامه، ويحرر رجاله من الأسر.

وكما هي العادة، قطع حبل أفكاره، البوق الذي دوى ليعلن بدء المعركة، فرفع عينيه إلى القفص الذي تحول إلى شعلة من الضياء، ورأى أبطالنا. وقد اتخذوا إحدى التشكيلات القتالية التي تدربوا عليها، فقد صنعوا دائرة، وظهر كل منهم يواجه الآخر.

وامتشق كل منهم سلاحه، وأخذوا يدورون كالرحى، وخطواتهم تتابع في تناسق وحذر، وكان من الواضح أنهم مصممون على النصر.

ودوى البوق من جديد ليبدأ الاشتباك، واندفع المقاتلون

المتحمسون للقضاء على الفريق إلى ساحة المعركة عبر أبواب القفص العديدة، التي أغلقها خلفهم الغيلان بمجرد دخولهم..

وبدأت المجزرة..

كان الأمر همجيًا ووحشيًا ولا رحمة فيه، فتناثرت الدماء والأشلاء في كل مكان، فلم تكن كأية معركة سابقة خاضوها، إنهم يواجهون وحوشًا.. من كل لون وصنف.

يواجهون، ما لا يقل عن عشرين وحشًا، مدججًا بالسلاح، والشجاعة التي تمنحها الكثرة.

وكان هذا ما يتوقعه أبطالنا، فداروا كالرحى لتبدأ الأطراف في التناثر، والأعضاء في التمزق، والعظام في التفتت.

لقد شق سيف الفارس الأسود الرؤوس والصدور، وجز الأعناق.

ومزق خنجر فتاة الظلام زوائد، وممصات، واخترق القلوب.

وأزّ سوط جلاد الشيطان، وهو يمزق اللحم، وينثر الأحشاء.

وعوى ماركوس وسيفه يبتر، ويطعن، ويمزق، ويبقر.

وأعطى الفارس الأسود الإشارة، وهو يضغط على سيفه ليستدعي كامل قوته..

وتحول ماركوس إلى مذؤوب، وبدا ينهش في الأجساد المهاجمة.

وزاد جلاد الشيطان من قوة سوطه.

وخرج جناحا فتاة الظلام لتحلق إلى أعلى، وتطلق الضوء القاتل

من عينيها.

كانت لحظة رهيبة في نظر المهاجمين..

فأبطالنا قد استدعوا كامل طاقتهم، في الوقت الذي بدأت الوحوش تنهك، وتتقلص أعدادها..

في الهجمة الأولى قضوا على ثمانية وحوش، وفي لحظة التحول قضوا على أربعة آخرين، قبل أن يعودوا إلى دائرتهم، ويبدؤوا في استخدام استراتيجية الدوامة القاتلة.

فدارت أجسادهم بسرعة عالية، وتحولت سيوفهم إلى ما يشبه شفرات آلة الحصاد، التي أخذت تدور وتمزق كل ما يقابلها..

وكان تكنيك الدوامة ذا فاعلية عالية فهو لم يأتِ بنتيجة فقط..

بل أتى بالنصر..

ومن شرفته قهقه دارول وكاد يقفز من الشرفة، ليرقص على أصوات الجماهير، التي هجمت على القفص، وتخطت سيطرة الحرس، وحملت الأبطال فوق الأعناق، وأخذت تدور بهم، إلى أن فترت الحماسة قليلًا، فانكب العض منهم على نزع تذكارات، من جثث المهزومين، الذي لن يتبقى منهم ما يكفي لعشاء ذئاب الباحات الخلفية.

وفي خلال دقائق قليلة، قام الغيلان بتنظيف الساحة من الأشلاء التي تناثرت خارج القفص، وعلى عجل نصب مسرح حديدي زين بالأقمشة الحريرية السوداء، وفي الخلفية دوى عزف حماسي، وسلم دارول بنفسه لؤلؤة الظلام إلى جلاد الشيطان الذي قبض عليها

بكلتا يديه، وهو يقفز في حماسة جاوبته عليها الجماهير بالتصفيق والتهليل.

وانتهت المراسم بسرعة، وبدأت الجماهير في الانصراف، بعد أن أشبعوا غرائزهم الملتهبة بليلة دموية..

واستضاف دارول الأبطال في مجلسه وحول الطاولة المستطيلة، ألقى إليهم بعرضه..

فتلاقت أعينهم في تساؤل، فاختصر جلاد الشيطان الكلام وقال:

– وما الثمن؟..

ابتسم دارول وهو يخرج صندوق أسود مطعم بالنقوش من أسفل الطاولة، ومد يده إلى داخله، وأخرج أربع يواقيت حمراء، كل منها في حجم قبضة اليد وقال:

– ياقوت أبرود السحري أفضل درع ضد قوى السحر الأسود والمتحولين، وسيدفع الثمن مقدمًا.

نظر جلاد الشيطان إلى ماركوس فهز رأسه بالموافقة، فعاد ببصره إلى الفارس الأسود، فأشار إليه ألا مانع من المزيد من المرح، ثم نظر إلى فتاة الظلام فقالت:

– لا بأس لنخض المغامرة معًا..

رمقهم دارول في سعادة وقال:

– شكرًا لكم كنت أتوقع هذا، ولكن ميثاق الشرف يجبرني على أن أخبركم، أن الخطر في هذه الرحلة لا مثيل له..

فرد الفارس الأسود:

– إذَنْ هي تناسبنا.

فقال دارول وصوته يشع من الحماسة:

– لقاؤنا التالي سيكون حينما يكتمل القمر بدرًا، ففي هذا الوقت تفتح بوابات مملكة الغيلان السرية، وهو الوقت الأمثل لتنفيذ خطتنا.

أشار الفارس الأسود أن لا بأس، وبتوافق متفق عليه، ووقفوا جميعًا، ورددوا تعويذة الانتقال، وتفرقوا، على أمل اللقاء من جديد.

هناك.

في مملكة الغيلان..

الحكاية السادسة

في مملكة الغيلان

1

هناك... تقابل الشر الأسود..

وترى بعينك المصير الأسود..

وينبض قلبك بلا أمل..

هناك... في مملكة الغيلان..

***

جلست سيدة الظلام في غرفتها وحيدة تتأمل بلورتها المسحورة، وقد انعقد حاجباها في ضيق وغضب شديدين، وهي تتابع عبر بلورتها ما يحدث في منطقة الزوال.

ولم يعجبها أبدًا اشتراك أي من أتباعها في مثل هذه المعارك الدموية، والتي تجاهلت بل وحطمت العديد من القوانين، التي كانت قد وضعتها من أجل عدم اشتراك أي ممن يتبعونها فيها.

ولكن كما قال الحكيم أشجور:

– إن اقترابك من الخير يكسبك جزءًا منه، واقترابك من الشر يكسبك جزءًا منه.

كانت تعلم أن هذا الذنب لا يقع كله على عاتق الفارس الأسود وحده، فرجالها ليسوا أطفالًا يمكن إغواؤهم، كما أنها تعلم أيضًا بأن هناك جزءًا شريرًا داخل جنود الخير، يجعلهم يجازفون ويقامرون بحياتهم ذاتها، وهذا الجزء هو المتعة التي تختلط بالشعور بالنصر والتفوق.

ولكن هذا الأمر ليس مبررًا ليخالف جنودها أوامرها التي تمنع الاشتراك في هذه المسابقات الجهنمية، بل ويتمادوا للقيام بمهمة سرية من أجل الغول الهارب دارول.

هذا ما أخبرها به جواسيسها دون الإفصاح عن تفاصيل المهمة، والثمن كما رصدته البلورة لا بد أنه ياقوت أبرود السحري، إنه يشع بشكل خاص عندما يجتمع معًا، فنجحت بلورتها في التقاطه.

لقد خالف جلاد الشيطان، وماركوس القوانين، وجذبوا معهما فتاة الظلام، ومن يخالف القانون يجب أن يعاقب.

ويجب أن يكون العقاب من جنس العمل ذاته، ولا تفرقة فيه بين الجيد من المخطئين وغير الجيد.

وهي من واقع مسئوليتها عن مملكة الظلام ستكون صارمة وحازمة للتصدي لمثل هذه الأفعال، حتى لا تتكرر ولا يكونوا قدوة سيئة لغيرهم، وتتحول الحياة في المملكة إلى الفوضى من جديد، يكفي الاضطرابات السياسية التي لا تتوقف طوال الوقت.

وكعادتها حينما تنوي تنفيذ أمر ما على قدر كبير من الأهمية، فإنها تستعين بأقوى جنودها، وكما للجميع أن يتوقع فإن حارس الجحيم، ونيرفانا كانا في المقدمة.

عدلت سيدة الظلام من زينتها، فهي في النهاية أنثى، ثم قامت بتمرين تنفس خاص لتستعيد هدوءها وتلت تعويذة الاستدعاء.

وعلى الفور تكونت أمامها دوامتان من الضياء، وتجسدت أمامها نيرفانا، وهي ترتدي رداءً أبيض اللون مكونًا من قطعتين يفصل

بينهما حزام ذهبي اللون، وعلى كتفيها ينسدل شعرها كالحرير.

ومن الدوامة الأخرى تجسد حارس الجحيم، وفي إحدى يديه أحد الأطراف المبتورة لكائن قرمزي اللون، وفي يده الأخرى سيف قصير الحجم مستدق ذو مقدمه مدببة غارق في دماء خضراء اللون.

ابتسمت سيدة الظلام رغمًا عنها وقالت:

– يبدو أني استدعيتكم في وقت غير مناسب، وأن وقتكم كان حافلًا بالأعمال.

ابتسم حارس الجحيم وقال:

– لا عليك يا سيدتي لقد كنت أسلي وقتي، بتمزيق بعض من الوحوش القرمزية التي جرؤت على المرح بمدينتي، دون إذني وكان استدعاؤك رحمة بهم، ثم إن شرف استقبالك أنت والعزيزة نيرفانا يفوق أي متعة.

واستدارت سيدة الظلام لتواجه نيرفانا، التي ظهرت في قمة فتنتها وتألقها حتى أن حارس الجحيم لم يرفع عينيه عنها لحظة وقالت:

– وأنت أيتها الأنيقة إلى أين كنتِ ذاهبة، فلا يمكن أن تقاتلي الأعداء بمثل هذا الجمال المبهر.

ابتسمت نيرفانا لإطرائها، وقالت بصوتها الحالم، وعيناها تغرقان في بحر العشق المتدفق مع نظرات حارس الجحيم:

– لقد كنت ذاهبة إلى حفل زفاف إحدى صديقاتي المقربات، وجاء

الاستدعاء الطارئ فلم أستطع إلا أن ألبي.

قالت سيدة الظلام:

– هذا هو عهدي بك دائمًا، وأعدك أن تعودي في نفس لحظة قدومك هنا ولكن بعد أن نقوم بحملتنا التأديبية.

شدت العبارة انتباه حارس الجحيم فردد دون وعي:

– حملة تأديبية؟!

فأجابت سيدة الظلام:

– نعم.. فهناك بعض جنودي المقربين قد ظنوا أني لن أستطيع أن أحيط علمًا بتجاوزاتهم، فتمادوا في غيهم، واستهتروا بقوانيني، واندفعوا خلف غرورهم واشتركوا في مسابقات الحفرة السوداء الحقيرة..

تساءل حارس الجحيم في دهشة:

– أما زالت تلك المباريات اللعينة تقام؟!

ردت سيدة الظلام:

– نعم والأسوأ من ذلك هو اشتراك جلاد الشيطان، وماركوس، وفتاة الظلام، بالإضافة إلى الفارس الأسود، وفوزهم بالجائزة الكبرى..

ولم يتوقف تمردهم عند هذا الحد، فقد أخبرني جواسيسي من رجال دارول، كما أنهم قبلوا عرضه للقيام بمهمة سرية خاصة، وعلمت أنا من مصدر خاص أن الثمن هو حصولهم على ياقوت أبرود

السحري..

قالت نيرفانا وهي تتنحنح:

– وما هو ياقوت أبرود السحري؟..

بدلت سيدة الظلام من جلستها قبل أن تقول:

– إن ياقوت أبرود السحري ينقسم إلى أربع يواقيت متماثلة، كانت تكون في البداية ياقوته وحيدة ضخمة، ولكن فرسان العهد، وأخص الأربعة الآخرين منهم، قاموا قبل أن ينتهي أمرهم بتقسيمها إلى أربعة أجزاء، وكل منهم حمل جزءًا منها، وكان لهذه اليواقيت الأربع قوة رهيبة إذا ما اجتمعت معًا. فمن خصائص هذه اليواقيت الأربع القدرة على إفساد أي سحر أسود مهاجم، لذا فهي تعمل كدرع خارق، ولديها القدرة على نسخ القوى الخارقة لحامليها، لذا فهي وسيلة ناجحة لاستدعاء قوة فرسان العهد الأربعة الراحلين، كما أنه عن طريقها يمكن لأي من حامليها استدعاء بعضهم بعضًا في جزء من الثانية.

توقفت قليلًا لتلتقط أنفاسها ثم قالت:

– ويحكى قديمًا أن هذه اليواقيت الأربع حينما انتهى أمر حامليها بالسقوط في شراك الموت وانتهاء حياتهم، استطاع الساحر إيجول أن يستولى عليها، وعن طريق قدراته الخارقة أكسبها صفات جديدة لقد زادت قدراتها على الوهم والإيحاء، وهذا هو الفخ الرهيب، وأكثر ما أخشاه أن يسقط جنودي في هذا الفخ، ولولا كراهيتي الشديدة لذلك الغول الخائن شارول، لأسلمت له دارول ورجاله ليفتك بهم. ثم

إن بلورتي المسحورة أخبرتني أنهم لم يغادروا بعد منطقة الزوال، ومهمتكم الآن القبض عليهم وإحضارهم إلى قصري لإجراء المحاكمة العادلة، وقبل أن تنتشر الإشاعات عبر الممالك بأن رجالي يساعدون عصابة إجرامية كعصابة دارول. ما أوقن منه الآن، أنهم واقعون تحت تأثير سحر قوي أفسد كل محاولاتي لاستدعائهم رغمًا عنهم، وأخشى أن يسقطوا في مستنقع الشر وتحملهم موجات الغرور نحو الهلاك، ويتسببوا في تعقيدات سياسية لا حاجة لنا بها وسط الفوضى التي تطال الممالك المجاورة.

أنهت حديثها، فقال حارس الجحيم وهو ينزع عينيه من عيني نيرفانا انتزاعًا:

– وهل هذه المهمة إنقاذ أم عقاب؟!

قالت سيدة الظلام:

– إنها هذا وذاك، فإن أخطأ أبرع جنودي لا يعني ألا أعاقبهم، ولكن في نفس الوقت لن أتردد بدفع حياتي ثمنًا لإنقاذهم.. إنها معادلة الولاء والمسئولية يا حارس الجحيم.

شد حارس الجحيم قامته وقال:

– لا تقلقي يا سيدتي، سأحضرهم حتى لو اضطررت إلى الغوص في قلب الجحيم، ولو أطفأت كل نجمة، وجففت كل نهر، ومزقت قلب الظلام.

وقالت نيرفانا:

– سيدتي إن أرواحنا فداء لأوامرك، لن يبقى جزء في منطقة

الزوال إلا وسيرتجف هلعًا من قدومنا..

وبحكمتها المعتادة قالت سيدة الظلام:

– لا تجازفوا بأنفسكم حينما لا تجدون أن النصر حليفكم، واعلموا أن الغيلان ما زالوا يسيطرون على منطقة الزوال فعقدهم مع السحرة لم ينتهِ، وأن قوتهم لا يستهان بها.

قال حارس الجحيم في حماس:

– صدقيني يا سيدتي، سأعود بهم بعد أن أصنع من هؤلاء الغيلان عصيدة.

وتلاقت يد حارس الجحيم بيد نيرفانا، وارتجف قلباهما للحظات قبل أن يتم الانتقال..

وخلفهما قالت سيدة الظلام:

– ستفعلانها.. أثق بهذا، ولولا التعقيدات السياسية لكوني ملكة وقائدة، لكنت أول الذاهبين.

وخيل إليها أنها تسمع ضحكة ساخرة..

انطلقت في سماء القصر..

ضحكة ملك الموت..

2

حياة طبيعية هي ما يمارسها على الأصدقاء الأربعة هذه الأيام، فالأحداث تمر عليهم في واقعهم عادية جدًا، بعد أن غادروا منطقة الزوال أو هذا ما كانوا يعتقدوه..

ونظرًا إلى ارتباطهم بمهمة خاصة، وبعد أن قربت بينهم مسابقات الحفرة السوداء الأخيرة، فإنهم داوموا على الاتصال ببعضهم بعضًا عن طريق ياقوت أبرود السحري، وأيامهم تمر بهم على نفس الوتيرة، حتى تبقى يوم واحد ليصبح القمر بدرًا.

وفي هذا اليوم الرائع تألقت اليواقيت السحرية بلون أحمر لامع، وجاءت إشارة الاستدعاء من الغول دارول والتي ينتظرها الأصدقاء.

ولبى الأصدقاء النداء.

حملتهم قوة اليواقيت اللامعة في أجزاء من الثانية، إلى حيث يجلس الغول، وكل منهم يهيئ نفسه للإثارة القادمة.

لم يكن التجسد هذه المرة في غرفة الطاولة المستطيلة، ولكنه كان في كهف العدم في قلب منطقة الزوال حيث الظلام والألم..

الكهف الأسطوري مضاء بضوء شاحب من مشاعل عديدة متناثرة على جوانب الجدران الصخرية غير المنتظمة، ولم يخلُ السقف أيضًا من إثارة فظهر ممتلئًا بالجماجم والتي تخترقها الهوابط المدببة الحجرية المتدلية من السقف في مشهد ترتجف له أشد القلوب ثباتًا.

لم تؤثر هذه الأمور الاستعراضية المخيفة في عزيمة أبطالنا أو

تفت في عضدهم، واتجهوا بكل ثقة إلى حيث يجلس الغول دارول، وبالقرب منهم جلست مجموعة من الغيلان على مقاعد حجرية بمستوى أقل ارتفاعًا من مقعد كبيرهم دارول، والذي هب واقفًا ابتهاجًا بقدوم الأبطال، وتبعه مجموعة الغيلان..

تقدم الفارس الأسود في البداية وحيا دارول ومساعديه وتبعه بقية الأصدقاء، وجلسوا على مقاعد حجرية مشابهة لما يجلس عليه الغيلان وابتدرهم دارول قائلًا:

– أهلًا بكم في كهف العدم، حيث يذهب إلى العدم كل متسلل، فلن تصل إلينا أذن مهما كانت حدتها، ولن ترانا عين مهما كان قوتها.

قالها ثم صمت قليلا قبل أن يستطرد:

– وفيتم، ولبيتم، برغم حصولكم على الأجر مقدمًا.

رد الفارس الأسود في صرامة:

– لقد تعودنا ألا نحنث بعهودنا قط، ولا داعي لمقدمات كثيرة يا دارول وأخبرنا متى تبدأ الرحلة..

قال دارول:

– لا تتعجل الشر فإنه آتٍ لا محالة..

قال الفارس الأسود بصوت هادئ:

– إن الشر طريقي، وقدري أسبح فيه كما يسبح تنين موروجا في نهر اللهب..

قهقه دارول وقال:

– فارس شجاع وشاعر.. لا بأس.. لا بأس، ستبدأ الرحلة قريبًا ولكني أريد منكم وعدًا.

قال جلاد الشيطان باستغراب:

– وعد.. وعد بماذا؟!

قال دارول في توتر:

– وعد بالاستمرار حتى النهاية، مهما كان ما تواجهونه، ومهما كانت عواقبه..

قال جلاد الشيطان بصوت تملأه الشكوك:

– ما لي أشم في حديثك رائحة الخداع!..

اضطرب صوت دارول من كلام جلاد الشيطان المفاجئ والمباشر، وهو الذي اعتاد على الالتفاف حول كل المواضيع، والدخول متسللًا عبر شرفات الكلام، فتمالك رباطة جأشه وقال:

– ليس هناك مجال للخداع بيننا، ولكن هذه عادتي، ودائمًا ما أبدأ بها، وخاصة حينما يتولى أعمالي غرباء عني، ثم إن مهمتكم هي أهم حدث في حياتي كلها، ولا بأس ببعض الحرص.

قال الفارس الأسود محاولًا تغيير دفة الحديث متسائلًا:

– هل عندك أي معلومات لا نعلمها عن هذه المهمة؟!..

هز دارول رأسه الضخم وقال:

– سأقص عليكم القصة من البداية، وفيها كل ما تريدون معرفته

من معلومات، ولكني لا أحب أن يقاطعني أحد.

انقبض قلب فتاة الظلام، وارتجفت من لهجة دارول، وأنبأتها حاستها الخارقة بأن الأمور لن تسير على ما يرام، فنظرت إلى الفارس الأسود فوجدته يبادلها نفس النظرات فارتجفت من جديد.

بدأ دارول حديثه بصوته الأجش قائلًا:

– منذ صغري وأنا عاشق ومتابع جيد لتاريخ الممالك، وخاصة الأحداث التي كانت تصف قيام وسقوط ممالك الظلام، والممالك النجمية، وحروب الفرسان المجنحين القديمة، وأهيم بالطبع بتاريخ مملكة الغيلان في عصرها الذهبي، وحروبها ضد مخلوقات أنجور التي أصبحت عبيدًا بعد ذلك تخدم في مملكة الغيلان. وانعكس ذلك كله على شخصيتي، فكنت صبيًا مشاكسًا محبًا للصيد والبرية، لم أستقر يومًا في مكان، وكان أبي الملك يدللني ويؤثرني ويجعلني دائمًا بالقرب منه دائمًا.

ورغم أنني وأخي شارول توائم متماثلة، إلا أن أخي تأصلت بداخله ميول عدوانية واضحة جعلت مكانته عند أبي تضعف قليلًا، وبرغم ذلك داوم أبي على الاعتناء بنا جيدًا، إلا أن حبه وإيثاره ظلا واضحين وظاهرين في تعاملاته معي.

توقف الغول دارول قليلًا وهو يتابع العيون التي تعلقت به فأكمل:

– وكانت هذه بداية شرارة الحقد الدفين بيني وبين أخي دون أن يكون لي ذنب أو جريرة في تطور الأمور وتفاقمها، أما ما حول هذه الشرارة لنار محرقة تأكل في صدر أخي، وجعلها تتأجج لتصبح

بركانًا ثائرًا أحرق الجميع هو الوزير، وزير أبي هكتور.

والذي كان يحمل في صدره مشاعر الكراهية والحقد للملك، والذي برع في إخفائها بالخداع والمداهنة، وفرصته الذهبية جاءت له مع التفرقة الواضحة التي يمارسها الملك بيني وبين أخي دون أن يشعر، وبالفعل بنى كل خطته على عدوانية شارول ورغبته الكاسحة بالتفوق، والذي استمرت شراسته تزداد عامًا بعد عام..

مرت الأيام وأخذ نجم صحة والدي الملك يخبو، وبدأ الضعف يتملكه حتى شارف على الموت وبدأ في الاحتضار.

وفي اليوم الذي شعر فيه بدنو أجله، وأن ساعاته في هذه الدنيا أصبحت معدودة، جمع كل معاونيه، ووزيره، ومجلس الحكم، وأعلن وصيته، والتي كانت معلومة للجميع مسبقًا، فقد أوصى بالعرش من بعده إلى دارول ابنه القريب من قلبه.. لي أنا..

ولم يتقبل شارول ما حدث، وبدأت المؤامرات تحاك، وذات يوم خريفي مليء بالعواصف والأتربة وأوراق الشجر التي تتناثر في كل مكان. طفقت عائدًا من رحلة صيد منفردة، اعتدت أن أقوم بها أنا وخادمي بو من دون حراسة.

وبو من مخلوقات أنجور ذات الجسد النحيل والرأس الكبيرة التي تشبه الكرة، والذين تحولوا إلى خدم لنا بعد هزيمتهم في معركة المجن الكبير.

كنت قد منيت بصيد وفير، ورجعت والفرحة تتراقص داخل عيني وأترقب اللحظة التي أقابل فيها أبي المريض، لأشاهد ابتسامته

الواهنة وهي تغمر وجهه، وأسمع كلمات الإطراء والثناء التي كان يستقبلني بها.

وفي طريق عودتي دائمًا ما كنت أتجاهل منطقة المستنقعات، والتي يطلق عليها العامة في مملكة الغيلان، اسم مستنقعات الموت.

وهي مستنقعات سحرية تربط منطقة الزوال في بعدها السحري، بمملكة الغيلان عن طريق بوابات سرية لا تفتح إلا مرة واحدة كل شهر، وحينما يصير القمر بدرًا وأتخذ الطريق الجبلي الوعر الطويل.

وقبل أن أصل إلى حدود المملكة، استوقفني بو والدموع تتناثر من عينيه، وأخبرني بالأمر المفجع.

فزوجته الخادمة الموجودة بقصر أبي الملك، أخبرته عن طريق التخاطر أن الملك مات، بعد أن أوصى بي من بعده ملكًا لمملكة الغيلان مرة أخرى، كآخر أمر من أوامره الملكية قبل أن يفارق الحياة.

لم أصدق ما قاله لي، وعنفته بشدة، وانطلقت أنهب الطريق نحو القصر، وأنا أتجاهل نداءات كل من يقابلني حتى وصلت إلى غرفة والدي وجلست على ركبتي أمامه، وأخذت يده التي نحل شعرها وبهت لونها، وانهمكت أقبلها وأنا أنظر إلى وجهه الذي خلا من الشعر تمامًا، هو وجزء من رقبته، وانطلقت أبكي وأحفر ملامح والدي الطيب في قلبي ودموعي تنهمر وتنهمر.

نظر الفارس الأسود بتمعن إلى وجه دارول الممتلئ بالشعر فلاحظ على وجهه علامات التأثر الشديد فتجاهل الأمر وعاد ينصت من

جديد، لصوت دارول المتأثر:

– أقيمت فترة حداد ضخمة لمدة أربعين يومًا، وبكى الشعب الملك العادل الشجاع الذي غادرهم، وبعد ذلك تمت كل مراسم التتويج، ووضع تاج المملكة على رأسي لأول مرة، وأصبحت أنا الملك، ولأول مرة في حياتي أرى في عين أخي شارول نظرة الكراهية واضحة.

كذبت عيني، وأقنعت نفسي أن العيون تخدع أحيانًا، وأكملت المراسم.

وبعد مرور عدة أشهر على جلوسي على العرش، وفي خضم المسئوليات الجسيمة، حدثت أولى الاختبارات التي واجهتني والتي انتهت بفاجعة رهيبة.

فقد زارني هكتور مبكرًا على غير العادة، والصبح ما زال يحاول الخروج من عباءة الليل، وكان النوم يسيطر على كل حواسي بعد أن تناولت قنينة كاملة من خمر الأقزام المعتق.

فحاولت أن أنهض وأجلو ذهني لأستمع إلى حديث هكتور وزير أبي السابق، ووزيري الحالي، الذي صور لي الخمر أنه كان يتحدث بسرعة غير معهودة، فقلت له بصوت غاضب يحمل ضيق الدنيا كلها، والصورة تتحول في عيني من العتمة إلى الاهتزاز ثم إلى الصفاء وقد بدأ رأسي يستقر:

– توقف عن أحاديثك غير المفهومة قليلًا..

ثم أجبرت لساني على الحركة وقلت:

– كرر كلامك ببطء، واجعله مفهومًا أو أغرب عن وجهي الآن..

فقال لي وصوته يصنع سيمفونية مرعبة تشترك مع قسمات وجهه المتغضنة وقال:

– إن قوات أخيتوم العمالقة على حدود المملكة يعيثون فسادًا في القرى المتاخمة لها.

قلت في فزع من المفاجأة:

– قوات أخيتوم العمالقة، أليس بيننا وبينهم معاهدة واتفاق، فلأي سبب خرقوها واشتروا عداوتنا؟

قال بصوت مرتعب:

– الأمور غير جلية يا سيدي، والواضح أنهم يهاجمون بضراوة محاولين مباغتة جيشنا واحتلال عاصمتنا قبل أن يستعد جيشنا لصدهم.

أطار الخبر المشئوم من رأسي آثار الخمر، على الفور ارتديت ثيابي وأصدرت أوامري، وانطلقت الأبواق تعلن حالة الحرب والاستنفار العام.

كثفت قواتي عند المستنقعات، ودعمت قلاعها بآلاف الجنود، ثم قدت باقي جيشي إلى حيث وادي السواقي وعسكرنا هناك.

وكان من الواضح أن هجوم العمالقة الضاري ليس بلا سبب، فوحشيتهم في اجتياح القرى الحدودية، أظهرت أنهم يسعون إلى شيء ما، وأنه لا شيء قادر على إيقافهم، ولكن ما هو... ما هو؟!

أنا أخوض غمار معركة لا أفقه شيئا عن مسبباتها، وبالطبع لم أرَ

أخي شارول منذ بدأت المعارك، وكأن الأرض قد انشقت وابتلعته، ولكن هذا لم يشغل بالي أكثر من لحظات، ثم اندمجت في ترتيبات المعركة القادمة والتي ستصبح وحشية إلى أقصى مدى، فنحن معشر الغيلان لا نستسلم قط ولا نبدأ بالفرار، ولا نترك أوطاننا ليحتلها الغرباء مهما كانت قوتهم.

والعمالقة وحوش مثل الأعاصير حينما تقاتل فإنها تكتسح ما أمامها، ولا تترك مجالًا لجرحى أو أسرى..

لن أنكر قلقي من المعركة المفاجئة، ولكن ما ساعدني على احتوائه، أن مملكة الغيلان حصن طبيعي، وهبتها الطبيعة حماية خاصة بواسطة الجبال التي تحيط بها والصحاري التي تجعلها كجزيرة تحيط بها الرمال من كل جانب..

وبرغم كل الترتيبات التي قومنا بها، استمر هجوم العمالقة كاسحًا ويقترب بثقة ويتجه نحو أسوار القصر الإمبراطوري في الطريق للاستيلاء عليه.

وهو ما لم يسمح به جنود الفرقة الإمبراطورية الخاصة، وأثبتوا للعمالقة أنهم أكثر وحشية وعنفًا.

وسقط من الجانبين مئات الضحايا، وفي النهاية أثبتت فرقة الغيلان الإمبراطورية مدى مهارتها، وهي تتصدى للعمالقة، وتوقف الحشود الزاحفة، والتي بدا وكأنها تعرف طريقها جيدًا، وهي تتخطى مواقع الفخاخ التي نصبتها فرقنا المتقدمة، وكأن هناك من أرشدها إلى الممرات السرية للمملكة..

قاتلت فرقة الغيلان الإمبراطورية بوحشية ومهارة حتى أن الزحف توقف لعدة ساعات، وهو ما جعلني أعيد تنظيم قواتي، وأطلب الدعم من حليفتي الأثيرة ملكة التنانين الشاحبة.

وبتحالفنا كانت المعركة محسومة وتحولت إلى مجزرة، فقوة الغيلان لا يستهان بها وحينما يضاف لها قوة التنانين تصبح القوة مطلقة.

فالهجوم الكاسح أصبح على محورين أرضي وجوي، والموت يحصد في الجميع دون هوادة، واستمرت المعركة على وتيرتها، حتى بدأت كفة المعركة تميل باتجاهنا، وهنا طلب أخيتوم ملك العمالقة الهدنة ومناقشة الوضع، ومن واقع القوة والسيطرة وافقت على الهدنة حقنًا للدماء في هذه المعركة المريبة..

اجتمعنا في القصر الإمبراطوري، ومعنا ملكة مملكة التنانين الجميلة وظل الجو مشحونًا بالحذر ومشاعر أخرى مختلطة ومتشعبة لفترة غير قصيرة.

لم أعامل أخيتوم كملك مهزوم فلنا أيام حميمة معًا، بل وأجبرت الجميع على معاملته معاملة ملك صديق يأتي في زيارة، وود..

تحدث أخيتوم بطريقه هجومية، وصوته الجهوري الغليظ يرج القاعة وهو يلقي علينا الاتهامات جزافا، يتهمنا بأننا سرقنا كأس الخلود المقدس من معبدهم، ويؤكد بأن كافة الآثار تدل على أنه في القصر الإمبراطوري.

أنكرت بالطبع بثقة من لم يقترف هذا الجرم، وتدخلت ملكة

التنانين وقالت بصوتها الناعم:

– لنهدأ قليلًا ونناقش الأمر بهدوء..

قال أخيتوم ملك العمالقة:

– دارول إن هذا الكأس هو طوطمنا، وهو رمزنا وشرفنا وكرامتنا، ويجب أن أعود به، وإلا ستكون العواقب وخيمة ووبيلة على الجميع..

وجهت ملكة التنانين حديثها إليه وقالت:

– لماذا تصر على وجوده في القصر الملكي، هل لديك دليل واحد على هذا الاتهام العجيب؟..

أخرج أخيتوم رقعة جلدية ذات أطراف مذهبة من حزامه، ثم فردها أمامنا جميعًا، وهو يشير إلى مكان ما.

وفور رؤيتي لهذه الرقعة المميزة، اسودّ وجهي في الحال فهذه الرقعة ذات الأطراف المذهبة، هي رقعتنا الملكية، أحد أسرارنا الدفينة، والتي لا يعرف بها إلا أنا، وأخي شارول، وأبي الراحل بالطبع.

صرخت في أخيتوم من المفاجأة، وتساءلت في غضب:

– من أين حصلت على هذه الرقعة؟!

قاطعني دخول أخي شارول وحوله العشرات من الجنود المدججين بالسلاح، وهو يمد يده بكأس ذهبية لامعة وقال:

– كما وعدتك يا حليفي العزيز أخيتوم، ها هي كأسكم المقدسة..

اشتعل وجهي غضبًا وأنا أقول:

– أي مؤامرة هذه، وماذا يحدث هنا؟

وقفت ملكة التنانين الشاحبة وعيناها تشتعلان باللهب، وقد سحبت سيفها الناري مما جعل الجنود يتحفزون وقالت:

– أهي خيانة أم انقلاب على الحكم؟

قلت بغضب وقد بدأت الصورة تتضح أمامي:

– إذَنْ هي مؤامرة بالاشتراك بين أخيتوم ملك العمالقة، وبين أخي.

ثم توقفت وتساءلت بصوت سمعه الجميع:

– ترى هل هكتور هو الضلع الثالث فيها؟!..

وكأن الأرض انشقت ليخرج هكتور من بين الجنود وسحنته المتغضنة تكشف عن ابتسامة مقيتة وهو يتحدث للجميع بلهجة خطابية:

– إن كل همنا هو مصلحة مملكة الغيلان، لقد استولى ملكنا غير الحكيم دارول على الكأس المقدس لأغراض غير نبيلة، وعرض أمن وأمان المملكة للخطر، لمجرد نزوة عابرة، ولقد أطلعنا مجلس الحكم على ما حدث، وقررنا بعد الهدنة عزل الملك ومحاكمته و..

لم أنتظر باقي الحديث، فالمؤامرة اتضحت أركانها على الفور، والجميع من حولي ضالعون فيها، وسحبت سيفي أنا والقلة القليلة من جنودي الذين ما زالوا يدينون لي بالولاء، وبدأت المجزرة.

وبدأ جنودي يتساقطون بيد إخوانهم..

كان الأمر محطمًا للقلوب، ورغم اشتراك ملكة التنانين في القتال، إلا أن الكفة رجحت لصالحهم، واضطررنا إلى أصعب شيء على روحي.. الفرار.

فعن طريق الاتصال الذهني بين ملكة التنانين وجنودها، هاجم التنانين المجنحون القلعة لتأمين سبيل الفرار، وفي أثناء البلبلة التي أحدثها الهجوم المفاجئ للتنانين المجنحة، استخدمت ملكة التنانين قوتها السحرية في نقلنا إلى قلعتها الضخمة، وساندتني بكل قوتها، وإمكانيتها حتى استطعت أن أكون فرق المقاومة، وأعد جنودي للحرب القادمة.

الحرب التي تقف أمامها عقبة واحدة، وهو عبور البوابات السرية، والتي تحتاج إلى قوات من نوع خاص، وإلى فريق خارق مثلكم ليقتحمها ليمهد الطريق لعبور جنودي إلى قلب المملكة.

وهذه هي كل القصة..

انتهى الغول دارول من حديثه فخيم الصمت للحظات حتى قطعه الفارس الأسود، وهو يتحدث بصوت عميق يدل على تفكير أعمق:

– إذن فمهمتنا من أجل هدف نبيل، وهو عودة عصور النور بقيادتك لمملكة الغيلان، ولكن ألا ترى أن هذا الطريق سيكون مفروشًا بالدماء والأشلاء؟!

ابتسم دارول ابتسامة صفراء وقال:

- لا شيء بلا ثمن يا صديقي.. طريق الحرية دائما مفروش بالدماء..

قال جلاد الشيطان بنفاد صبر:

- متى سننتهي من حديث الذكريات هذا...وما هي الخطة؟!

قال دارول:

- اقتربوا قليلًا.

ثم بدأ يشرح خطته..

وكانت رهيبة.. رهيبة بحق..

3

يقول لوسيفر:

– إن للأرض أسرارها، وأنا أحد أسرار هذه الأرض.

قالت سايا ووجها يتغير ويتبدل في عدم فهم:

– إن كلامك اليوم مثل الألغاز، ويبدو أنك تستمتع بالحديث غير المفهوم.

قال لوسيفر:

– إن المعرفة كنز كبير، لا يأتي إلا ببذل الجهد والعرق وأنت تتعجلين، فيومًا ما ستفصح الأرض عن أسرارها، وساعتها لن يكون على قيد الحياة إلا الأقوياء و...

قاطعته قرقعة عنيفة ودوامة ضوئية تتكون في منتصف الحجرة، ليغمض عينيه ويقول:

– حارس الجحيم من جديد.. ومن؟! أميرة القلوب نيرفانا.

لم يرد حارس الجحيم على هذه الكلمات المرحبة ودخل في صلب الموضوع مباشرة، وقال:

– أهلًا لوسيفر، لقد حان الوقت..

زوى لوسيفر ما بين حاجبيه وقال:

– أي وقت هذا الذي حان؟!

قال حارس الجحيم:

– أنت تدري جيدًا.. خدمة مقابل خدمة..

قال لوسيفر:

– إن حارس الجحيم قوة هائلة، ومعني أن يستعين مثله بمثلي، أن الخطب القادم عظيم..

أجا حارس الجحيم:

– هو كذلك.. ولا وقت لنضيعه في الحديث والمهاترات.

قال لوسيفر بصوته الناعم المتخابث:

– حنانيك يا رجل أخبرني أولًا فقد يكون ما تحتاج إليّ فيه، هو ما أنا غير قادر عليه!..

رد حارس الجحيم بصرامة:

– حينما أنقذت حياتك لم أفكر مرتين!..

شعر لوسيفر بالدم يصعد في وجنتيه وقال:

– لا تعتقد بأني أقل منك شجاعة، ولكن المرء لا يعرض حياته للخطر عن جهل، وبرغم ذلك أنا وتلميذتي سايا معك، حتى ولو خضنا قلب الجحيم.

قال حارس الجحيم بصوت قاس:

– إنه إلى ذلك أقرب.. ثم رفع حاجبه الأيسر كناية عن الاستغراب وقال:

– سايا تلميذتك، ومتى كان جنود الخير تلاميذ في مدرسة

الشر؟..

قالت سايا بسرعة مدافعة عن نفسها:

– الأمر ليس كما يبدو يا حارس الجحيم، إنه قسم قديم، وعهد يجب أن أفي به، ولا أستطيع أن أبوح بأكثر من هذا..

قال حارس الجحيم وصوته يوحي بالاستياء:

– إن المهمة التي نحن بصددها أهم من البحث في أي قضايا أخرى جانبية أخرى، فلنجعل ما ليس هامًا الآن إلى وقته..

قال لوسيفر مبتسمًا:

– ألن تخبرني أولًا، إلى أين نحن ذاهبون؟..

قال حارس الجحيم بلا تردد:

– إلى عرين الغيلان، حيث للشر شعر كثيف أسود، ورائحة نفاذة خانقه.

ابتسم لوسيفر ابتسامة شريرة، وقال:

– أنا معك، ولننطلق على الفور..

وذابوا جميعًا مع انتهاء آخر حروف التعويذة، وتألق العدم..

وبدأت المهمة..

4

انطلق الفارس الأسود ومعه الأصدقاء، يقطعون الطريق فوق ظهور الجياد المدربة، وأمامهم كان دارول وجنوده من الغيلان يقودون الطريق، نحو أرض الشر الأسود، والقلوب السوداء، والمصير القاتم.

نحو مملكة الغيلان..

قطعوا طريقًا طويلًا استغرق النهار بأكمله، وتركوا خلفهم أحراشًا وأدغالًا تغطي مساحات شاسعة من الأرض، حتى ألقى الظلام بعباءته السوداء على الكون، فتوقف الجميع للتخييم..

قد يتساءل الجميع لماذا لم يستخدم الأصدقاء تعويذة انتقال للدخول إلى مملكة الغيلان، أو حتى للوصول إلى البوابات السرية، لن أجعلها كأحجية أو سؤال بلا حل وإجابتي المختصرة: إنه السحر الذي يحمي مملكة الغيلان، ويقيها من الاختراق فلا يستطيع إلا غول أو عملاق من الولوج وبصعوبات هائلة، خاصة لو استخدم البوابات السرية. لذا كان استخدام الجياد هو الحل الأمثل.

ولن نخوض في سرد الكيفية التي مر بها الليل، فالجميع كانوا متعبين من القيادة طوال النهار وراحوا في سبات عميق، حتى أتى النهار كما يأتي دائمًا، متسللًا مضيئًا غامضًا، لا يشي بالأحداث المروعة التي ستبدأ مع نهايته..

ومع أول خيط من خيوط النهار، تحرك الجميع في ممرات وطرق غير معبدة أرهقت الخيول، واستمر التحرك حتى اعتلت الشمس

قبة السماء، وأرسلت لهيبها لينعكس على دروع المقاتلين، دون أن يتوقفوا لحظة واحدة.

وما أن ضعفت قوتها وبدأت تذوي وتجمع خيوطها الذهبية استعدادًا للرحيل حتى أشار دارول للجميع أن يتوقفوا، ثم أشار إلى بعض جنوده أن يتبعوه، حتى وصل إلى حائط جبلي قريب يعترض الطريق.

فأخرج قنينة عاجية سكب منها بعض قطرات من سائل براق على حافة بئر غير عميقة تظهر في الظلام كفم وحش غامض.

وأخرج سكينًا عجيبة الشكل وتبعه جنوده وأخرج كل من جنوده سكينًا مماثلًا لما يحمله دارول، وأحدث كل منهم جرحًا قطعيًا في راحة يده اليسرى، وأراق الدماء على السائل الذي توهج بوهج أرجواني عنيف، ليصنع دوامة اخترقها دارول وهو يشير إلى الجميع أن يتبعوه، ولم يتردد أحد وتبعوه، واجتاح الألم الأجساد، وعصر القلوب، ونثر بداخل الجميع مشاعر ملتهبة..

الجحيم..

الجحيم.. هو ما شعروا به وهم يعبرون إلى داخل الدوامة المتوهجة..

نار باردة حتى التجمد..

وثلوج مشتعلة حتى التوهج..

أرواحهم تسحب..

دماؤهم تغلي وتبرد..

يتناثرون..

ويضغطون..

ويسحقون..

ثم هدأ كل شيء، ليجدوا أنفسهم في أقذر مكان يمكن أن يتجسدوا فيه، في قلب المستنقعات، وفي أشنع منطقة منها.

المنطقة التي تصرف فيها فضلات ومخلفات الغيلان..

أطلق جلاد الشيطان سبة بذيئة، وظهر الامتعاض على وجوه الباقين وهم يتوجهون بنظرهم إلى دارول الذي قال دون أسف أو اعتذار:

– إنه المكان الوحيد في مملكة الغيلان الذي لا توجد عليه حراسة..

قالت فتاة الظلام، وهي تقاوم رغبة عارمة في التقيؤ:

– لنغادر هذا المكان الملعون بسرعة، فأنا أكاد أقضي نحبي من الرائحة الشنيعة..

تحدث دارول بنفس البرود وكأن الرائحة لا تصل إلى أنفه أساسًا وقال:

– قبل أن نغادر يجب أن يتوخى الجميع الحذر لا استعمال للسحر نهائيًا، ولا مجازفة قبل ساعة الصفر..

قال الفارس الأسود بتوتر واشمئزاز:

– كلنا ناضجون.. ونعلم ذلك ولنغادر هذا المكان القذر..

زمجر ماركوس بحدة مؤيدًا الكلام..

بالطبع لم تكن الرحلة هينة أو سهلة أو قصيرة، لقد قضوا عدة ساعات في عبور المستنقع بروائحه المقززة، وحيواناته المتطفلة التي ذاقت طعم الموت على أيدي الأصدقاء وعلى أيدي الغيلان المصاحبين لهم..

كان الأمر مقززًا أكثر منه خطرًا، لقد أفرغت فتاة الظلام ما في جوفها عدة مرات، حتى كادت أن تتقيأ روحها ذاتها، دون أن تعتاد أو تتقبل الرائحة الجهنمية.

وبعد جهد شاق وصلوا أخيرًا إلى أرض صخرية تتناثر فوقها جثث نافقة لحيوانات غريبة الشكل، وتهب منها روائح تفوق الكوابيس شناعة، لدرجة أن الفارس الأسود فقد وقاره المعهود وقال بصوت غاضب:

– ألن ينتهي هذا القرف؟!..

تحدث دارول وقد ظهرت على وجهه أثر المعاناة أخيرًا وقال:

– دقائق ونصل إلى وجهتنا، إن هذه الشناعات هي الدرع الواقي الذي يخفي مقر المقاومة، ونحن ندين لها بحياتنا حتى هذه اللحظة.

تحامل الجميع على أنفسهم واخترقوا الطريق الذي طلاه الموت بطلائه الغامض، إلى أن اعترضت طريقهم هوة عميقة تتناثر حولها

بقايا أشجار وفروع وعظام حيوانات في عشوائية، فتوقف الجميع على حافتها ينظرون إلى قاعها المظلم الذي لا قرار له، دون أن يعرفوا أي شيء عن الخطوة التالية..

تعلقت عيون الأصدقاء المنهكين بدارول الذي أشار إلى أحد رجاله فاقترب أكثر من حافة الهاوية، وجذب من أسفل كومة الأخشاب سلمًا من الأغصان المجدولة مثبتًا في الأرض الصخرية بأوتاد معدنية مخفية بمهارة، ودلّاه في الهاوية ثم تدلى هابطًا حتى اختفى تمامًا، أمام العيون الذاهلة..

ارتفع حاجب ماركوس وهو يزوم بصوت تتصاعد طبقاته قائلًا:

– إن مقركم في قلب الهاوية يا لكم من خبثاء!..

والتفت إلى دارول وقال:

– ما دام أن المقر في مكان كهذا لماذا هذه الرحلة القذرة عبر المستنقع ووسط كل هذه الـ...؟!..

ولم يجد كلمة واحدة يمكن أن تعبر عن الهول الذي قاسوه في المستنقع.

فقال دارول باقتضاب وهو يتجه نحو الهاوية في إشارة إلى الجميع بأن يتبعوه:

– للتمويه.. يا صديقي للتمويه..

وأشار إلى الجميع ليحثهم على الإسراع وقال:

– هيا لا يجب أن نضيع، وقتنا فما زلنا في بداية الطريق..

نظرت له فتاة الظلام، وتساءلت في نفسها:

– إذا كانت هذه البداية، ترى كيف ستكون النهاية؟!

وظل التساؤل يتردد بداخل عقلها..

وتردد له صدى صامت عبر الهاوية..

وتدلى الجميع هابطين..

وابتلعتهم الهاوية..

5

أطلق حارس الجحيم سبة بذيئة وهو ينفض عن زيه الناري الأتربة والغبار الملتصقة به، ثم سحب سيفه ودارت عيناه تتفقدان المكان من حوله في تحفز وتوتر، فالتجسد لم يحدث في المكان المتوقع الوصول إليه، لقد وقعوا في فخ بالتأكيد، والمخلوقات السوداء التي تقترب منهم بسرعة فائقة، هي الدليل الواضح على ذلك.

سرى التوتر في وجوه الجميع من وقع المفاجأة، وكرد فعل سريع، وسحبوا سيوفهم، وتراصوا في دائرة شبه مكتملة، وهم يدورون حول أنفسهم لمواجهة الخطر القادم..

كان الأمر رهيبًا ومروعًا ومفزعًا..

والهجوم عليهم كاسحا إلى أقصى حد..

مخلوقات شبه سائله تهاجم بضراوة، عن طريق زوائد حادة مسننه وسوائل حارقه تقذف دون هوادة ويتفادها المقاتلين بصعوبة.

وفي خلال ثوانٍ معدودة، أصبح الأمر أشبه بالجحيم وقد انتقل إلى الأرض، وزادت ضراوة القتال، فانطلقت السيوف لتدور، وتخترق، وتمزق، وتبعثر، والأرض تمتلئ بالأشلاء شبه السائلة..

وبسرعة رهيبة أمتلك لوسيفر زمام المبادرة، وفي مهارة انفصل لوسيفر عن الدائرة، وهو يلقي حرملته القاتمة في الهواء، لتتحول إلى سطح صلب يسبح في الهواء ليقفز فوقها ويعتليها، وسيفه يدور من جديد ليقتنص الضحايا، وينثر الموت في كل مكان..

وتبعه حارس الجحيم، وصرخ في قوة ليستدعي قواه الخاصة، بعد أن ردد تعويذة استدعت إحدى دوامات الموت.

واستمر الأمر كالكابوس أو كالأبد..

وكأن الزمن توقف..

السيوف تدور كالرحى..

كرات نيرفانا المتفجرة تنثر الأشلاء..

سايا تدور حول نفسها في رقصات قاتله..

لوسيفر وحارس الجحيم، يضغطان ليدفعا المخلوقات الرهيبة نحو دوامة الموت..

والحرملة التي تصلبت تطلق أسهمًا مفجرة..

ولكن..

وكما قيل في الأمثال القديمة:

"الكثرة تغلب الشجاعة".

لقد التحمت المخلوقات المهاجمة، وصنعت ما يشبه الدوامة المائية الهائلة، التي سرعان ما تحولت إلى إعصار هائل..

ابتلع الجميع بقلبه.

وغاص في قلب الأرض..

ليسود صمت مقبض..

له رائحة الموت..

6

مستنقعات قذرة.. مخلوقات قاتلة.. غيلان ذات رائحة منفرة.. ومقر سري بداخل الهاوية.

اللون الأسود يغلف كل شيء ويجعله كريهًا ومنفرًا.

وكانت هذه هي الأفكار التي دارت في عقل فتاة الظلام، وهي تتدلى هابطة إلى قلب الهاوية..

كان الحبل الليفي القوي غير ودود مثل كل شيء آخر، إلا أنه السبيل الوحيد للولوج إلى مقر المقاومة السري الخاص بالغيلان..

وبالطبع كان المقر عبارة عن كهف آخر يمتد إلى قلب المستنقع، ثم يتشعب إلى شبكة هائلة من الممرات، جاهزة لابتلاع كل شخص سيئ الحظ يقوده مصيره الأسود للضياع بقلبها.

ولكن الأمر معهم كان مختلفًا.

فدارول، وجنوده يعرفون طريقهم جيدًا، ويسيرون بين الممرات، وكأنهم يسيرون في غرف نومهم..

وبرغم كل شيء ظل الأمر مرهقًا كالعادة.

وكانت محطة الوصول شيئًا لا يبشر بالخير..

مجرد كهف آخر متسع إلى حد ما، ويوجد بكل ركن من أركانه الأربعة باب خشبي ممتلئ بالنقوش، وعلى مصاطب تشي بأنها طبيعة تناثرت صناديق عديدة مغلقه، وحولها ما يقرب من ستين غولًا مدججًا بالسلاح، ويظهر من وقفتهم المتصلبة وعيونهم القلقة،

أنهم فرقة الحراسة الخاصة بالمقر..

وقع الجميع في حالة رهيبة من الإرهاق من جراء تلك الرحلة غير المتوقعة، وما أن دلفوا إلى داخل الكهف حتى ألقوا أجسادهم المنهكة فوق مصاطب حجرية أخرى مفروشة بفراء ذي شكل عجيب إلا أنه مريح يتلمسون الراحة.

وكأن الجنود كانوا ينتظرون هذه اللحظة، ففي حفاوة عجيبة أحاطوا بهم، وفرشوا لهم موائد الطعام والشراب ثم تركوهم ليستريحوا.

ورغم الرائحة العنيفة غير المريحة التي غمرت المكان، علا غطيط الجميع، ولم يشعروا بأنفسهم إلا مع ضوء الشمس الواهن المتسلل إلى الكهف من شقوق غير ظاهرة، قبل أن تجمعهم مائدة الإفطار الحجرية البدائية، وكان أول من قطع الصمت، هو ماركوس، وهو يلوك قطعة من اللحم سيئ الطهي فوجه حديثه لداروك قائلًا:

– داروك، أرى أننا أضعنا وقتًا ثمينًا ولم تبدأ المهمة بعدا..

فرد عليه داروك بصوت متعادل لا يحمل أية مشاعر:

– إن الأمور العظيمة تحتاج إلى وقتٍ كافٍ لإنجازها..

قال جلاد الشيطان ساخرًا:

– أي أمور عظيمة هذه، فمنذ بدأنا هذه المهمة ولا نخوض سوى في القذارات.

رد داروك متبرمًا:

– لا تتعجلوا الشر.. فهو كالموت لا بد آتٍ لا محالة.. ولأريح عقولكم التي لا تهدأ، أخبركم أن مهمتنا ستبدأ على الفور، وأزاح الأطباق الفخارية جانبا، ومد يده بجواره، وأخرج خريطة جلدية كبيرة، فردها أمامه فظهرت فوقها متاهة رباعية متداخلة بشكل معقد، تنتهي بنقطة معينة عليها خطان متقاطعان..

فقالت فتاة الظلام متعجبة:

– أهي خريطة لكنز ما؟!..

ارتسمت ابتسامه مقيتة على شفتي دارول الغول وهو يقول:

– نعم إنها خريطة للكنز وللقوة معًا..

إنها خريطة لأقوى سلاح ابتكره مخلوق على وجه الكون، إنه السلاح السري للمملكة، وبحصولنا عليه سنحوز النصر..

انعقد حاجبا الفارس الأسود وهو يفكر في الحديث الدائر والمغزى خلف كلمات دارول، إلا أنه آثر الصمت، حتى يحصل على أكبر قدر من المعلومات..

وبالطبع لم تكن هذه الحكمة بالبساطة لتدور في كل العقول، فاندفعت فتاة الظلام لتقول:

– هل سنخوض معركة أم نبحث عن أسلحة، إن الأمور أصبحت غامضة بالنسبة لي!..

ومستمتعا بسؤالها، اندفع ماركوس قائلًا:

– دارول من الأفضل أن تكون الأمور أوضح من ذلك أو اعتبرني

منسحبًا.

شحب وجه دارول، وقد شعر أن زمام الأمور سيفلت من بين يده فقال:

– حنانيك يا ماركوس لا تؤخذ الأمور هكذا، فما أسعى إليه هو الصالح العام.

تدخل الفارس الأسود بعد أن هضم كل الحوارات والمحاورات وقال:

– أين هو الصالح العام يا دارول لقد التزمنا معك منذ البداية، وأنت مازلت تلف وتدور حول الأمور.

أربد دارول محاولًا استجماع شتات نفسه والسيطرة على صوته وقال:

– إن المصلحة العامة تقضي أن نواجه أي عدو بما يناسبه من قوة وسلاح، والسلاح الذي أتحدث عنه يوجد هنا.

قالها وهو يشير إلى الخريطة، فقاطعه الفارس الأسود وهو يداعب مقبض سيفه:

– ما أراه أمامي، هو متاهة فقط.. لا طريق إلى سلاح ما!..

قال دارول:

– إن قوة الغيلان ليست جسدية فقط، هناك قوى سحرية كبيرة تحمي المملكة وتحمي شعبها، لذا وجب علينا أن نمتلك الأسلحة اللازمة، والوسيلة الوحيدة هي خوض المتاهة عبر سبلها الأربعة.

بلغ الغضب من فتاة الظلام مبلغه فقالت في حدة:

– اتفاقنا كان ينحصر في خوض المعركة واحدة من أجلك مجتمعين، لا أن تفرقنا السبل من أجل هدف غامض.

رد دارول بسرعة ليحتوي غضبها وقال:

– ومن قال غير ذلك سنخوض جميعًا المعركة، ولكن في البداية يجب أن يحصل كل منكم على السلاح الذي يجعله خارقًا لا يقهر..

قال جلاد الشيطان وهو يحك رأسه:

– برغم أني أشم رائحة غير مقبولة في كلامك إلا أن منطقك سليم.

ثم استدار إلى الفارس الأسود وقال:

– وما رأيك أيها الفارس الأسود؟!..

أجابه الفارس الأسود بصوت عميق متهكم وهو يحدج دارول بنظرات ثاقبة تشي بما يدور في أعماقه من شك:

– لا بأس يا أصدقائي سنستمر في المهمة، على أن تكون آخر مفاجآت غولنا الذكي دارول.

لم يعجب التلميح دارول، فقال بصوته العميق وأنفاسه السيئة الرائحة تلفح وجه الفارس الأسود:

– برغم أني أشم رائحة السخرية بكلماتك، إلا أني أشكرك على المضي في المهمة، وأريد أن أوصيكم بشيء قبل أن تبدؤوا مهمتكم، كل مأزق ستمرون به يحتوي على وسيلة النجاة، فقط يحتاج الأمر

إلى الشجاعة والذكاء وقوة الملاحظة كي تعثروا عليها.

من صنع هذه المتاهة وشركاها الخداعية، وضع في قريرة نفسه أنه قد يحتاج ذات يوم إلى العبور من خلالها، فترك بصيصًا من الأمل، ولكن الأمر يحتاج إلى بصيرة ورد فعل سريع، ودائمًا ما يحتوي سم الأفعى على الترياق.. لذا فلتتبعوا غريزتكم ولتتحلوا بالصبر، فلا شيء يتم دون أن يأخذ كامل وقته..

ثم أشار إلى رجاله فساروا أمام الجميع عبر ممر يبدو بلا نهاية، وخلفهم سار الأصدقاء الأربعة، ودوت خطوات الجميع في الممر، ثم أخذت تخفت حتى توارت.

وساد الهدوء القاتل.

الهدوء الذي يسبق العاصفة.

7

اكتسحتهم المشاعر السلبية كإعصار عات، وشعروا جميعًا، بأن أرواحهم تنتزع بعنف من أجسادهم، مع مزيج من مشاعر أخرى مختلطة، صحبها اختناق، ودوار، وشعور فادح بفقدان الطاقة من أجسادهم، مع شعور عارم بالهزيمة..

كان جميعًا يعايشون نفس الأحاسيس، حارس الجحيم، نيرفانا، ولوسيفر، وسايا، وكأنهم صاروا كيانًا واحدًا.

صدمهم الأمر وهم يفيقون من غيبوبتهم ليجدوا، أنفسهم كالأجنة يسبحون في سائل غليظ القوام، قاتم اللون، يبث طاقة سالبة هائلة تمتص قواهم كغول متوحش..

الشعور بالعجز أمر مخيف، فما بالكم حينما يمتزج بشعور عنيف من الضياع..

كان يسبحون في ذلك السائل الغليظ، ورغم ذلك يتنفسون بسهولة..

يشعرون بآلام رهيبة، لكنهم أحياء..

يعانون، لكنهم صامدون..

تفكيرهم متجمد، ولكنهم واعون ويشعرون بأطرافهم.

السائل الغليظ يمتص حيويتهم ولكن يبقيهم واعين...

يشعرون..

ويسمعون..

ويشاهدون كل شيء..

إلا أن إرادتهم مسلوبة..

لذلك كان حارس الجحيم في قمة غضبه واستيائه، وهو يحاول أن يجد وسيلة واحدة للفكاك من هذا الأسر المهين، ولكن عقله عجز عن التوصل إلى حل، حتى سمع صوت لوسيفر يقول بإجهاد بداخل عقله:

– لا تنهك نفسك ولا تضع طاقتك في المقاومة، إنني أعرف هذا الفخ جيدًا، فقط أترك جسدك لينساب مع تموجات السائل، وليفعل الجميع مثلي لنحاول أن نجتمع في نقطة واحدة، فإن لدي خطة أظن أنها جيدة.

حاولت سايا أن تفتح فمها لتتحدث وكاد السائل أن يملأ جوفها، لو لم تبصقه وتطبق فمها من جديد.

فحدثها لوسيفر عقليًا وقال:

– التخاطر يا سايا.. التخاطر..

وبدأ الجميع ينفذون تعليماته التخاطرية، وتدريجيًا تلاقت أيديهم وصنعوا ما يشبه الدائرة.. في حين داخلك حارس الجحيم بعض مشاعر الغيرة والغضب، كان يخفيها تحت قناع من البرود، فهو لم يعتد أن يسحب البساط من تحت قدميه، ويتولى أي شخص القيادة في وجوده.

إلا أنه لم يفصح عن مكنون ذاته، وترك لوسيفر يقودهم إلى سبيل الفكاك من هذا الفخ.

وأتت رسائل لوسيفر التخاطرية تباعًا، وكان الأمر مجهدًا، فهذا السائل الجهنمي لا يكف طوال الوقت عن امتصاص طاقتهم وحيويتهم، كوسيلة خبيثة لا ضعافهم، وللقضاء على خطورتهم، ليظلوا إلى الأبد عاجزين في قبضة السائل، فإما أن يقضوا جوعًا وعطشًا، أو يقضوا إرهاقًا.

وكانت خطة لوسيفر بسيطة، كبساطة الموت في انتزاع الحياة.

أن يحشدوا قواهم الذهنية، وتتلاحم أجسادهم في كيان واحد ثم يستنفروا كل طاقتهم الداخلية، لاستجلاب كل الأحداث السعيدة، التي مرت عليهم، وساعتها ستحطم الطاقة الإيجابية كل قيود السائل السلبي غليظ القوام، ويتحرروا.

لم يكن الأمر هينًا، ولم يكن بسيطًا، أو سهلًا، فاستدعاء الذكريات السعيدة في موقف حرج كهذا، يحتاج إلى مجهود رهيب، وطاقة وصفاء ذهن، وكل ما يحيط بهم هنا، هو الطاقة السلبية المحيطة بهم.

كان هذا هو السبيل الوحيد، وكان عليهم أن يخوضوه، وبالفعل بذلوا مجهودًا رهيبًا، حتى تلاشى توترهم، بدأ الأمر يؤتي ثماره.

وانطلقت شرارة عنيفة لتجتاح السائل كالبرق، أصابت الجميع برعشة عجيبة، تشبه سريان البرق في خلاياهم، ثم سطع ضوء رهيب، وانفجرت كتلة السائل الغليظ القوام في عنف شديد، ليندفع

كل منهم في اتجاه، ويصطدم بعضهم ببعض، وكأن قنبلة شديدة القوة قد انفجرت وسطهم.

ولعدة دقائق ظلوا ساقطين على ظهورهم لدقائق، وكل منهم يتنفس بعمق وسرعة محاولًا أن يجمع شتات نفسه.

كانت الصدمة عنيفة برغم التحرر، وكان الشعور بالضعف عاتيًا، وظلوا جميعًا كالمأخوذين، إلى أن بدأت قواهم تدب في أجسادهم، وكان أول من نهض منهم هو حارس الجحيم.

فوقف على قدميه بصعوبة شديدة، وهو ينفض رداءه من أثر السائل اللزج الغليظ، وما أن انتهى من تنظيف ردائه حتى رفع رأسه ليتطلع حوله، وارتد إليه بصره بسرعة فشهق في عنف شديد..

فما رآه كان مخيفًا..

مخيفًا للغاية..

8

تقدم الأصدقاء الأربعة بسرعة متوسطة نسبيًا عبر الممر الذي قادهم اتفاقهم مع الغول دارول إليه، متتبعين أثر رجاله الذين كانوا يصنعون ضجة عالية بدروعهم التي لم تتوقف عن الاحتكاك بجدران الممر، هذا غير الضجيج الذي تسبب فيه أحدهم عندما قرر أن يغني نشيد النصر، كان الأمر طريفًا، ولكنه كان مزعجًا أكثر من الممر الصخري الممهد، الذي كان يمتد لمسافة طويلة بلا نهاية، وكأنه طريق لا ينتهي.

وعند نقطة معينة ذرع عندها راية سوداء تحمل شعار مملكة الغيلان القديم، تراجع رجال دارول، وأخبروهم أن يستمروا في السير حتى يصلوا إلى وجهتهم.

وعندما سألهم جلاد الشيطان، كيف سيعرفون أنه وصلوا إلى وجهتهم، كانت الإجابة المختصرة: أنهم سيعرفون.

وبالتالي لم يعد غيرهم في الممر المتسع الذي لا يبدو طبيعيًا أبدًا، وساد صمت ثقيل بينهم بلا مبرر، وقد غزا قلوبهم، شعور غامض بأنهم مقبلون على فخ رهيب، خاصة وأن الممر رغم مرور الوقت، لم ينتهي، حتى أنهم تساءلوا بداخل عقولهم: هل يمتد هذا الممر إلى الأبد؟

إلا أن ضيقهم زال بعد مرور عشر دقائق إضافية، عندما صلوا إلى مفترق طرق، فتوقفوا جميعًا وهم يتطلعون إليه بفضول.

كان الكهف يتشعب إلى أربعة شعاب، في دعوة صريحة على أن

على كل منهم سلوك طريق مختلف لينجز مهمته المنفردة.

لقد كانت إجابة الغول صادقة.

فعندما وصلوا، عرفوا.

وعلى الفور ودعوا بعضهم بعضًا، وتمنوا لبعضهم حظًّا سعيدًا ووفيرًا، وسلك كل منهم طريقه وفي رأس كل منهم يدور سؤال مشترك:

– هل يحتوي الأمر على خدعة ما!..

ولم تنسَ فتاة الظلام أن تمنح الفارس الأسود نظرة حالمة، رد عليها بابتسامة، ليتوغل بعدها في الممر الأول وقد شهر سيفه أمامه في عزم وتحفز.

كان الصمت يوتره، ولكنه شحذ كل حواسه استعدادًا لأي خطر مفاجئ، وقبل أن يخطوا خطوة واحدة، كان يتأكد من موضع قدمه، إلى أن أعترض طريقه باب خشبي أسود يتوسطه رسم لتنين مجنح، فابتسم الفارس الأسود ابتسامه شاحبة وقال بصوت ساخر:

– الرعب خلف الباب المغلق من جديدا..

ثم صمت قليلًا وعاد يستطرد:

– لقد اكتفيت من الأبواب المغلقة منذ فترة طويلة.

وقرن قوله بأن دفع الباب إلى مسافة قصيرة ثم تطلع عبره بزاوية حادة ليصدم بصره ظلام دامس ثقيل.

ظلام له قوام وكتلة ومهابة..

فتح الباب لمسافة أكبر وبحذر أكثر..

ثم ألقى نفسه إلى الخلف بسرعة رهيبة حتى إن جسده كان يبدو أشبه بالقذيفة، وهو يسقط ليدور حول نفسه، ليتمدد ويفرد جسده بمحاذاة الأرض، ويضع رأسه بين كفيه ولم تمض ألا أجزاء من الثانية، حتى عبر خلفه لسان هائل من اللهب مصحوب بفحيح مخيف..

رفع الفارس الأسود وجهه وهو يلهث بعنف، وهو يتطلع إلى الباب الذي اشتعل نتيجة اصطدام لسان اللهب بسطحه للحظات ثم خبا، واتسعت عيناه وهو يردد في دهشة:

– تنين الظلام!..

لماذا أشعر أن هذا الموقف مكرر، ولماذا يخالجني شعور، أن النهاية لن تكون متشابهة.

ثم نظر نحو الباب المغلق وقال:

– اللعنة، وكيف أهزم شيئًا مثل هذا؟!

***

وفي الممر الثاني، لم يكن الأمر مشتعلًا كما في الممر الأول، وأمام الباب الأسود المزين بنقش هائل الحجم، شبيه بالقمع أو بالمغزل القديم، وقف ماركوس يجز على أسنانه، وحث جسده على التحول.

لحظات، وبدأ الشعر يكسو جسده، وينبت في وجهه، وبرزت مخالبه كالحراب، وكشر عن أنيابه بعد أن تحول إلى مذؤوب مخيف.

لا يعرف ما الذي أقلقه، كي يتحول مبكرًا، ولكن كل شيء حوله لم يكن يوحي بالثقة، وكان عليه أن يكون حذرًا ومستعدًا، أفضل من أن تطير عنقه بسبب إهماله.

وبعين وحشية بدائية، تطلع إلى الباب المغلق للحظات، ثم فتحه في قوة، وقفز عبر الباب إلى الداخل وإلى المجهول..

وأمامه، امتد الأفق أمامه إلى مرمى البصر، وأضاء الأفق المكفهر ضوء مجهول، وظهرت في الخلفية سماء شاحبة، بلا شمس أو قمر.

زمجر (كارلوس) وهو يدور حوله نفسه في حذر، منتظرًا ذلك الخطر الكامن ليعلن عن نفسه كي يمزقه بمخالبه وأنيابه..

عبثت به بفروته رياح خفية فتجاهلها في لا مبالاة، إلا أنها عادت أقوى وأخذت تداعبه مداعبات قاسية..

وجد نفسه يرتفع إلى أعلى في قوة، ثم يهوي ليرتطم بالأرض في عنف شديد، فزمجر في غضب، ومخالبه تضرب الهواء حوله في كل اتجاه، لعله يصيب ذلك العدو المجهول الذي يتحكم في الرياح.

ولكن ضرباته كانت تخترق الهواء والفراغ دون أن تصيب أي شيء مادي.

وكما ثارت الريح سكنت فجأة، وساد صمت رهيب جعله يتوتر، فيدور حول نفسه كليث جريح، وهو يمسح كل شيء ببصره..

هدوء تام..

قاتل..

مريب..

وكما سكن كل شيء فجأة غمر الضجيج كل شيء.. ضجيج يصم الآذان.

وفي الأفق البعيد، لمحه يقترب نحوه في سرعة وإصرار، قمع هائل كبير يدور بسرعة رهيبة، وهو قادم لالتهامه..

تجمد (كارلوس) في مكانه وهو يتطلع لذلك الخطر المبين..

وفي رأسه دوى السؤال:

– ما هي فرصة مذؤوب واحد أمام إعصارٍ عاتٍ..

وضاعت صوت أفكاره وصت الضجيج.

***

لنترك كارلوس، وتساؤلاته المعقدة، وندخل الممر الثالث لنرى ماذا تواجه فتاة الظلام، لم يكن الممر يختلف عن الممرات الأخرى في شيء، ولكنها لم تدرك ذلك، لأنها لم ترَ الممرات الأخرى، فهو يبدأ من حيث يوجد التقاطع، وينتهي بالباب الأسود المليء بالنقوش العجيبة، وهي نقوش بارزة تصور قطرات مياه ضخمة سوداء ملتصقة بالباب الخشبي، وكأن الباب لوحة قاتمة رسمها فنان مجنون.

فتحت الباب في حذر ثم أغلقته على الفور، فقد لفح وجهها تيار من الهواء البارد، أجبرها على التراجع وهي تشهق من المفاجأة، وقد شرعت تدلك وجهها بكفيها جلبًا للدفء، وهي تشعر بأنها تلقت صفعة

هائلة.

طفقت تنظر إلى الباب في رعب، الباب الذي يخفي خلفه عالم الصقيع، هي التي لا تحب البرد ولا تطيق الشتاء..

ولكنه قدرها، الذي جعلها تختار هذا الممر، ربما لتكون المواجهة الأخيرة بينها وبين أبشع مخاوفها، وهو التجمد حتى الموت، ولم يكن هناك بدٌ من المواجهة.

كانت متوترة من كل شيء، ولكنها عادت ولامت نفسها، إنها لم تعد تلك الفتاة الخنوعة، التي فقدت شقيقها وسط الثلوج. وبكل عزم، سحبت نفسًا عميقًا ثم كتمته في صدرها للحظات قبل أن تتركه ليتحرر، ثم شدت جسدها لينفرد قوامها الرشيق، واستلت سيفها من جرابه الجلدي المطعم بالنقوش، وفتحت الباب وقفزت إلى المجهول، وقد سرت بأعماقها رعدة عنيفة.

وكانت صدمتها هذه المرة مضاعفة، فلم تقابلها الثلوج التي توقعتها، بل غاص جسدها بقلب ماء كثيف بلا قرار، وجذبت الجاذبية جسدها، لينسحب بسرعة إلى الأعماق..

كان موقفًا رهيبًا ومحطمًا للأعصاب، لم تواجه مثله من قبل، إنها تغرق، في بئر أو بحيرة عميقة، ورئتها توشك على الانفجار لقلة الهواء، والضغط الشديد على أذنيها يزداد مع سقوطها المستمر نحو الأسفل.

جسدها يرفض أن يطيعها، والجاذبية تدفعها للغوص أكثر، والشيء المحبط أن الرؤية، بدأت تغيم، والسواد يغمر كل شيء، والموت

يبتسم من أجلها في سعادة.

***

أما في الممر الرابع، فكان جلاد الشيطان يواجه خطرًا من نوع آخر، وإن وصل إليه بطريقة متشابهة، وربما كانت نهايته متطابقة، أيضًا وستنتهي بنفس المصير.. الموت..

لم يكن الممر مختلفًا، ولم يكن الباب كذلك، إلا في النقوش الغريبة البارزة، التي تمثل مجموعة من التلال والوهاد المتناثرة بلا انتظام.

شيء عادي جدًا ولا يوحي بالهول القابع خلف الباب، مما شجع جلاد الشيطان، وجعله يفتح الباب، ويدلف إلى الداخل بسرعة لتستقبله عاصفة ترابية عاتية أجبرته على إغماض عينيه، وهو يتراجع بظهره في محاولة يائسة للوصول إلى الباب الذي اختفى فور عبوره.

غطى وجهه بكفيه في محاولة يائسة أخرى لتفادي تلك العاصفة الغبارية التي تهاجمه في ضراوة، دون أن يفلح، فأعطاها ظهره وهو يسعل في قوة، وقد أصابته صعوبة هائلة في التنفس، مما أصابه بوهن شديد.

وعندما شعر بعجز تام، وكادت روحه أن تفارقه مع كمية الغبار الكبيرة التي ابتلعها، وهو يحاول أن يقي نفسه من تلك العاصفة الهوجاء، فوجئ بكل شيء يهدأ ويستقر..

فنفض الغبار عن وجهه، وأخذ يتطلع حوله بحثا عن الخطر الذي قدم لمواجهته..

ولكن لا شيء، إلا صوت غريب.. يشبه صوت الرمل الذي يسكب على سطح معدني.

تلفت حوله في قلق وهو يصغي السمع، لم يكن مصدر الصوت قادمًا من أي من الاتجاهات الأربعة، وبرغم ذلك يزداد باضطراد وكأنه قصف الرعد، وفجأة حددت أذناه مصدر الصوت..

من أعلى..

رفع بصره إلى السماء، وأذناه ترصدان الصوت المخيف، عندما علا صوت الهدير القادم من أعلى أكثر، رفع رأسه أكثر ليستكشف حقيقة الأمر وسط السحب التي تهجم عليه.. ولكنه لم يجد فرصة..

أطنان لا حصر لها من الغبار غمرت كل شيء، ودفنته تحتها، وتركته ليواجه نوعًا جديدًا من الخوف لم يواجه من قبل.

الدفن حيًا..

وبعدها ساد الصمت..

9

وقف حارس الجحيم كالمأخوذ، وهو يتطلع إلى الأفق الذي امتلأ بآلاف الطيور المتوحشة، والتي تصنع سحابة ضخمة تغطي الأفق.

كانت مفاجأة من العيار الثقيل، لذا فإنه ردد بصوت مسموع:

– إن هذه الطيور الجهنمية لا توجد إلا في وادي الهلاك، فما الذي أتى بها إلى هذا المكان اللعين!..

ثم أين يقع هذا المكان اللعين من خريطة ممالك الظلام.

نظر إلى مرافقيه الذي يحاولون لملمة شتات أمرهم، وفكر في غضب:

– كيف سيواجهون تلك الطيور الملعونة بضعفهم الحالي، تلك الطيور المصابة بجوع أبدي جراء لعنة سوداء، أصابتهم منذ زمن بعيد؟!..

إنها تفترس أي شيء وكل شيء!..

لم يكن وحده القلق، فقد وقف الجميع من حوله يتطلعون إلى هذا المأزق المميت، فلا مجال أمامهم للتراجع بعد أن قادتهم اللعنة المحيطة بمملكة الغيلان، ليخوضوا في هذه الفخاخ التي لا تنتهي..

وفخ يقود إلى فخ أبشع منه..

لقد نجوا بمعجزة من قبضة السائل غليظ القوام، والذي يبث مشاعر سلبية، فكيف يواجهون مثل هذه الطيور الملعونة؟!..

تقدم لوسيفر إلى الأمام عدة خطوات ليستكشف الوضع، كان يعرف عن هذه الطيور أكثر مما يعرف غيره، لقد واجهها من قبل في إحدى مغامراته السابقة، ونجا منها بمعجزة والتي تتلخص في وسيلة وحيدة وهي الفرار.

ولكن كيف يفرون من مكان لا سلطة لهم فيه ولا معرفة، إن هذا المكان الملعون يسيطر عليه سحر قوي يمنع أي تعويذة من أن تقوم بعملها..

وقفوا عاجزين وحائرين وأسراب الطيور تقترب في سرعة..

الموت يأتي طائرًا مزودًا بمخالب حادة وأنياب قاتلة..

بدا الأمر وكأنه لا حل له..

فالمواجهة ستتم رغم كل شيء..

والأمر محسوم لصالح الطيور..

إلا أن الأمل جاء مع صوت نيرفانا المضطرب وهي تقول:

– هيا اتبعوني بسرعة.

تبعها الجميع دون تفكير، نحو فتحة الكهف التي لمحتها عينا نيرفانا المذعورة، في نفس الوقت الذي أطلقت فيه كراتها الدخانية لتصنع حاجزًا من الدخان، ليشتت انتباه الطيور ولو للحظات، حتى يصلوا عبرها إلى الكهف.

وكادت الأمور أن تمضي على خير، لولا أن أحد الطيور الجهنمية كان أسرع من باقي رفاقه، فانقض بسرعة، وأنشب مخالبه في ظهر

سايا قبل أن تتوارى في الكهف، لتسقط على وجهها، وقد أصابتها رعشة رهيبة، وكأنما يسري في جسدها تيار كهربي عنيف.

وقبل أن يعيد الطائر هجومه كان سيف حارس الجحيم يشق الهواء، ليطيح بعنق الطائر ثم جذب سايا إلى الداخل.

وبداخل الكهف، أحاطوا جميعًا بسايا التي توقفت عن الارتجاف، وقد امتقع وجهها، وكساه شحوب شديد.

لم ينتظر لوسيفر أن يتطور الأمر أكثر، فهو يعلم أن مخالب هذه الطيور تحتوي على سم زعاف، لذا فإنه أخرج على الفور من بين ثيابه قنينة زجاجية صغيرة، وصب منها قطرات لامعة في فم سايا، التي أطلقت صرخة هائلة، وكأنها تشوى في قلب الجحيم.

انفطر قلب نيرفانا، وهي تشاهد سايا تتعذب، وتتألم، ولم تستطع أن تحبس دموعها أكثر فطفقت تبكي في حدة.

نظر حارس الجحيم إلى سايا، ثم أدار وجهه ونظر إلى لوسيفر وقال:

– أي مشروب لعين سقيته لهذه المسكينة؟!..

فأجاب لوسيفر، بصوت هادئ:

– إنه الترياق الوحيد المتاح لهذا السم الزعاف الموجود في مخالب هذه الطيور اللعينة، وأدعوا الله أن يقضي على أثر السم، وألا تتبعنا تلك الطيور إلى هذا الكهف.

توتر وجه حارس الجحيم، وهو يتطلع إلى وجه سايا الممتقع، وقد

خفت صراخها ليتحول إلى أنين مستمر وقال بصوت وجل:

– إن هذه نقطة مهمة يا لوسيفر، لماذا لم تتبعنا هذه الطيور المشئومة إلى داخل الكهف؟..

وجاءته الإجابة فورًا على هيئة زئير عنيف ممتزج بخوار وفحيح، دوى من داخل الكهف، ومعه اقتربت كتلة مظلمة هائلة تنساب نحوهم في بطء.

تراجعت نيرفانا إلى الخلف وهي تقول بصوت مذعور:

– أي شيء ملعون هذا؟

استل كل من لوسيفر وحارس الجحيم سيفيهما ووقفا في المواجهة، وحارس الجحيم يجيب تساؤل نيرفانا قائلًا:

– إنه الرادوميس أعتى وحوش وادي الهلاك وأشدهم فتكًا، لقد ألقتنا التعويذة ما هو أسوأ من الجحيم.

دارت عينا سايا في محجريها وهي تزحف لتبتعد عن الموت المنساب على الأرض، لترقد مرهقة بجوار الجدار الصخري البعيد، وهي تنظر بخوف شديد نحو كتلة الموت الهلامية التي تقترب منها في ثقة وهي تنعي حظها، فأمامها الرادوميس الزاحف، وخلفها تلك الطيور المتوحشة، كفكي الموت الفاغرين.

وخيم صمت تام على الجميع، بانتظار المواجهة التي تحمل لهم الموت، ولم ينتظروا كثيرًا..

10

نهض الفارس الأسود من فوق الأرض، وسحب سيفه الخارق وشهره أمامه، وقد ثبت بصره على الباب الأسود.

كان التحدي كبيرًا ويروقه فقد واجه مثله قبل وقت قصير في بوابات الهلاك، ويدرك وسيلة ردعه.

وللحظة فكر في أصدقائه، وخاصة فتاة الظلام، وهو يتساءل في قلق، عما يواجهونه الآن، وبسرعة تسلل إلى قلبه خوف مبهم على مصيرهم.

كادت الأفكار أن تجرفه، ولكنه محاها من عقله بسرعة، وتقدم بحذر صوب الباب، وقرر أن يقتحم قلب الخطر، فلا بديل أمامه إلا إنجاز مهمته.

فتح الباب بطرف السيف القوي، وقد تحفز تمامًا.

وبعد ثانية واحدة، حدث ما توقعه..

لسان اللهب الهائل عبر الباب كالبرق، فانتهز الفارس الأسود الفرصة، فقفز جانبًا متفاديًا خيط اللهب الحارق، وما أن تلاشى حتى تبعه، وعبر الباب إلى قلب الجحيم.

لن يختلف الجحيم بالفعل عن هذا المشهد الذي يراه أمامه، فالمكان كله يشع بحرارة خانقة، النيران تشتعل على مدى البصر، وعلى البعد يظهر بركان نشط، يملأ الأجواء صخبًا ودخانًا.

وبالقرب من الباب يربض تنين ضخم هائل الحجم، تتصاعد

الأبخرة من منخريه في عنف، وينظر نحوه بعين ضخمة تتوسط رأسه كأنها فتحة بئر، ومن ضخامته يحجب كل شيء آخر مسببًا تشوشًا في الرؤية.

ثم جاءت الصدمة، وعلى إثرها ردد الفارس الأسود بينه وبين نفسه في دهشة:

– تنين الظلام؟!

ثم صمت للحظة، وكأنه غير مصدق ما لفظ به، وردد من جديد:

– بكل تأكيد هو تنين الظلام الأسطوري، وليس تنينًا آخر، فلا يوجد تنين آخر في هذا الحجم الهائل، ولا يوجد تنين آخر بعين واحدة كالسيكلوب، لا شك إذَن في حقيقة ما يواجهه.

ولم يمنحه التنين أي فرصة ليعيد تقييم الموقف، وأطلق ألسنة اللهب من فمه دون توقف، والفارس الأسود، يستخدم كامل مهارته في التفادي والمراوغة، دون أن يمتلك أي فرصة للهجوم أو الهرب.

ولم يتوقف عقله عن التفكير لحظة، فهو يستطيع أن يظل على هذا الوضع لبعض الوقت، ولكن لن يستطيع أن يظل عليه إلى الأبد..

يجب عليه أن يهاجم، حفاظًا على حياته، وطلبًا إلى النصر..

وفي أثناء هروبه من ألسنة اللهب، كان يصنع خريطة عقلية للمكان، وفي خلال دقائق قليلة، حفرت كامل تضاريسه في عقله.

حاول أن يضع نصب عينيه خطة ارتجالية سريعة، إلا أن الواقع كان يحضه على اليأس، فهو لا يستطيع استخدام نجوم سيروم

القاتلة في بداية المواجهة، لأنه لو استخدمها وفشل الأمر، فلن تتوفر أمامه أي فرصة أخرى للمحاولة، وسيشويه التنين كبطة سيئة الحظ، وكي يستخدم سيفه البتار عليه أن يحدد نقاط ضعف التنين، والأهم أن يقترب منه لمسافة معقولة.

ومع مضي الوقت، زاد إرهاقه بشدة، وهو مستمر في التفادي والمراوغة وألسنة النيران تتناثر حوله دون هوادة، ثم خطر له خاطر عجيب، أنه في لحظة ما قد يتعب التنين أو يمل، ولكن كل خواطره كانت أوهامًا.

فما حدث هو أن التنين ازداد غضبًا، وقرر نقل الصراع إلى مرحلة أخرى، وبدأ يقترب من الفارس الأسود في بطء ليحاصره في زاوية من زوايا المكان بين وهدتين رمليتين، وعلى أثرها كان الفارس الأسود يتقهقر.

وفي أثناء حدوث ذلك لاحظ الفارس الأسود ظاهرة جديدة مبشرة، فكلما تقدم التنين إلى الأمام خطوة توقفت ألسنة اللهب لما يربو على خمس ثوان، وهذه الثواني الخمس هي الفرصة الوحيدة التي يستطيع أن يستغلها لينجو.

وبالفعل بنى خطته كلها على هذا الوقت الضئيل..

وفي رأسه كلمات لا يعرف مصدرها:

– عين التنين هي مصدر قوته وضعفه..

ظن في بادئ الأمر أنها خاطره طفت على سطح عقله من مكنون ذكرياته، ولكن الصوت عاد يدوي بإصرار في رأسه، ولم يتوقف إلا

حينما صرخ الفارس الأسود في غضب:

– لقد فهمت.. فهمت...

تفادى الفارس الأسود لسان لهب جديد، والعرق يغمره حتى ليكاد يعميه فيفسد خطته من شدة الحرارة، ثم أخذ يعدو باتجاه حائط صخري جانبي، وما أن وصل إليه حتى لاحقه لسان نار تفاداه بسرعة، ثم صنع من الحائط نقطة ارتكاز، وقفز قفزة هائلة إلى الأعلى وسيفه مشهر في يده، وقبل أن تنتهي الثواني الخمس، كان سيف فارسنا الشجاع، يغمد بكل قوة في عين التنين الواحدة، ليتركه مثبتًا فيها ويقفز مبتعدًا.

ما حدث بعدها كان رهيبًا ومشتعلًا..

فالتنين أخذ يدور حول نفسه في ثورة هائلة، وينفث اللهب في كل مكان، حتى كاد في إحدى المرات أن يصيب الفارس الأسود، ليحيله إلى رماد لولا يقظته وانتباهه..

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فجنون التنين الأعمى استمر إلى فترة طويلة، استغلها (الفارس الأسود) ليبتعد عنه بمسافة كافية، وهو يلهث في إرهاق.

كان أمامه خياران لا ثالث لهما، إما أن يستدعي الحارسة كاهنة الماسة النارية لمساعدته، وإما أن يستغل نجوم سيروم القاتلة.

ومع خطورة الأمر قرر أن يستدعي الكاهنة بقوتها الخارقة لتساعده في الهروب من هذا الجحيم الجهنمي، وعندها تذكر تحذير دارول بعدم استخدام أي نوع من السحر كي لا يضيع عامل المفاجأة

ويتم كشفهم، فلم يتبقى أمامه إلا المجازفة واستخدام، سلاحه الأخير.

وبالفعل أطلق نجوم سيروم الفتاكة..

وكالبرق انطلقت نجوم سيروم لتمزق التنين الأسطوري إربًا، ليتناثر لحمه المشتعل على مساحة واسعة.

ومع عملها.. فقد الفارس الأسود كامل قوته، ومع المجهود الذي بذله من قبل في مراوغة تنيني الظلام، فسقط من فوره على الأرض، يعاني من التعب والإرهاق، والاستنزاف الرهيب.

ولكنه في النهاية تحامل على نفسه، ووقف على قدميه، واتجه صوب رأس التنين الممزقة يجر أقدامه جرًا، وهو يتفادى تلك الأبخرة التي يتصاعد منها أبخرة خانقه ونيران، ونزع سيف الذي ما زال معلقًا في تجويف العين الكبيرة التي تفجرت، ثم أخذ يلتفت حوله، بحثًا عن أي شيء يرشده إلى خطوته التالية، ولم يتأخر الأمر.

ففي أقصى المكان، تجسد باب آخر شبيه بالباب الذي دخل منه، ولكنه يخلو من أي رسوم أو نقوش، وعبره بسرعة، ليلفحه هواء المساء العليل.

وعندما تأمل المكان من حوله غير مصدق، وجد نفسه قد وصل إلى ما يشبه حديقة غنّاء تحتوي على نافورة ضخمة، تصدح حولها الطيور، ففحص المكان حوله في حذر، وعندما لم تنبئه حاسته المتفوقة، بوجود أي أخطار، أعاد سيفه إلى غمده، وتوارى خلف جذع شجرة ضخم، وراح في سبات عميق.

وفي نفس اللحظة، وخلف الباب الثاني، تعالت زمجرات ماركوس، وهو يتحرك بسرعة رهيبة ليتفادى ذلك الإعصار القاتل.

كان هذا أصعب موقف قابل ماركوس في حياته، فهو لم يسمع عن أحد تحدى قوة من قوى الطبيعة، وعاد ليحكي عن انتصاره.

ولكن شخصيته المتمردة لم تسمح له باليأس، لذا فإنه استخدم كامل قدرات المذؤوب التي تحول لها، وانطلق يراوغ تارة، ويقفز عبر حفرة تارة، ويهبط سهل تارة، ويحتمي بالصخور تارة أخرى، إلى أن اقتنصه الإعصار.

لوقت غير معلوم ظل يتخبط كالممسوس بقلب الإعصار، قبل أن يستطع التحكم في جسده، ويتحرك بسرعة جعلته يتفادى التمزق، وهو يكافح ليفتح عيناه بصعوبة، ليشاهد مركز الإعصار..

كانت حفرة لا يتجاوز اتساعها مترًا، يخرج من داخلها الإعصار كأذرع إخطبوط عملاقة.

وفجأة جاءه الأمل، وسمع الصوت في رأسه يخبره الحل.

وعلى الفور تكونت في رأسه خطة مرتجلة، فاستنفر كل قوته كي يهرب من قبضة الإعصار الهائل وهو يشعر بأن روحه تزهق.

وفي لحظة ما شعر بأن جسده، يسحب ويشفط ويضغط ثم ينطلق ليصطدم بالصخور في قوة..

ولولا قوة جسده الطبيعية، والقوة الإضافية التي يمنحها له تحوله إلى مذؤوب لتهشم جسده.

كان الإعصار يعبث به..

والدليل على ذلك أنه احتواه من جديد، ثم قذفه نحو الصخور محاولًا هشم عظامه، ولكن ماركوس في هذه المرة كان مستعدًا ومتحفزًا، فقفز نحو صخرة ضخمة وأحاطها بجسده بالكامل، وعندما عاود الإعصار انقضاضاته العاتية، حملها معه إلى قلب القمع الهائل، وأسقطها داخل الإعصار.

لحظات وكانت الصخرة الضخمة قد استقرت في مركز الإعصار، وسدت فوهة الحفرة التي يخرج منها تلك الرياح المركزة، ليسقط ماركوس أرضًا، من ارتفاع كبير مقلدًا القطط في هبوطها، ورغم ذلك كانت الصدمة عنيفة ومزلزلة.

وبشي من الغرور، رمق مركز الإعصار وعيناه تتسعان في قوة وهو يقول بصوته الوحشي:

– لا شيء يهزم ماركوس حتى قوى الطبيعة.

وما أن انتهى من كلمته حتى اهتزت الأرض بعنف، وامتلأ المكان بتشققات عنيفة..

وانفجر كل شيء..

وطارت الصخور، والأرض الممزقة إلى أعلى، وسقط (ماركوس) سقوطًا حرًا استمر لفترة طويلة بقلب هاوية مظلمة لا يرى فيها كفه، ليجد نفسه بعد لحظات أمام باب مماثل للباب الذي دخل منه ولكنه بلا نقوش أو رسوم.

فعبره بسرعة ليصل إلى نفس الحديقة الغناء التي وصل إليها

الفارس الأسود فيتخذ من جذع شجرة مخبئًا، ويتلصص حوله ويتشمم الجو وعندما وثق من عدم وجود أي خطر في أرجاء المكان، عاد إلى حالته البشرية، ورقد خلف جذع الشجرة، وهو يفكر في أضعف أفراد الفريق، ولكن جسمه المنهك كان قد استسلم للنعاس، فغلبه النوم فاستسلم له.

بينما كانت فتاة الظلام، تكافح كي تتنفس، وهي تتعرض للموت غرقًا، وهي المفاجأة التي لم تكن مستعدة لها تمامًا.

غمرها الماء، وسحبتها الجاذبية القوية إلى أسفل، وكأن هذا المكان لا يعرف قوانين الطفو، فراحت أنفاسها تتسرب منها، والضغط يتزايد بداخل رئتيها، حتى أوشكت على الانفجار، مع طنين هائل في أذنيها..

وعندما توقفت يديها عن المقاومة، أدركت أنها تعيش آخر لحظات حياتها، وهيأت نفسها للموت..

وهنا تبدل الأمر، فشعرت بجسدها يسحب من قلب الماء، ليقذف إلى أعلى عبر الهواء لتتنفس هي في عمق وجشع، ثم تعود إلى الماء من جديد.

لقد حملتها موجة مصدرها الأعماق، وقذفتها إلى أعلى في عنف، وكأنها تعبث بها.

كان ارتطامها بالماء عنيفًا، وكأنها اصطدمت بحائط من الصخر، قبل أن تغوص مجددًا في قلب الماء، وقد تحفزت كل خلية من خلايا جسدها، وظهرت مهارتها، وهي تسبح بداخل الماء كسمكة

ماهرة.

وبكل هدوء تركت جسدها للجاذبية لتسحبها إلى الأعماق من دون مقاومة، لتحافظ على ما برئتيها من هواء، إنها تعرف شكل الخطر الذي ستواجهه، وبداخل صدرها هواء يكفيها لدقيقتين أو أكثر..

ولكن موجات الأعماق الدافعة، لم تمهلها كل هذا الوقت.

فعادت لتحملها من جديد وتتقاذفها بينها، ثم تطلقها في الهواء، لتعود وترتطم بالماء كالحجر، وكأن هذه الموجات العنيفة مجموعة من الأطفال الأشقياء، الذين يعبثون بدمية صغيرة لا يشعرون نحوها براحة..

ارتفع جسدها إلى أعلى من جديد مخترقا الماء فالهواء ثم عادت من جديد لتهوي بالعكس الهواء فالماء ولكنها هذه المرة انطلقت مخترقة الماء كالسهم، وهي تغوص إلى الأسفل لتستكشف القاع..

كان أمامها فقط عدة ثوانٍ قبل أن تعود الموجات الجامحة للعبث بها ولإلقائها في الهواء..

شعرت بإرهاق كبير مع ما تبذله من مجهود، إلا أن الأمل في النجاة كان يمنحها طاقة إضافية، لذا فإنها اخترقت الماء كالسهم في محاولة منها للوصول إلى القاع لعلها تجد أي وسيلة تساعدها على النجاة..

وصدمها المشهد بشدة..

لم يكن القاع إلا مقبرة هائلة تحتوي على عشرات الجثث، والرفات والعظام، والسيوف، والدروع، والملابس المتهرئة.

أشياء خاصة بتعساء الحظ الذين سبقوها منذ وقت بعيد إلى المكان.

وفي أثناء هبوطها الاضطرار، غاصت إلى الأعماق بسرعة نحو البقعة اللامعة التي تتوسط جثث الضحايا، وجذبت درعًا معدنيًا لامعًا ضخمًا وسحبته معها إلى الأعلى..

كان الدرع المعدني ثقيل، ومن الواضح أنه سيجذبها نحو الأعماق أكثر، عندما ستعود بها الأمواج للماء..

وكان هذا هدفها الأكبر، فمنظر الجثث المتراصة كان يشي بسعيهم نحو جزء ما من الأعماق، جزء محدد وأكثر إظلامًا..

هي لا تعرف إن كان في الأمر خدعة أم لا، ولكنه مجرد أمل ستتشبث به، كل ذلك وهي تحاول أن تطرد من عقلها ذلك الصوت اللحوح الذي يخبرها أن النجاة في الأعماق، وهي لم أرَ غير الجثث والموت.

لقد حاولت أن تخرج جناحيها، كوسيلة ملهمة للفرار، ولكن قوة ما منعتها من النجاح في الأمر.

فلو كان الأمر بهذه السهولة لعبرت الخطر ببساطة منذ زمن.

دفعها الموج إلى أسفل، وساعد الدرع الثقيل على غوصها بسرعة أكبر.

كانت مجازفة كبيرة منها، فهي لا تعرف لأين ستذهب لو وصلت إلى تلك البقعة المظلمة، ولكنها ستفكر عندما تصل إلى هناك.

سحبها الدرع إلى أسفل بسرعة، وحركت هي قدميها لتكتسب سرعة إضافية، عندما فوجئت بقبضة الموج تجذبها، في نفس اللحظة التي، وصلت فيها إلى حيث البقعة المظلمة.

وهنا صرخت صرخة مكتومة، أضاعت ما في رئتها من هواء، فقد شعرت بآلام عنيفة، وبأنها على وشك أن تشطر إلى نصفين.

فقبضة الأمواج تجذبها بعنف، وقوة غامضة تسحبها إلى أسفل حيث الظلام الدامس.

حاولت أن تتملص من قبضة الموج، وتدفع نفسها إلى أسفل، ولكن غياب الأكسجين جعل عيناها تزوغان، مع الضغط كادت أذناها أن تنفجرا، ثم شعرت بوعيها يتسرب منها، وروحها تنسحب منها ببطء، وظلام شديد يكتنفها..

ظلام حاد ومخيف..

ثم توقف كل شيء واجتاحتها برودة عاتية، وشعرت بالماء ينسحب من حولها، وصدمها تيار الهواء البارد حينما تسلل إلى رئتيها، وكأنه نصال حادة تنحرها من الداخل.

لتسقط بعنف فوق أرض صلبه، لتئن كل عظمة من عظامها تئن، لتصرخ بعنف، قبل أن ترى عينيها الخلاص على هيئة باب أسود خالٍ من النقوش..

وبعزيمة نادرة قلما تتوفر لأنثى، أجبرت جسدها الذي يئن على النهوض، واندفعت نحو الباب وهي تجر قدميها خلفها.

وعندما غمرها الضوء والهواء النقي، شعرت بانتعاش ممتزج بكسل

ناعم، فتقدمت ببطء نحو أول جذع شجرة قابلها، وتركت جسدها ليرتخي، ويذهب إلى عالم الأحلام المريح.

نجا الفارس الأسود، ونجا كارلوس، ونجت فتاة الظلام، وبقي جلاد الشيطان فما هو مصيره؟!..

في اللحظة التي حدد فيها جلاد الشيطان مصدر الخطر، انهالت شلالات الغبار فوق رأسه بغزارة، حتى اعتقد أن السماء تمطر ترابًا، ولكنه لم ينتظر حتى يدفن تحته، فدفع جسده جانبا، وتدحرج في سرعه، ثم هب واقفًا وأخذ يعدو على غير بصيرة، الغبار يغمر ملابسه، ووجهه، وروحه ذاتها، فأخذ يبصق ويسعل ويتفل، وهو يتلفت حوله في جزع، متسائلًا بصوت مضطرب:

– ما كل هذا الغبار اللعين؟!..

ثم فكر، كيف سيستطيع القضاء على عدوه، في ظل هذا الجو العاصف المترب، وتلك الرؤية المشوشة غير الواضحة، ثم من أين يأتي كل هذا الغبار الذي يملأ المكان.

إنه يشعر بأنه ينبع من كل مكان!..

ضاق صدره وقل تنفسه، والمزيد من الغبار، والشوائب يتسلل إلى صدره فيخنقه، وإلى جسده فيشعره بعدم الراحة..

قرر أن يعدو ليبتعد عن منطقة الغبار المتوحش هذا، وفي رأسه دارت أفكار مرعبة عن الدفن حيًا وغيرها..

أين سبيل للنجاة من هذا الأمر؟!..

وبغريزة مشوشة، انطلق يعدو من مكان لمكان، دون أن يشعر بتحسن وتفادى أطنانًا كثيرة من الغبار كانت تطارده.

ومع الوقت ازدادت كثافة الأتربة، وأصبحت الرؤية متعذرة تمامًا والتنفس بالغ الصعوبة، ولكنه واصل العدو، واستخدم كامل مهارته ليحدد الوقت المناسب ليقفز، ويعدو.

ليتفادى الدفن حيًا تحت شلالات الغبار المتدفقة التي تتبعه في كل مكان كظله..

وفي رأسه دوت كلمات الغول دارول:

– يحتوي سم الأفعى على الترياق..

حاول أن يخترق حجب الغبار ببصره..

قفز قفزات هائلة إلى أعلى محاولًا أن يتخطى سحب الغبار..

ولكن جسده خذله، وبصره لم يساعده..

واصل العدو والفرار، وهو يلعن كل شيء، ثم توقف مرة واحدة، فقد غاصت قدماه في سائل ما.

تقدم خطوة أخرى حذرة، وجمع بين كفيه بعضه وقربه من وجهه قبل أن يصرخ:

– إنه الماء..

وعلى الفور لمع الحل في رأسه كنجم وليد، لا يعرف كيف جاء ولكنه يعرفه الآن.

وبحذر غادر بقدميه البحيرة إلى الشاطئ المترب، ووقف على مسافة محسوبة من الماء، وتفادى سيل الأتربة المنهمر وهو يقترب من شاطئ البحيرة، وبعد وقت محدد عادت الأتربة للسقوط من جديد..

فقفز قفزة هائلة تجاوزت الخمسة أمتار ليسقط بداخل الماء كالحجر، وخلفه تهاوت شلالات الغبار التي احتواها الماء بأعماقه.

ليغوص جلاد الشيطان، إلى أسفل رأسيًا ثم يسبح أفقيًا بكل ما منحه جسده المنهك من سرعة، وبعدها أخذ يضرب الماء بذراعيه في مهارة حتى وصل إلى الضفة الأخرى.

ليشاهد الجو وقد صفا، والهدوء وقد عم، وسطح البحيرة وقد تعكر بعد أن احتوى بداخله هذه الكمية الرهيبة من الأتربة.

أعطى للبحيرة ظهره ثم تقدم إلى الأمام عدة أمتار، ليجد الباب الأسود الخالي من النقوش أمامه..

دفعه بسرعة، وعبر حيث تجثم الحديقة الغناء، وأخذ يتنفس في سرعة وهو يسعل بعنف والهواء النقي يغسل صدره من أثر الأتربة..

نظر حوله في تعجب وقال بسخرية:

– ما زال هناك جمال في هذه الدنيا.

ثم توجه كالمأخوذ صوب جذع شجرة عملاق توارى خلفه، ثم ترك نفسه لسلطان النوم ليجذبه لمملكته التي دخلها على الفور..

في نفس اللحظة وعند بداية الممر الذي يفضي إلى الممرات

الأربعة المتشعبة انتفض الغول دارول من جلسته وهو يطالع خريطة سحرية مفرودة أمامه كان قد تحول فيها لون ثلاثة ممرات من الأحمر إلى الأبيض، وبعد لحظات تحولت الممرات جميعًا إلى اللون الأبيض المشع، دليلًا على نجاح مهمة الفريق، وسقوط الدروع السحرية الخارقة التي تحمي مملكة الغيلان.

وساعتها كاد أن يجن من الفرحة، حتى إنه صرخ صرخة عاتية جعلت الحراس يقتحمون عليه خلوته على غير العادة.

واستدراكًا منه للموقف أمر الجميع بالتأهب، فالمداخل الأربعة لمملكة الغيلان أصبحت مفتوحة على مصراعيها بعد أن هزم الأصدقاء الأربعة تلك القوى التي كانت تحرس الأبواب.

لقد هزموا قوى الطبيعة الأربعة.. النار.. والماء.. والرياح.. والغبار..

هزموها ليبدؤوا ملحمة النصر..

وانطلق البوق الكبير ليدوي في أرجاء المستنقعات، وبدأت الغيلان تتجمع وتستعد، للمعركة الفاصلة..

المعركة التي ستكتب فصلًا جديدًا من تاريخ مملكة الغيلان..

وبمداد من دم..

11

الخوف هو الشعور القاهر، الذي سيطر على الجميع بداخل الكهف العميق، خاصة مع تقدم الرادوميس، أعتى وحوش وادي الهلاك، وأشدها فتكًا.

وكرد فعل سريع، سحبت نيرفانا سيفها، ووقفت بجوار حارس الجحيم ولوسيفر، لمواجهة الخطر الجديد، وخلفهم رقدت سايا بجوار الحائط، ولم يكن هناك أمل في أن تقوم بأي مساعدة تذكر..

تعلقت العيون بالرادوميس وهو يقترب ببطء، وكأنه يمتلك كل الوقت.

كان بطيئًا جدًّا..

وخطيرًا جدًّا..

ومخيفًا جدًّا..

ولم ينجُ مخلوق واجهه من قبل.

تقدم منهم أكثر، والأهداب التي تشبه الأشواك تتحرك بسرعة كبيرة، وكأنها أسنان منشار كهربائي..

وفي لحظة واحدة بدأ الهجوم..

وأثبت أبطالنا الثلاثة مهارة وجسارة عالية، فمع هجوم الزوائد المكسوة بالأهداب المسننة انطلقت السيوف لتواجهها، وتمزقها، وتبترها، لتتساقط بعيدا عن جسد الكائن الضخم، الذي استعدوا كي يغمدوا سيوفهم في قلبه، ليقضوا على أسطورته، عندما وجدوا تلك

الأجزاء المبتورة، تتحرك وكأن لها حياة خاصة بها، قبل أن تعاود الالتحام بالجسد الضخم، وتعود إلى مهاجمتهم.

ولم يكن أمامهم إلا مواصلة القتال، مهما كلف الأمر.

ولوهلة شعروا من الإرهاق بأن الزمن قد توقف، فالسيوف تدور كآلة الحصاد، وتمزق أطراف الكائن الأخطبوطية، والتي سرعان ما تعود لتلتحم بجسده وتهاجمهم في ضراوة.

وما أن بدأ اليأس يغزو قلوب المقاتلين الثلاثة، حتى أتت الصيحة العالية التي زلزلتهم جميعا، وجعلتهم يسقطون على الأرض متألمين، يئنون دون توقف، وسط أشلاء الكائن التي كانت قد بدأت تتحرك ويتحول كل منها إلى كائن منفصل.

ومع استمرار الصيحة المدمرة، تركوا سيوفهم، وقبضوا على آذانهم، متجاهلين أي شيء، إلا الألم الذي يكاد يفقدهم الوعي.

وفور أن توقفت الصيحة، انقض كل منهم على سيفه برغم ما يشعروا به من دوار وطنين، ليعاودوا الهجوم على الكائن الرهيب، إلا أن كل ما وقعت أبصارهم عليه، كان جثة الكائن، وزوائده، اللذين كانوا هامدين، وكأنما انتزعت منهم الصيحة.. الحياة..

اقترب حارس الجحيم في حذر ليختبر يقظة المخلوق فوجده، كتلة هائلة من الأشواك والأهداب فاقدة للحياة تمامًا.

ومن خلفه سمع همهمة عالية فنظر نحو سايا التي تكورت حول نفسها في وضع يشبه الجنين، وهي تشير بطرف إصبعها إلى الخارج.

فأمامهم وعلى امتداد البصر، كانت الطيور الجهنمية تتساقط من

السماء نحو الأرض فاقدة للحياة هي الأخرى.

والتفت لوسيفر نحوهم وقال:

– هناك أمر جلل يحدث، قوة ما استطاعت كسر الطلاسم الأربعة السحرية، التي تحمي مملكة الغيلان، لقد فقدت المملكة درعها السحري الخارق، وفقدت مخلوقاتها المطلسمة، قدرتها على الصمود.

قال حارس الجحيم في ذهول:

– وما معنى هذا؟!

أجاب لوسيفر في جذل:

– معناه أن الطريق إلى قلب مملكة الغيلان أصبح آمنًا، أي أنك تستطيع أن تطلب من سيدة الظلام الدعم..

فقال حارس الجحيم إباء:

– ولماذا نحتاج إلى دعم.. إننا نحن الأربعة نملك قوة تفوق الجيوش مجتمعة، ولولا تلك الحماية الخارقة التي كانت تحيط بمملكة الغيلان لكنا أنهينا مهمتنا منذ دهر..

وصمت قليلًا ثم استطرد:

– سنحصل الآن على عدة ساعات من الراحة على الأقل حتى تستعيد سايا قوتها، وبعدها نقوم بغزو المملكة..

وافقه الجميع على الاقتراح، فافترشوا الأرض، وتراصوا جميعًا بجوار جدران الكهف الصخرية، وداخل حارس الجحيم تردد سؤال غامض:

– لماذا لم تجب سيدة الظلام، على اتصاله العقلي؟!

إن هذا لم يحدث من قبل..

فأي مكروه أصابها؟..

12

انتشر جنود دارول في سرعة ومهارة، ليحيطوا بالأصدقاء الأربعة النائمين دون أن يشعروا بما يحدث لهم.

كانوا جميعًا ممددين فوق أرضية ترابية فوقها بقايا أعشاب محترقة، وتظلهم سماء قاتمة تختلف تمام الاختلاف عن الحديقة التي انتهى أمرهم إليها.

وبكل هدوء اقترب منهم دارول ثم مد يده المكسوة بشعر كثيف إلى نطاق كل منهم، وأخرج الياقوتة الحمراء التي منحها له، ليضعها في صندوق أبنوسي أسود مطعم بنقوش ذهبية، ويحتوي على قاعدة من المخمل الأحمر احتوت اليواقيت الأربع في تناغم، ثم أغلقه بإحكام، وحمله بين يديه بكل اهتمام.

لحظات وأفاق أبطالنا الأربعة من حالة النوم التي اجتاحتهم جميعًا، ليجدوا أنفسهم ممددين كالجثث، في هذا المكان الغريب، لينهضوا جميعًا وعلى وجوههم علامات استفهام كبيرة.

وهنا تحدث إليهم دارول، وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة كبيرة، وقال:

– نِعم الأبطال أنتم، لقد هزمتم قوى الطبيعة الأربع، وحررتم مملكة الغيلان..

كانوا جميعًا يشعرون بحيرة بالغة، أحداث كثيرة لا يذكرونها، وأشياء أكثر لا يفهمونها، وغموض بالغ يكتنف كل شيء، وكأن ذاكرتهم القريبة تم محوها..

بحيرة بالغة نظر جلاد الشيطان إلى دارول وقال بلهجة حادة لا يوجد ما يبررها:

- وماذا فعلنا حتى نحصل على هذا الثناء... و...

ولم يكمل..

لقد شعر مع باقي أصدقائه بأنهم تلقوا لكمة عقلية رهيبة زلزلتهم، وتدفقت بداخل رؤوسهم سيول الذكريات، فسقطوا على الأرض راكعين يئنون وكل منهم يمسك رأسه بين كفيه في شدة الألم..

لحظات صعبة من المعاناة مروا بها جميعهم، وهم يتلوون من الألم..

وتدريجيا خف الألم..

وتذكروا كل شيء..

ونظروا حولهم في عدم تصديق، يبحثون عن الحديقة التي وصلوا إليها، ونظر الفارس الأسود نحو دارول يطلب التفسير دون حديث، فابتسم (دارول) مجددًا وقال:

- لقد أتم كل منكم مهمته على خير وجه، وهزمتم قوى الطبيعة الأربع، وكسرتم طلاسم الحماية، التي كانت تمنع دخولنا إلى مملكة الغيلان..

قاطعته فتاة الظلام قائلة:

- ولكننا لم نحصل على أية أسلحة؟!

رد دارول وابتسامة صفراء تغزو وجهه:

– بل حصلتم عليها..

قالت بصوت متسائل:

– وكيف ذلك؟!

ففتح دارول الصندوق الصغير الذي يحمله وقال:

– لقد امتصت يواقيت أبرود السحرية تلك القوى واحتفظت بها، بداخل كل ياقوته، وبعد اجتماعها معا أصبحت قوتها لا تقهر، كما أنها ساعدتكم لإيجاد الوسيلة المثلى للقضاء على الخطر..

صمتت فتاة الظلام، وهي تفكر في الشيء الذي هداها لتسبح إلى الأعماق بدلًا من أن تبحث عن ضفة أو أرض صلبة، وكذلك ماركوس، و...

بل جميعهم حصلوا على تلك المساعدة الاستثنائية، حتى ظنها الفارس الأسود لأول وهلة، مساعدة خاصة من كاهنة الماسة النارية..

وللحظات صمت الجميع دون أن يأتوا بأي رد فعل، ولكن جلاد الشيطان نزع سوطه الخارق، وطوح به باتجاه دارول، ليلتف طرفه حول الصندوق ويجذبه ليستقر بين يديه في مهارة يحسد عليها وهو يقول:

– عاد الحق إلى أصحابه أم لك رأي آخر يا دارول.

وترت هذه الحركة الجو..

مما جعل جنود دارول يتحفزون ويشهرون أسلحتهم، ويوجهونها نحو صدور الأصدقاء الذين لم تأخذهم المفاجأة، وشهروا أسلحتهم أيضًا..

وكادت تحدث مجزرة لولا أن دارول أشار بيديه بهدوء وقال:

– ليتراجع الجميع، ولتغمدوا أسلحتكم..

وقال موجهًا حديثه نحو الأصدقاء:

– أنا لم أحنث بوعدي أو أرجع في كلمتي، إن هذه اليواقيت من حقكم ولكنها الآن ضارة، يجب أن نجردها من قوتها الضارة قبل أن تعود لكم.

ظهر الشك في عيون الجميع، فقال ماركوس في حدة:

– كيف ذلك باستيلائك عليها مرة أخرى؟..

ابتسم دارول ابتسامة باهتة وقال:

– لو أردت أن أتخلص منكم لفعلتها، وأنتم غارقين في النوم تحت تأثير هذه اليواقيت الخادعة، بالطبع ما تشاهدونه حولكم الآن، يختلف بشدة عما رأيتموه بعد انتهاء مهمتكم. لذا أنا أعترف لكم الآن بأني قمت باستغلالكم، ولكني كنت في أمس الحاجة إلى مساعدتكم لأستعيد ملكي السليب. وأنا من أعمق أعماقي أشكركم على مساعدتي، ولو أردتم بقاء اليواقيت معكم، فلن أمانع، ولكن صدقوني إنها الآن تحمل من الخطر أكثر بكثير مما تحمل من حماية..

لقد عدت لكم الآن بعد أن استقرت الأمور في المملكة، وبعد أن استعدت حقي المفقود، وبعد أن فقدت أخي الذي فضل الموت على أن يطلب مني الرحمة.

لقد هرب (هكتور) اللعين، ولكنها مسألة وقت قبل أن نقبض عليه ويلقى جزاءه العادل.

كل الأمور استقرت الآن، ولا يسعني إلا أن أشكركم، وأدعوكم لحضور حفل إعادة التتويج، ليتم تكريمكم في احتفال كبير..

وبالنسبة إلى اليواقيت وأكثر، ستحصلون عليها بعد أن يجردها ساحرنا الأكبر من تأثيرها الضار.

وهنا اندفعت فتاة الظلام كعادتها لتتساءل:

– إذَنْ لم تكن في حاجة إلى الأسلحة الخارقة كما ادعيت..

ابتسم دارول وقال:

– ومن قال ذلك؟ لقد أتمت الأسلحة عملها بمجرد حصولكم عليها، وقضت على أخطار وادي الهلاك.. لقد نجحتم تمامًا..

كان الأمر عسيرًا على التصديق إلا أن الفارس الأسود مد يده المفرودة إلى دارول، الذي تلقاها بين أصابعه المكسوة بالشعر، وقال وأنفاسه الكريهة تلفح وجه الفارس الأسود:

– إنكم نعم الجنود والأصدقاء، إن المملكة ترحب بكم كضيوف فوق العادة في أي وقت.

قالها واستدار عائدًا نحو قلعة الحكم، فتبعه الجميع، وساروا في

طريق طويل تحيط بهم الحشود الكبيرة، واللذين يحملون رايات النصر وقد أحاط بموكبهم العديد من جنود الغيلان المدججين بالسلاح لحمايتهم ويتقدمهم دارول بنفسه..

ورغم الرائحة الرهيبة التي انتشرت حولهم نتيجة تجمع كافة فئات شعب مملكة الغيلان لتحيتهم، إلا أن الابتسامة كانت على وجوههم طوال الوقت حتى إنهم تبادلوا بعض الدعابات.

وبعد وقت طويل وصلوا إلى قلعة الحكم الهائلة الحجم.

قلعة تليق بالفعل بالغيلان.

وهناك كان في انتظارهم مفاجأة مذهلة.

13

استيقظ حارس الجحيم، ورفاقه بعد عدة ساعات، وكانت جراح سايا قد التأمت جزئيًا، وأثر السم قد انتهى من دمائها، وأصبحت قادرة على مواصلة المهمة.

وفي أثناء اختبارها لقدرة جسدها على الحركة، بممارسة بعد الحركات القتالية العنيفة، حاول حارس الجحيم الاتصال بسيدة الظلام دون فائدة ترجى.

فنهض من فوره، واستعاد زمام المبادرة والقيادة، وأمر الجميع بالاستعداد، وعن طريق تعويذة انتقال خاصة بدأ الانتقال إلى حيث الخطر الكبير إلى مملكة الغيلان..

وهذه المرة، حدث التجسد بسهولة، ودون أي شراك خداعية أو فخاخ لتعترضهم، إلا أنهم فوجئوا بالمئات من الغيلان المدججين بالسلاح يحيطون بهم، يجبرونهم على الاستلام..

وكحسن استغلال للموقف، ابتدر لوسيفر قائد الجنود قائلًا:

– لم نأتِ هنا للقتال، كل ما نريده هو لقاء سيد هذه القلعة.

فبقدراته الخاصة، استطاع لوسيفر أن يقرأ عقول من حوله، ويعرف بالتطور الذي حدث، وجاراه رفاقه في الأمر.

ودون تأخير، وبعد أن منحهم دارول الإذن، اقتادوهم الجنود إلى حيث يجلس دارول، وضيوفه وعلى الفور انتفض الأصدقاء، وقوفًا عدا الفارس الأسود.

وفي خلال دقائق دار بين الجميع حوار حاد صريح، انتهى على عودة الأصدقاء المتمردين، بإرادتهم إلى سيدة الظلام، وتم تأجيل الأمر فقط إلى حين انتهاء مراسم التتويج.

وبعدها، وودع الجميع دارول، وانصرف الجميع كل إلى وجهته..

الفارس الأسود عاد إلى واقعه الكئيب..

ولوسيفر عاد إلى قصره بمملكة الظلام..

والباقون عادوا إلى قصر الحكم، ليفاجئهم خبر اختفاء سيدة الظلام المريب.

لتنتهي مغامرات الفارس الأسود التي قادته إلى مملكة الغيلان.

وفي لقاء آخر لو قدر لنا الله، سنكتشف حقيقة اختفاء سيدة الظلام، وحقيقة الفخ الزمني، وزيارة الفارس الأسود إلى أرض الأقزام، ومملكة العمالقة، والعديد من الأسرار التي تكتنف ذلك العالم الغامض الذي يختفي خلف بوابة مملكة الظلام.

تمت بحمد الله